

السيرة النبوية

محمد رسول الله  
والذي معه

---

فتح مكة  
مر ك ٧ عيم ٧

عبد الحميد جوده النجار



بسم الله الرحمن الرحيم

« وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » .

( قرآن كريم )

خرج مالك بن عباد — وهو رجل من بنى الحضرمي — تاجرا ، فلما  
توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله ، فأصبح بين بنى بكر  
وخزاعة ثأر . فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه . فعدت خزاعة  
قبيل الإسلام على أشراف من بنى بكر فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم . فبينما  
بنو بكر وخزاعة على ذلك حمز بينهم الإسلام وتشاغل الناس به ، فلما كان  
صلح الحديبية بين رسول الله — ﷺ — وبين قريش كان فيما شرطوا  
لرسول الله ﷺ : أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله — ﷺ —  
وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدها فليدخل  
فيه : فدخلت بنو بكر في عقد قريش ، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله —  
ﷺ .

ونامت العداوة التي كانت ناشبة بين قريش والمسلمين ، فرأت بنو بكر أن  
تستعين بقريش للثأر من خزاعة : فمشى بعض أشراف بنى بكر إلى سادات  
قريش يسألونهم أن يمدوهم بالرجال والسلاح على خزاعة ، فأمدوهم برجال  
خرجوا معهم مستخفين ، فيهم صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى  
وعكرمة بن أبي جهل وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو وظنوا أنهم لم يعرفوا .  
وكانت خزاعة على الوثير — ماء قريب من مكة — وكانوا آمنين لا  
يخشون غدرا ، وإذا بنو فل بن معاوية قائد بنى بكر يتقدم إليهم مستترا بالليل  
ومعه القرشيون متكررين متنقبين ، فبيتوا خزاعة ليلا وهم غافلون فقتلوا منهم

رجالاً ، وارتفعت الأصوات فخفف الخزاعيون إلى سيوفهم وهم في ذهول ،  
واقتل الفريقان فقتل من خزاعة عشرون وتقهقر الخزاعيون إلى الحرم ، فلما  
انتهوا إليه قالت بنو بكر :

— يا نوفل إنا دخلنا الحرم ، إلهك إلهك .

كان الحقد يملأ صدر نوفل ، فقائد بنى بكر يرى أعداءه في متناول  
السيوف ، إنها فرصة لا تعوض ليشأر من خزاعة ، فقال دون تفكير :  
— لا إله لي اليوم ، يا بنى بكر أضيوا نأركم فلعمرى إنكم لتسرقون في  
الحرم ، أفلا تصيبون نأركم فيه ١٩

واستمر القتال حتى لجأت خزاعة إلى دار بديل بن ورقاء ودار مولى لهم  
يقال له رافع ، فلما التقط تميم بن أسد أنفاسه وسكن روعه راح يتذكر ما  
كان ، إنه خرج مع رجل من قومه يقال له منبه وكان منبه رجلاً معوزاً ، فلما  
جن الليل باتا بالوتير ، فإذا ببني بكر ومن تطوع للقتال معهم من قريش  
ينقضون عليهم ويضعون فيهم السيوف ، فقال له منبه :  
— يا تميم انج بنفسك ، فأما أنا فوالله إنى لميت قتلونى أو تركونى ، لقد انبت  
فؤادى .

إن تميماً لم يرى نفسه وقد أطلق ساقيه للريح وقد ترك صديقه ليقع أسيراً في  
أيدي الأعداء ، وإنه لم يحس عرق الخجل يتصبب منه ، وأراد أن يفر من  
تأنيب ضميره الذى كان يخزه وخزا ألماً فراح يعتذر من فراره عن منبه :  
لما رأيت بنى نفاثة أقبلوا يغشون كل وتيرة وحجاب (١)  
صغرا ورزنا لا عريب سواهم يزجون كل مقلص خناب (٢)

(١) الحجاب : ما اطمأن من الأرض وخفى .

(٢) لا عريب : لا أحد . الخناب : الفرس الواسع المنخرين .

وذكرت ذحلاً<sup>(١)</sup> عندنا متقادما فيما مضى من سالف الأحقاب  
وخشيت ربح الموت من تلقائهم ورهبت وقع مهند نصاب  
وعرفت أن من يتقفوه<sup>(٢)</sup> يتركوا وطرح بالمتن العراء ثيابي  
قومت رجلا لا أخاف عثارها لحما مجرية وشلو غراب  
ونجوت لا ينجو نجائاً أحقب<sup>(٣)</sup> عالج أقب مشمر الأقراب  
تلحى ولو شهدت لكان نكيرها بولا ييل مشافر القبقاب<sup>(٤)</sup>  
القوم أعلم ما تركت منها عن طيب نفسى فأسألى أصحابي  
وسكت السيوف وانطلق الشعر يروى فى مبالغة ما كان بين كنانة  
وخزاعة ، فراح شعراء كنانة يقولون إنهم حبسوا خزاعة فى دار الذليل  
وألجئوهم إلى دار العبد رافع بعد أن شفوا نفوسهم . وجعل شعراء خزاعة  
يذكرون تلك الأيام التى كانت بينهم وبين كنانة وكيف أنهم لم يدعوا لهم سيدا  
يجمعهم فى المجالس . وبين الفريقان يتراشقان بالأشعار خرج عمرو بن سالم  
الخرزاعى فى أربعين راكبا من خزاعة وانطلق إلى المدينة ليخبر رسول الله —  
ﷺ بأن بنى بكر وقريش قد تظاهروا على خزاعة وأصابوا منهم ما  
أصابوا ، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ — مما استحلوا من  
خزاعة .

وذاع فى مكة أن صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وعكرمة بن أبى

(١) الذحل : طلب الثأر .

(٢) يتقفوه : يجلده . المجرية : اللبوة .

(٣) أحقب : حمارة الوحش . العالج : الحمار . الأقب : الضامر البطن .

(٤) القبقاب : من أسماء الفرج .

جهل وشية بن عثمان وسهيل بن عمرو قد اشتركوا مع بنى بكر في الغدر بخزاعة ، فخشيت قريش أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ — فمظاهرتهم لبنى بكر نقض صريح للعهد الذى كان بينهم وبين رسول الله ﷺ — صلوات الله وسلامه عليه ، وقد يهيج ذلك الحدث المسلمين ويحركهم للمسير إلى مكة ، فندموا على ما فعلوا وجاء الحارث بن هشام إلى أبى سفيان وأخبره بما فعل سادات قريش فقال :

— هذا أمر لم أشهده ولم أغب عنه وإنه لشر . والله ليغزوننا محمد . ولقد حدثتني هند بنت عتبة أنها رأت رؤيا كرهتها ، رأت دما أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخدمة .

فكره القوم ذلك وقالوا لأبى سفيان :

— ما لها سواك ، أخرج إلى محمد فكلمه في تجديد العهد وزيادة المدة . فخرج أبو سفيان ومولى له على راحلتين . فأسرع السير وهو يحسب أنه أول من خرج من مكة إلى رسول الله ﷺ — ، وما دار بخله أن عمرو بن سالم والذين معه من خزاعة قد خرجوا قبله ، وأن رسول الله ﷺ — كان صبيحة الواقعة التى جرت بين بنى بكر وقريش وبين خزاعة فى بيت عائشة فقال لها :

— حدث فى خزاعة حدث .

فقالت فى دهش :

— يا رسول الله أترى قريشا يجترئون على نقض العهد الذى بينك وبينهم ؟

— ينقضون العهد لأمر يريده الله .

— خير ؟

— خير .

وأنه عليه السلام بات عند ميمونة ليلة بعد ذلك فقام ليتوضأ للصلاة ،  
فسمعته يقول :

— لييك لييك لييك ! نصرت نصرت نصرت .

فانطلقت إليه عليه السلام وقالت :

— كأنك تكلم إنسانا ، هل كان معك أحد ؟

— هذا راجز بنى كعب يزعم أن قريشا أعانت عليهم بكر بن وائل .

فأقاموا ثلاثاً ثم صلى رسول الله ﷺ — الصبح ، وقدم عمرو بن سالم  
وركب بنى خزاعة على المدينة ، فوقف عمرو ورسول الله ﷺ —  
جالس في المسجد بين ظهرا في الناس فقال :

يا رب إني ناشد محمداً	حلف أينا وأبيه الأتلا (١)
قد كنتم ولداً وكننا والداً	تُمت أسلمنا فلم ننزع يداً
فانصر هداك الله نصرنا أعتداً	وادع عباد الله يأتوا مدداً
فيهم رسول الله قد تجردا	إن سيم نحسفاً وجهه تربداً
في فيلق (٢) كالبحر يجري مزبداً	إن قريشا أخلفوك الموعدا
ونقصوا ميثاقك المؤكدا	وجعلوا لي في كداء رُصدًا
وزعموا أن لست أدعو أحداً	وهم أذل وأقل عدداً
هم يتونا بالوتير هُجداً	وقتلونا رُكعاً وسجداً

وبلغ صوت الراجز دور النبي فأعارته عائشة سمعها وقد أشرق وجهها  
بنور الإيمان . إن رسول الله ﷺ — صلى الله عليه وسلم —

(١) الأتلا : العريق النسب .

(٢) الفيلق : الجيش .



حدثها قبل أن يصل وفد خزاعة بأن قريشا قد فجرت في عهدهما ، وها هو ذا شاعرهم يفرع إلى رسول الله ﷺ — يستنصر — وظلت عائشة تصغي وهي ساكنة وقد أطبقت شفتيها وإن كانت كل خلجة من خلجات نفسها تشهد أن محمدا رسول الله حقا . وراحت ميمونة تلقى السمع إلى عمرو بن سالم وقد تفرقت في عينيها الدموع . إن رسول الله ﷺ — قال لها : « هذا راجز بنى كعب يزعم أن قريشا أعانت عليهم بكر بن وائل » . وها هو ذا شاعر بنى خزاعة ينشد في مسجد الرسول شعرا يناشد فيه رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه — الحلف الذى بينهما ويستنصره . فلما انتهى عمرو بن سالم من شعره ساد المسجد سكون ، وأرهفت الآذان وتعلقت الأعين بشفتى رسول الله عليه السلام فإذا به يقول في صوت جهورى :

— نصرت يا عمرو بن سالم .

ودمعت عينا رسول الله ﷺ ، وقام وهو يجر رداءه ويقول :

— لا ينصرنى الله إن لم أنصر بنى كعب مما أنصر به نفسى .

وأشرقت وجوه بنى خزاعة بالفرح ، وزاد سرورهم لما قال عليه السلام :

— خزاعة منى وأنا من خزاعة .

ثم عرض له عليه السلام سبحانه فقال :

— إن هذا السحاب ليستهل ينصر بنى كعب .

ولم يطل مكث وفد بنى خزاعة في المدينة ، فلما عزموا على الرحيل قال لهم

عليه السلام :

— ارجعوا وتفرقوا فى الأودية .

ليخفى عليه السلام جميعهم له . فرجعوا وتفرقوا فذهبت فرقة إلى الساحل

وفيه عمرو بن سالم ، وفرقة فيهم بديل بن ورقاء لزمت الطريق .

وراح أبو سفيان وغلामه يطويان الأرض التى تفصل بين مكة والمدينة

وياطلما قطع أبو سفيان ذلك الطريق . إنه طواه تاجرا وغازيا ، وكان في كل مرة يفكر في ربح تجارته أو في الغنائم التي سيغنمها من حرب المسلمين وما كان القلق يساوره . أما في هذه المرة فإنه يستشعر مرارة ، فهو في طريقه إلى سفارة ذليلة سواء أنجح فيها أم أخفق . إنه ذاهب إلى عدوه اللدود يلتبس منه شد العقد والزيادة في المدة بعد أن كانت أضعف أمانيه أن يعود ذات يوم إلى مكة وهو يسوق محمدا وأصحابه في الأسرى .

كان يريد أن يكتم أنفاس الإسلام المترددة في المدينة . وقد أنفق الأموال وهو الرجل الصحيح في سبيل القضاء على من ينافسه في زعامة قريش . وقد حالف اليهود ليبحث الخطر الذي كان يتفاقم شأنه على طريق تجارة الشام ، ولكن كل محاولاته قد باءت بالإخفاق كأن هناك قوة في السماء ترعى هؤلاء المسلمين كما يزعم محمد .

كان الحسد ينهش فؤاده لما زعم محمد أنه رسول رب العالمين وصدقه الناس ، وزاد في حنقه أن محمدا لم يكتف بقريش والأوس والخزرج بل راح يطالب بدولة عالمية يسود فيها الإسلام . إنه بشر أصحابه بملك فارس والروم ولم يكتف بذلك القول بل أرسل الجيوش لتناوئ هرقل على حدود الشام . وأطرق أبو سفيان فلم يستطع أن يسخر في وحدته بما كان يسخر منه وهو في نادى قومه عند الحرم . وطاقت بذهنه ذكريات . إنه يرى نفسه وقد خرج وأمية بن أبي الصلت الثقفى تجارا إلى الشام . فكلما نزلوا منزلا أخذ أمية سيفراً له يقرؤه عليهم . وإنه ليرى في وضوح ليلة أن نزلوا قرية من قرى النصارى فجاجوا أمية وأكرموه وأهدوا له وذهب معهم إلى بيوتهم . وإنه ليراه وقد آب في وسط النهار فطرح ثوبيه وأخذ ثوبين له أسودين فلبسهما . ومس أذنى أبي سفيان صوت أمية بن أبي الصلت كأنما كان آتيا من وراءه حجب الستين :

— هل لك يا أبا سفيان في عالم من علماء النصارى إليه يتناهى عدم الكتاب  
تسأله ؟

— لا أرب لي فيه ، والله لكن حدثني عما أحب لا أثق به ، ولكن حدثني عما  
أكره ، لأحدث منه .

ورأى أبو سفيان في مرآة نفسه أمة بن أبي الصلت يذهب وشيحا من  
النصارى يتحلف ثم يقول له :

— ما يمنعك أن تذهب إلى هذا الشيخ ؟

— لست على دينه .

— وإن ، فذلك تسمع منه عجبا وتراه . أثقفي أنت ؟

— لا ولكن قرشي .

— فما يمنعك من الشيخ ؟ والله ليحكم ويوصي بكم .

ورأى أبو سفيان بعين الخيال أمة بن أبي الصلت وهو يعود بعد هدأة البيل  
فيطرح ثوبيه ثم يجادل على فراشه فما دام ولا قام حتى أصبح كفيها حربا ما  
يكلمهم ولا يكلمونه ، ورب في أعماق نفسه صوت أمة :

— ألا نرحل ؟

— وهل بك من رحيل ؟

— نعم .

ودار في صميره ذلك احوار الذي دار بينهما قبل أن يبعث ابن عبد الله :

— ألا تحدث يا أبا سفيان ؟

— وهل بك من حديث ؟ والله ما رأيت مثل الذي رجعت به من عند

صاحبتي .

— أما إن ذلك لشيء نست فيه ، إنما ذلك لشيء وجلت منه من مقلي .

— وهل لك من منقلب ؟

— أى والله لأموتن ثم لأحيين .

— هل أنت قابل أمانتى ؟

— على ماذا ؟

— على أنك لا تبعث ولا تحاسب .

إن أمية صحك في ذلك اليوم وقال :

— بلى والله يا أبا سميان لبعثن ثم لحاسبس ، وليدخلن فريق الحنة وفريق

النار .

سمع أبو سميان ذلك القول في تلك الأيام فقال لصاحبه في هدوء : « فمى أيهما أنت أحبرك صاحبك ؟ » . قاهها في سحرية هارئة بفكرة البعث بعد الموت . إلا أنه وهو في طريقه إلى المدينة تقاصرت نفسه لما راى في حوفه حديث أمية ابن أبى الصلت : فقرآن محمد ما انفك يردد الدر الآخرة والشواب والعقاب والحنة والبار حتى كاد إيمانه يترعرع بالطبع المحبى والذهر المصى ، وطافت به موجة من رهبة لما مد عيسيه إلى السماء ، ثم سرعان ما عاد إلى الإصغاء إلى ما دار بينه وبين أمية في تلك الرحلة :

— هيا يا صحر .

— ما تشاء .

— حدثنى عن عتبة بن ربيعة أيجتنب المظالم والمحارم ؟

— أى والله .

— ويصل الرحم ويأمر بصلتها ؟

— أى والله .

— وكريم الطرفين وسط في العشرة ؟

- نعم .
- فهل تعلم قرشياً أشرف منه ؟
- لا والله ما أعلم .
- أمحوج هو ؟
- لا بل هو ذو مال كثير .
- وكم أتى عليه من السن ؟
- زاد على المائة .
- فالشرف والسن والمال أزرين به .
- ولم ذاك يزرى به ؟ لا والله بل يريد حيراً .
- هو ذاك .

كان ذلك الحديث في تلك الليلة أشبه بالألعار ، وأما وأبو سفيان ومولاه يعدان<sup>(١)</sup> السير إلى المدينة فقد كان الأمر واضحاً وصوح النهار . إنه يرى صورة محمد بن عبد الله تملأ الأفق وتسد عليه اساعده ، فأبهما يولى وجهه يراه . وإن صوت أمية بن أبى الصلت يرن في الفضاء حتى ليعنو على كل صوت : — هو رجل من العرب .. من أهل بيت يحجه العرب .. هو من إخوانكم من قریش . رجل شاب حين دخل إلى الكهولة . بُدُو أمره يجتنب المطالم والمخارم ويصل الرحم ويأمر بصلتها ، وهو محوج كريم الطرفين متوسط في العشيرة ، أكثر جلد من الملائكة .

وامتلات جوانح أبى سفيان رهبة وربا حوفة<sup>(٢)</sup> لما رن في أعوار نفسه صوت ضميره يرتل : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن

---

(١) يعدان : يسرعان .

(٢) ربا حوفة : راد

غير ذات الشوكة يكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويفطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويطل الباطل ولو كره المجرمون . إدا تستعيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين . وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم إدا يغشاكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء يبطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام . إدا يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فتبتوا الذين آمنوا سألنى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاصربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان . ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله فإن الله شديد العقاب » (١) .

وسرت فى بدن أبى سفيان قشعريرة ، وراح يقب وجهه فى الكون العريض فاستشعر لأول مرة حقاره شأنه . واثالت على رأسه دكريات القتل الذى دار بينهم وبين محمد وصحبه : كانت كل الظروف المادية تؤكد سحق المستعصمين ولكن النتائج كلها كانت على عكس كل تقدير . تقوضت القوى المتفوقة فى العدد والعتاد أمام قوة خفية ، إنها نصر الله ، إنها مدد الله من ملائكته ، جنود محمد الذين حدثه عنهم أمية بن أبى الصلت يوم أن كانوا عائدين من الشام إلى مكة قبل أن يعود إليهم محمد بن عبد الله من عار حراء يزعم أنه رسول رب العالمين .

وهمس فى وجدان أبى سفيان هامس : « لماذا لا تذهب إلى المدينة لتعلن على الملأ إسلامك كما فعل عمرو بن العاص وحاند بن الوليد وسادات قريش من قبلهما ؟ » فانتصص فوق راحلته انتفاصة قوية كأنما يطرد ذلك الخاطر

الذى اسل إلى نفسه فى عفة منه ، وقال فى صوت عاصب كأنما يؤنب نفسه :

— أو يذهب شرفى ؟

كان أبو سفيان يعلم أن محمدا — ﷺ — صدوق لا يكذب قد جاء أمرا لا يقى معه شرف . فقاتله حمية كراهة أن يذهب شرفه .  
وألح عليه ما دار من حديث بينه وبين أمية بن أبى الصلت بعد أن بعث الله محمدا عليه السلام :

— يا أمية ، قد خرج النبى الذى كنت تنعته .

— أما إنه حق فاتبعه .

— ما يمنعك من اتباعه ؟

— ما يمنعنى إلا الاستحياء من نساء ثقيف ، إلى كنت أحدثهن أنى هو ثم يرينى تابعا بغلام من بنى عبد مناف .

وأطرق أبو سفيان وقد روى ما بين حاجبيه وقطب جبينه ، فصوت أمية الآتى من بحر الدكريات كان كحجر يطعن كل آماله فى سفارته إلى المدينة .  
« كأتى بك يا أبا سفيان قد خالفته ثم قد ربطت كما يربط الحديد حتى يأتى بك إليه فيحكم فيك بما يريد » .

ولم يستطع أبو سفيان أن يلوى شفته السمن استهزاء بأقوال أمية بن أبى الصلت التى طلعت حية فى صحيره طوال تلك السنين ، فراح يحث راحلته على الإسراع ليهر من أشباح الماضى التى تحاول أن تمحو إشراقة الأمل فى المستقبل المجهول .

راح أبو سفيان ومولاه يغذان السير . إنه يريد أن يصل إلى المدينة قبل أن  
تتصل حزاعة برسول الله ﷺ — وأن تحرره عليه السلام بأن قريشا قد  
نقضت ما كان بينها وبينه من عهد . وكان أبو سفيان يطمع في أن يشد العقد  
ويزيد في المدة فقد أقرت قريش بعجزها عن وقف رسول الله — صلوات الله  
وسلامه عليه — إذا ما أراد أن يفتح مكة ، فلم يبق في جعبتها إلا السلم أو  
الاستسلام .

ورجع أولئك الركب من حزاعة ، فلما كانوا بعسفان لقوا أبا سفيان  
ومولى له كلا على راحلة فقال لهم :  
— هل ذهبتم إلى المدينة ؟  
— لا .

وقال بديل بن ورقاء :  
— إنما كنا في الساحل نصلح بين الناس في قتل .  
— أما أتيت محمدا .  
— نعم : ما أتيت محمدا .  
وصبر أبو سفيان وانتابه قلق ، حتى إذا ما انطلق بديل والذي معه إلى مكة  
قال أبو سفيان لمولاه :  
— لئن كان جاء إلى المدينة لقد علف بها النوى .

فحاء مرلهم ففتت أبعاد أباعرهم فوجد فيها النوى ، قال أبو سفيان في



غبط :

— أحلف بالله لقد جاء القوم محمدا .

وكان رسول الله — ﷺ — في المسجد ومن حوله المهاجرون والأنصار  
يلقون إليه أسماعهم . فقال عليه السلام :

— كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشد العقد ويزيد في المدة وهو راجع  
بسخطه .

وانطلق أبو سفيان وهو يطوى الصحراء شاردا وقد اشتد  
وجيب<sup>(١)</sup> قلبه . إنه كان يقطع هذه المياق شائخا بأنفه يحميه بشره فهو شيخ  
بى أمة بل وسيد قريش . فكانت إيماءته أمرا وكنمته قانونا . أما اليوم فهو  
داهب إلى مسجد عدوه يلتبس به أن يشد العقد الذى كان عائبا عنه ويريد  
في مدته ، إنه يستشعر بالدل يملأ جوانحه ولكنه يحاول أن يقهر عواصفه  
المتردة ، فليس ملكه من حاة إلا أن تحج سفارته وأن يقلب ابن أوى كبشة  
تجديد العقد وزيادة المدة .

ولاحت لأبى سفيان أرباص المدينة فانهزت أنفاسه وراح يصبر على  
أسسه ، فقد عاظه أن ليس له من الأمر شئ وأن مفتاح الموقف لم يعد في يده .  
بل في يد نبي الإسلام إن شاء جدد العقد وأن شاء قطعه .

وتذكر ابنته أم حبيبة . إنها هلك في دور النسي وصارت أما للمؤمنين . فإن  
كانت قد تركت دين الآباء ودخلت فيما يدعو إليه ابن عبد الله فإنها لم تحلى  
عه ولن تحدد أبوته ولن يرصها أن يعود أبوه إلى قريش وفي ركابه الخزي  
والخذلان . فتأثقت في نفسه بارقه أمل فعزم على أن يحيى أم حبيبة وأن  
يوسطها بينه وبين روحها وأن تصم صوتها إلى أصوات قومها في شد  
العقد وزيادة المدة .

( فتح مكة )

واسباب أبو سفيان ومولاه في المدينة فلم يهرع أحد لاستقباله ولم ينتفت أحد لدخوله . فاستشعر قهرا فقد كان أشرف الأوس والخزرج يأتون إليه مهطعين<sup>(١)</sup> والبشر يعنو الوجوه قبل أن يغرو محمد أثدة القوم بسحره لمين . فتحرك سطحه وراودته فكرة أن يلوى أعمة راحلته وأن يرجع إلى مكة لولا بصيص من رحاء لمع في طلعات يأسه ، فاندفع إلى مسجد الرسول ليواجه واقعه كيفما يكون .

ووقف على باب المسجد ومد عيبيه فأبى محمدا — ﷺ — في أصحابه محقق قلبه رهبة ، وم يطل وقومه فسرعا ما اتجه إلى دور السي ودخل على ابنته أم حبيبة وقد اتر ثعره عن ابتسامة قلقة فلم يبد على ابنه أنها فرحت بمقدمة ، فحسب أن المفاجأة قد أدهلتها . وأراد أن يجلس على فراش النبي — ﷺ — فطوته عنه ، فأحس كأن ححرا مسموما صرب إلى قلبه فقال في صوت فيه ايبس وإن حاول أن يمدو هادئا :

— يا بنية ، ما أدري أرعبت بي عن هذا الفراش أم رعبت به عني ؟

— بل هو فراش السي — ﷺ — وأنت مشرك نجس

مدار به المكان ولو طاولع إحساساته للطمها لضممة تنفس عن غصه ،

ولكنه كبح جماح نفسه وقال :

— والله لقد أصابك بعدى شر .

فقال في ثقة :

— بل هداني الله تعالى للإسلام وأنت تعبد ححرا لا يسمع ولا يبصر .

واعجبا ملك يا أبت وأنت سيد قریش وكبرها !

— أنا أترك ما كان يعبد آباي وأتبع دين محمد !

(١) مهطعين حاصعين أدلاء

وحرج وهو حائق ، وراد في حقه أنه كان يعرف في أعماق داته أنه يعبد نفسه . إنه لا يريد أن يتبع دين محمد حتى لا يقر لابن عبد الله بالرعامه ، وقد عاش طوال حياته يحلم برعامه قريش . وذهب إلى المسجد حتى أتى السي — عليه السلام وهو يجاهد ليدو هاشا باشا . وفر عينيه في الحاصرين فإذا بمحمد عليه السلام ومن حوله المهاجرون والأنصار . ومد بصره إلى خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن عفان وسرعان ما عص الطرف . وحيا القوم بتحية الجاهلية فردوا عليه بتحية الإسلام .

والتفت إلى رسول الله — عليه السلام — وقال .

— إني كنت عائثا في صلح الحديبية فامدد لعهد وزدنا في المدة .

فقال رسول الله — عليه السلام — :

— لذلك جئت يا أبا سفيان ؟

— نعم .

— هل فيكم من حديث ؟

— معدا الله نحن على عهدنا وصلحنا لا نعد ولا نبد .

وصوبت أعين القوم إلى أبي سفيان . إنه يحاول أن يكرر ما كان بين سي بكر وبين حراقة ومعاونة قريش سي بكر على خراقة حلفاء رسول الله عليه السلام . إنه لا يريد أن يعترف بأن قريشا قد نقضت العهد ومرقت صبح الحديبية . فلو اعترف لأعطى المسممين الحق المشروع في عرو مكة . وهو ما تحشم السمر وقبل هذه السفارة المدلة إلا ليمع سمر المسممين إلى أم القرى لينفى له السبطان . وأرهف السمع ليلتقط ما يقول ابن عبد الله فقال لرسول —

عليه السلام

— فنحن على مدتنا وصحبنا .

فأعاد أبو سفيان القول :

— امدد العهد وزدنا في المدة .

فلم يرد عليه شيئا . فقام أبو سفيان مطرقا يجر أذيال الخيئة ، وحرّح من مسجد النبي عليه السلام لا يكاد يرى شيئا فقد أعماه سحطه ، حتى إذا ما خلا بنفسه راح يقاوم يأسره فهداه تفكيره إلى أن يطلق إلى أبي بكر يلتبس به أن يكلمه رسول الله ﷺ — فحرّح إلى العالية حيث كان أبو بكر ، فلما دخل عليه قال :

— يا أبا بكر جدد العقد وزدنا في المدة .

جوازي في جوار رسول الله ﷺ — وحاول أبو سفيان أن يشي أبا بكر عن قراره وأن يري له أن يكلمه رسول الله عليه السلام ولكن أبا بكر أبى أن يكلم رسول الله — صوات الله وسلامه عليه — في أمر صمت عنه . فقام أبو سفيان وحرّج يجر رحليه وهو يحس كأنما يحمل على ظهره أثقال الأرض واستشعر أبو سفيان كأنما قطعت له أثواب الدل . فراح تراوده فكرة أن يقفل راجعا إلى مكة . ولكنه أبى أن يعود بالإحفاق فصر على أن يأتي أصحاب رسول الله ﷺ — وأن يلتبس بهم أن يكلموا له النبي عليه السلام لعل قلب أحدهم يلين لشيخ بني أمية ، فانطلق إلى عمر بن الخطاب ليتحرج كأس المهابة حتى الثالثة<sup>(١)</sup> .

وفي صوت خافت لون بالأسي كلم عمر وفي صوت حازم قوى قال عمر :

— أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ — فوالله لو لم أحد إلا الدر

لجاهدكم به .

— إن بيننا وبينكم حلفا .

— ما كان من حلفا جديداً أخلقه الله . وما كان مقطوعاً فلا وصله الله .

رمى أبو سفيان عمر بن الخطاب بنظرة قاسية ثم قال .

— جزيت من دى رحم شرا .

وراح أبو سفيان يدور في طرقات يثرب وهو حافد على نفسه تردد أنفاسه في دُبيه كأنما كانت ناعية تنعى كرامته ، حتى إذا ما بلغ دار عثمان بن عفان انسل إليها مسرعاً خشية أن تقع عليه أعين الشامتين الداحلين إلى المسجد والخارجين منه ، حتى إذا ما أتى عثمان قال له

— إنه ليس في القوم أقرب إلى رحما منك ، فرد في المدة وجدد العقد فإن صاحبك لا يرده عليك أبداً .

فقال عثمان معتدراً :

— جوارى في جوار رسول الله ﷺ .

وسأل أبو سفيان وألحف وتوسل وتودد ولكن عثمان أبى أن يكتم رسول الله ﷺ . فقام أبو سفيان من عنده وقد تعصدا عرق من جيبه حتى ملأ عينيه وسال على خيته ، وحرص يصرف<sup>(١)</sup> ألبابه وراح يمسح وجهه لا يكاد يفرق بين عرقه ودموعه .

ووقف على باب دار عثمان يلتقط أنفاسه ، حتى إذا ما سكر روعه بعض الشيء رأى أن يقطع الطريق إلى دار علي بن أبي طالب ، فإن كان روح أم كاشوم يست محمد قد رده خائفاً فلعل روح فاطمة تتحرك فيه فروسيته فيكلم

(١) الصريف : صوت الألباب .

له ابن عمه وحبيبه في تجديد العقد وزيادة المدة .

ودخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة وحسن غلام يدب بين يديها فقال :

— يا علي ، إنك أمس القوم في رحما ، وإني قد جئت في حاجة فلا أرجع كما جئت حائبا ، اشفع لي إلى محمد .

— ويحك يا أبا سفيان ! لقد عزم رسول الله ﷺ — على أمر ما نستطيع أن نكلمه .

فالتفت إلى فاطمة فقال :

— يا ابنة محمد هل لك أن تأمرى ابنك هذا فيحجر بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟

— والله ما يبلغ بتي ذلك أن يحجر بين الناس ، وما يحجر أحد على رسول الله .

وتذكر أبو سفيان أن أختها زيب قد أجمعت زوجها العاص بن الربيع فطمع في أن يجيره ، فقال لها :

— أجمري بين الناس .

— إنما أنا امرأة

— قد أجمعت أختك زوجها وأحار ذلك محمد

— إنما ذاك إلى رسول الله .

وفهم أبو سفيان أنها لا تريد أن تجير في الناس حتى لا تعضب أباها ، فإذا يحسن يدخل عليهم ، فالتفت أبو سفيان إلى الحسن والحسين فقال :

— فأمرى صبيان ليس مثلهما يجير .

— إنما هما صبيان ليس مثلهما يجير .

وابتعد على من المكان وهو واثق أن أحدا لا يستطيع أن يكلم رسول الله ﷺ — في أمر أبي سفيان ، فقد قال عليه السلام قبل قدوم شيخ بني أمية : « كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشد العقد ويريد في المدة وهو راجع بسخطه » . وقد جاء أبو سفيان ليشد العقد ويزيد في المدة ولا بد أن يرجع بسخطه كما تنأ رسول الله ﷺ .

وراح أبو سفيان يتنمت بأعين رائية فقد طال مكثه بالمدينة دون أن يصل إلى شيء ، طرق جميع الأبواب فأعلقت في وجهه ، توصل دون جدوى . طلب من ابنة محمد أن تخبره فأبنت وضت بالحسن والحسين ، ولو أن عليا قد أتى أن يكلم له رسول الله عليه السلام فهو آخر أمل . فقال لعاطمة الزهراء : — فكلمي عليا

— فكلمه أنت .

فرحفت إلى حيث كان علي بن أبي طالب كما يرحف الجوان الذي سددت إليه سهام القوم وتركته كالقصف فقال في الكسار :

— يا أبا الحسن اشمع لي إلى محمد وأخري .

— يا أبا سفيان إنه يس أحد من أصحاب رسول الله ﷺ — يفتان على رسول الله ﷺ — بجوار .

وأحسن أبو سفيان أنه يريد أن يقض وأن الأرض قد مادت تحت قدميه . إنه أتى أشراف قريش ولأنصار وكل يقو . جوارى في جوار رسول الله ﷺ — فقال لعلي في صوت أقرب للحيث :

— يا أبا الحسن إني أرى الأمور قد أفسدت علي فاصحني .

— والله لا أعلم لك شيئا يعنى علك ، ولكك سيد بني كنانة فقم وأجر بين الناس ثم الحق بأرصك .

— أو ترى ذلك مغنيا عني شيئا ؟  
 — والله ما أظنه ولكن لا أجد لك غير ذلك .  
 فدخل أبو سفيان في المسجد فقام فقال :  
 — أيها الناس إني أجزت بين الناس .  
 ثم جاء إلى النبي — ﷺ — فقال :  
 — يا محمد إني أجزت بين الناس ، لا والله ما أظن أحدا يخفركني ويرد  
 جوارى .

فقال رسول الله — ﷺ :  
 — أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة .  
 ثم ركب أبو سفيان بعيره لينقب إلى أهله مدحورا وإن كان عروره يزيں  
 له أن أحدا ين يخفّره ويرد جواره .  
 وكانت قريش ترصد مقدمه في قلق فقد طالبت غيبته ، واتهمته قريش أنه  
 صبا واتبع محمدا سرا وكتّم إسلامه ، فلما طوى الأرض التي تفصل بين المدينة  
 ومكة دخل داره بأنيل فاستقلته زوجته هديت عتية وهي متلهمة على سماع  
 أحباره وهو في شوق إليها . فلما دنا منها وحس منها محس الرجل من امرأته  
 قالت له :

— إن كنت مع رسول الإقامة جئتكم بسبح فأنت الرجل . فراح يقص عليها  
 ما كان بينه وبين محمد وأصحابه ، فصربت برحبها في صدره وقالت :

— قبحت رسول قوم ، فلما جئت بخير .  
 فلما أصبح أبو سفيان حلق رأسه عند أساف وبائلة وديع عندهما البدن<sup>(١)</sup>

---

(١) يد جمع مرده بدنه وهي الواحدة من الإبل والبقر كالأصحية تهدي إلى مكة .



ومسح رءوسهما بالدم ليدفع عنه التهمة ، فلما رأته هريش قالوا :  
 — ما وراءك ؟ هل جئت بكتاب من محمد أو عهد ؟  
 — لا والله لقد أتى عليّ ، وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قوماً لملك أطوع  
 منهم له .

وساد الوجوم . ثم قال أبو سفيان ليفر من ذلك الصمت القتال :  
 — جئت محمداً فكلّمته فوالله ما رد عليّ شيئاً ، ثم جئت إلى ابن أبي قحافة  
 فلم أجد فيه خيراً ، ثم جئت عمر بن الخطاب فوجدته أعدى العدو ، ثم جئت  
 علياً فوجدته ألين القوم وقد أشار عليّ بشيء صعبته ، فوالله لا أدرى أيّفى  
 عنى شيئاً أم لا ؟  
 — وبم أمرك ؟

— أمرنى أن أجير بين الناس ، قال لى : لم تلتبس جوار الناس على محمد  
 ولا تحير أنت عليه وأنت سيد قريش وأكبرها وأحقها ألا يخفر جوارك ؟  
 ففعلت .

— فهل أجاز لك ذلك محمد ؟  
 — لا وإنما قال : أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ، والله لم يزدنى .  
 وأحس القوم أن علياً قد سخر منه فقالوا :  
 — رضيت بغير رضا وحثت بما لا تعنى عما ولا عنك شيئاً . ولعمرك الله ما  
 جوارك بمجائز وإن إحصارك إرالة حفارتك<sup>(١)</sup> عليهم هين . والله أراد الرجل أن  
 يلعب بك .

فقال أبو سفيان فى يأس :  
 — والله ما وجدت غير ذلك .

(١) الخفارة : الإجارة والحماية .

كان رسول الله ﷺ — إذا أراد غزوة ورى غيرها ، فلما هم عليه السلام بغزو أهل مكة بعث أبا قتادة في ثمانية نفر من حملتهم يحكم بين جثامة الليثي إلى بطن إضم ليظن ظان أن رسول الله ﷺ — توجه إلى تلك الساحة وتشر بذلك الأخبار .

وانطلق أبو قتادة والذين معه فمر عليهم عامر بن الأضط الأشحعي فسلم عليهم بتحية الإسلام فأمسك عنه القوم ، وحمل عليه محكم فقتله لشيء كان فيه وبيته وسلبه متاعه وبغيره ، ثم ساروا حتى بلغوا بطن إضم فلم يلقوا كيذا ، فقموا راجعين إلى المدينة ليلقوا رسول الله ﷺ — .  
وقال ﷺ لعائشة :

— جهزينا وأخفى أمرك .

فدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهي تعد بعض جهاز رسول الله عليه السلام ، كانت تجعل قمحا سويفا ودقيقا فقال .

— أي بنية ، أمرك رسول الله ﷺ — بتجهيزه ؟

— نعم فتجهز .

— فأين تريه يريد ؟

— لا والله لا أدري .

ودخل عليها رسول الله ﷺ — فقال أبو بكر :

— يا رسول الله أردت سفرا ؟

— نعم .

— أفأُتجهز ؟

— نعم .

— فأين تريد يا رسول الله ؟

— قريشا وانحف ذلك يا أبا بكر .

— يا رسول الله أو ليس بيننا وبينهم مدة ؟

— إنهم قد غدروا ونقضوا العهد . واطو ما ذكرت لك .

ودخل عمر بن الخطاب فسمع أبا بكر يقول :

— هم قومك .

وعلم عمر أن رسول الله — ﷺ — قد عزم على السير إلى مكة فقال :

— نعم هم رأس الكفر ، رعموا أنك ساحر وأنت كذاب . وإيم الله لا

تذل العرب حتى تذل أهل مكة .

وأمر رسول الله — ﷺ — الناس بالهجاز وطوى عنهم الوجه الذي

يريده . وأرسل إلى أهل البادية ومن حوله من المسلمين في كل ناحية يقول

لهم :

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة

فقدمت المدينة من قتائل العرب أسسم وغمار ومريّة وأشجع وجهية ،

حتى إذا ما اكتمل عقد المسلمين أعمم عليه السلام الناس أنه سائر إلى مكة ثم

قال :

— اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نغتها في بلادها اللهم حد

على أسماعهم وأبصارهم فلا يروا إلا بعنة ولا يسمعون بنا إلا فجأة .

ووقف بكل طريق جماعة ليعرف من يمر بها ، وقال هم عليه السلام .

— لا تدعوا أحدا يمر بكم تكروبه إلا ردقموه .

وكان في المسلمين من يشفق على أهل مكة ، فأبو بكر الصديق قال له مشيراً بعدم السير إلى أم القرى : « هم قومك » . فلما أمر عليه السلام بالجد في السير أطاع ولم يخطر له على قلب أن يحذر أهل مكة ، أما حاطب بن أبي بلتعة فقد رأى أن يبعث إلى سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل يخبرهم فيه أن رسول الله — ﷺ — قد خرج قاصدا مكة فكتب : « إن رسول الله قد توجه إليكم بجيش كالليل ، يسير كالسيل . ونقسم بالله لو سار إليكم وحده ليصرنه الله تعالى عليكم فإنه معجز له ما وعده فيكم ، فإن الله تعالى ناصره ووليه ، وقد أحببت أن تكون لي يد بكتابي إليكم .

وراح يفكر فيما يبعث معه بالكتاب فهذه فكره إلى سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب كانت مغنية بمكة وكانت قدمت على رسول الله — ﷺ — المدينة وطلبت منه الميرة وشكت الحاجة ، فقال لها رسول الله — ﷺ — : « ما كان في عنائك ما يعيبك ؟ » فقالت : « إن قريشا مند قتل منهم من قتل بيد تركوا الغناء » . فوصلها — ﷺ — .

واطمأن حاطب إلى سارة وجعل لها جعلاً على أن تبلغ كتابه قريشا ، فجعلته في رأسها ثم قتل عليه قروها خوفاً أن يطلع عليه أحد . وقال لها : — أخفيه ما استطعت ولا تمرى على الطريق فإن عليه حرسا .

فسلكت سارة غير الطريق وهي فرحة بالدنانير العشرة التي أخذتها وبالبردة التي كساها إياها وما ينتظرها من خير لما تصع الكتاب في أيدي سادات قريش . وفيما هي مطلقة إلى مكة أتى رسول الله — ﷺ — — الخبر من السماء مما صنع حاطب فعث عليا والزبير وطلحة والمقداد وعمارا وأبا مرتد فقال :

— اطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ( موضع بين مكة والمدينة ) فإن بها  
ظلية معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين ، فخذوه منها وحلوا  
سبيها ، فإن أبت فاضربوا أعقابها .  
فخرجوا حتى أدركوها فقالوا لها :  
— أين الكتاب ؟

فحلفت بالله ما معها من كتاب . فاستنزلوها وقتلوها واتمسوا في رحلها  
فلم يجدوا شيئا ، فقال لها على كرم الله وجهه :  
— إني أحلف بالله ما كذب رسول الله — ﷺ — قط ولا كذبا ،  
ولتخرجن هذا الكتاب أو لتكشفنك أو أضرب عنقك .  
فلما رأت الجدة منه قالت :  
— أعرض .

فاعرض فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منه وهم يظفرون إليها  
في ارداء ، كانوا جميعا يمتصونها فقد كان ابن حنظل يلقى عليها هجاء رسول  
الله — ﷺ — فتعنى به . وولاً أن رسول الله عليه السلام قال لهم حلوا  
سبيلها لسدد أحندهم إلى قلبها سهما .  
واقبلوا إلى رسول الله — ﷺ — بالكتاب ، فدعا رسول الله — ﷺ —  
حاطبا وعمر بن الخطاب عده ، فقال له :  
— أتعرف هذا الكتاب ؟

— نعم .  
فقال عمر في حدة :  
— يا رسول الله دعني لأضرب عنقه فإن الرجل قد باقى .  
وقال حاطب :

— والله إني لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت .

فنظر إليه عمر في شزر وقال :

— قاتلتك الله ! ترى رسول الله يأخذ بالألقاب وتكتب إلى قريش

تحذره ؟

وقال حاطب :

— ما كفرت منذ أسلمت ، ولا عشت منذ نصحت ، وما أجنبهم مد

فارقتهم .

واشتد غيظ عمر فقال :

— دعني لأضرب عنقه .

فقال رسول الله ﷺ — إلى عمر وهو يطر إلى حاطب س أئى بلنعة

رسوله إلى المقوقس في إشفاق :

— إنه قد شهد بدرا ، وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر

فقال : « اعملوا ما شئتم فقد عفرت لكم » .

وقال حاطب :

— يا رسول الله كنت عرييا في قريش وأمي بين أظهرهم وأردت أن

يحفظوني فيها ، وما فعلت ذلك كعرا بعد إسلام وقد علمت أن الله تعالى مرل

هم بأسه لا يعنى عنهم كتابى شيئا .

فقال رسول الله ﷺ — لمن كانوا عنده .

— إنه قد صدقكم ولا تقولوا له إلا حيرا .

وفاصت عينا عمر باليكاء وأرل الله تعالى : « يا أيها الذين أمموا لا تتخذوا

عدوى وعدوكم أولياء تنقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق

يخرجون الرسول وإياكم أن تؤموا بالله ربكم إن كنتم حرجتم جهدا في سبلى

وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلمت ومن يفعله منكم فقد حبل سواه السبيل ، إن يتقوكم يكونوا لكم أعداء ويسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون . لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم لقيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير <sup>(١)</sup> .

واستحلف — ﷺ — على المدينة ابن أم مكتوم وحرث لثمان عشرة ليلة حلون من رمضان سنة ثمان من الهجرة ، وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلاثمائة فرس ، وكانت الأنصار أربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس ، وكانت مزيه ألفا وفيها مائة فرس ، وكانت أسلم أربعمائة معها ثلاثون فرسا ، وكانت جهينة ثمانمائة ومعها خمسون فرسا .

كان رسول الله — ﷺ — يعي تربية الخيل وقد أمر الله تعالى المسلمين بأن يعدوا لأعداء الله ما استطاعوا من قوة ومن رباط الخيل ليرهبوا عدوا الله وعدوه ، فأنفق المسلمون مدحراتهم في إعداد الخيل والسلاح . وها هم هؤلاء يطوفون إلى مكة على ظهور الخياد لكأنهم في حصون مشيدة .

ورجع قتادة والذين معه إلى المدينة فلغهم أن رسول الله ﷺ — قد توجه إلى مكة ، فمالوا إليه حتى لقوه ، وقصوا عليه ما كان بينهم وبين عامر بن الأضبط الأشجعي وما كان من قتل محكم له بعد أن سلم عليهم بتحية الإسلام وقال رسول الله لمحكم :

— أقتله بعد ما قال إني مسلم !؟

فقال محكم :

— يا رسول الله لو شققت عن قلبه أكننت أعلم ما في قلبه ؟

— فلا أنت قلت ما تكلم به ولا أنت تعلم ما في قلبه .

— استغفر لي يا رسول الله .

— لا عفر الله لك .

فقام يتلقى دمه بيرده وأنزل الله تعالى فيه : « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعبد الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا » (١) .



كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أحياه — ﷺ — من الرضاة ، وكان آلف الناس له عليه السلام قبل النبوة لا يفارقه ، وكان أبو سفيان شاعر بنى هاشم بعد أن مات الزبير بن عبد المطلب وأبو طالب . فلما بعث الله محمداً — ﷺ — رحمة للعباد نفس أبو سفيان بن الحارث على ابن عمه وناصبه العدا . وكان من أشد الناس أذية له — ﷺ .

وكان أبو سفيان بن الحارث يلقي سمعه إلى القرآن فيربو حسده فيسب رسول الله — ﷺ — صوات الله وسلامه عليه ، وقد خرج من قريش في كل حروبها لاین عمه . فأيات الذكر الحكيم كانت تحر روحه فهو في قرارة نفسه يحس إعجاز القرآن وأن شعره لن يصل إليه ، فكان القضاء على محمد هو السبيل لإسكات ذلك السحر الذي نقش في القبائل وعلا صوته في الأسواق على كل الأصوات .

كان رسول الله — ﷺ — خطرا على سلطان أبي سفيان بن حرب وعلى مملكة الشعر التي يريد أن يكون أبو سفيان بن الحارث فارس حبتها وعلى نفوذ رجال الدين وأشراف قريش ، فتكتلوا جميعا لا عن اقتناع بن دفاعا عن مصالحهم المهددة بالبور .

ومرت لسنون وأبو سفيان بن الحارث يرى يهودهم يتقلص على مر الأيام وشأن ابن عمه يعلو ، فكان إذا خلا بنفسه يحاسبها يجد أنه ليس على صواب وأن ابن عمه على الحق . فكانت نفسه تراوده على الإطلاق إلى حيث يعلن ( فتح مكة )

إسلامه كما فعل كثير من قريش ، ولكن حسده كان يتحرك فيلجمه ويحمده عن الصراط .

ودات يوم استطاع أن يقهر حسده وأن ينتصر على نفسه المتمردة فأحد بيد ابنه وانطلق ليلحق برسول الله ﷺ . وبينما هما في الطريق لقيا عبد الله بن أمية بن المغيرة ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب ، أخت أم سلمة أم المؤمنين لأبيها ، فقال له أبو سفيان بن الحارث :

— إلى أين ؟

— إلى رسول الله أشهد شهادة الحق .

كان أكبر القائمين على رسول الله ﷺ — ومن أشد الناس أذية له ، لقد قال له عبد الله بن أمية بن المغيرة بمكة : « والله لا آمنت بك حتى تتحد سلما إلى السماء فتعرج فيها وأنا أنظر إليك تنأق بصك وأربعة ملائكة يشهدون لك أن الله أرسلك » . كان من المستهزئين وكانت سحرته مريرة حتى إن رسول الله ﷺ — لم يس قط إساءته حتى في أروع الحصص الانتصار ، وكان هجاء أبي سفيان بن الحارث قاذعا بدنيا ولطالما صاق به صدره عليه السلام .

ولقي أبو سفيان بن الحارث وابنه وعبد الله بن أمية بن المغيرة جيش المسلمين بالقرب من الأبواء فطلبوا مقابلة رسول الله ﷺ — فلم يأذن لهم ، فقال أبو سفيان :

— والله يأذن لي أو لآخذن بيد ابني هداثم لذهبن في الأرض حتى يموت جوعا وعطشا .

والتقى على بن أبي طالب ناس عمه أبي سفيان بن الحارث ، وذهب عبد الله إلى أخته أم سلمة أم المؤمنين يسألها أن تكلم رسول الله ﷺ — صنوات الله

وسلامه عليه — فيهما ، فلما دخل عليه السلام على أم سعدة قالت له :  
 — لا يكون ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك .  
 — لا حاجة لي بهما . أما ابن عمي فهتك عرضي وأما ابن عمتي فهو اذى  
 قال لي بمكة ما قال .

وقال علي بن أبي طالب لابن عمه أبي سفيان بن الحارث :  
 — أت رسول الله ﷺ — من قبل وجهه فقل له ما قال إحوة يوسف  
 ليوسف : « تالله لقد آثرك الله عليا وإن كنا لخاطئين » (١) فإنه — ﷺ —  
 لا يرضى أن يكون أحد أحسن قولاً منه .

فدخل أبو سفيان بن الحارث على ابن عمته فقال ما علمه علي بن أبي  
 طالب . فقال رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه :  
 — لا تريب عليكم اليوم يعقر الله لكم وهو أرحم الراحمين .  
 وكان أبو سفيان بن الحارث شاعر قريش ، فأشد يعتذر مما كان قد مضى  
 من فعله : .

لعمرك إني يسوم أحمل رابية      لتعب حيل اللات حيل محمد  
 لكالمداخل الحيران أطلسم ليله      فهذا وأنى حين أهدي وأهتدي  
 هداني هاد غير نفسي ودسي      على الحق من طردت كل مطرد  
 فصر رسول الله — ﷺ — في صدره وقال :  
 — أنت طردتني كل مطرد .

واستمر أبو سفيان بن الحارث في إنشاده :

أصد وأناى جاهدا عن محمد      وأدعى وإن لم أنتسب من محمد  
هم ما هم من لم يقل بهواهم      وإن كان ذا رأى يلم ويفسد<sup>(١)</sup>  
أريد لأرضهم ولست بلائط      مع القوم ما لم أمد فى كل مقعد  
فقل لثقيف : لا أريد قاطا      وقل لثقيف تلك : غيرة أوعدى  
قبائل جاءت من بلاد بعيدة      نزاع جاءت من سهام وسردد<sup>(٢)</sup>

ودخل عبد الله بن أمية بن المعيرة على رسول الله عليه السلام وأعني إسلامه ، وكان أبو سفيان بن الحارث لا يرفع رأسه إلى رسول الله — عليه السلام — حياء منه فقد عاداه نحو عشرين سنة يهجوهُ أقذع اهجاء ولم يتخلف أبدا عن قتاله ، بيا كان رسول الله عليه السلام يحبه ويقول :  
— أرحو أن يكون حلفا من حمزة .

كانوا فى رمضان فصام عليه السلام وصام الناس ، وحققه فى لطريق من القبائل بنو أسد ومن أسلم من سبيهم ، حتى إذا كانوا بالكديد أفطر فقد كان الحر شديدا ، وبلغه عليه السلام أن اساس شق عيهم الصيام فستوى — عليه السلام — على راحلته بعد العصر ودعا بإبائه فيه ماء فشرب ثم ناوله رجل بحبه فشرب ، وأبى بعض الناس أن يعطروا فقل له عليه السلام :  
— إن بعض الناس صام .  
— أولئك العصاة .

ثم التفت عليه السلام إلى الصحابة وقال

(١) يعنى : يهطل أو يخرف

(٢) السراع : العرباء ، سهام وسردد : موضعان من أرض عك

— إنيكم قد دنوتم من عبوكم والمطر أقوى لكم .  
 وفي قديد عقد — ﷺ — الألوية والرايات ودفعها للقيائل ثم سار حتى  
 برل بحر الظهران ، وأعصى الله الأحرار عن قريش فلم يعصوا بوصوله إليهم .  
 وأمر — ﷺ — أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار وجعل على الحرس عمر  
 ابن الخطاب .

واندلعت ألسنة النيران فكادت تحيل الليل سهارا . وراح عمر بن الخطاب  
 يفكر فيما كان منه في صلح الحديبية : إنه يرى نفسه والعرق يتصبب منه وهو  
 يشب إلى أبي بكر بعد الصلح ويرى في أعماقه قوله : « أبا بكر ، أليس هو  
 رسول الله ؟ » ويمس وجدانه قول أبي بكر مسا لكأنه اللبس : « بلى » .  
 فيعود صوته يهف في أعماقه : « أوبسوا بالمشركين » . فيسمع قول أبي  
 بكر : « بلى » فيدوى صوته في عين داته يكاد يحصف به : « فلام نمطى  
 الدية في ديسا ؟ ! » .

واستشعر عمر بالدموع تنصر إلى مآقيه ، وعجب في نفسه كيف نبغ به  
 عصبه في ذلك اليوم أن يرد على رسول الله — ﷺ — الكلام حتى إن أبا  
 عبيدة بن الجراح يقول له :

« ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله — ﷺ — يقول ما يقول ؟ تعود  
 بالله من الشيطان الرجيم » .

إنه تعود بالله من الشيطان الرجيم يوم الحديبية وفي النفس شيء . أما وهو  
 على حرس رسول الله — ﷺ — وعشرة آلاف نار تتأجج في مر الظهران  
 على بعد بضعة أميال من مكة فإنه تعود بالله من الشيطان الرجيم وهو نادم ندما  
 صادف على ما فات ، وقد كاذب ساحدا ما تذكر قول رسول الله عليه السلام  
 له . « أما عبد الله ورسوله من أحالف أمره وس يصيغي » .. ولكنه كان على

الحرس فقال في نفسه وقد انتابته رقة أمدت عييه بالدموع :  
« صدقت يا رسول الله » .

وتذكر عمر ما قال لما جاء في الصلح أن من جاء مسلما إلى محمد رده إلى قريش : إنه قال في حدة : « يا رسول الله أترضى بهذا ؟ » فتيسم رسول الله ﷺ — وقال : « من جاءنا منهم فردناه إليهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا » . وقد كان . وأثبت الأيام أنه عيه السلام كان على صواب ، وما يطلق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى .

وصايق عمر أنه لم يستطع أن يستشف ما تأتى به الأيام في ذلك اليوم الشديد ، فيما استطاع مشركا من قريش هما مكرر وحويطب أن يريا ما ستأتى به الأحداث يوم أن جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو إلى المسلمين ، يرسم في الحديد ورمى بنفسه بين أظهرهم ، فجعل المسلمون يرحبون به ويهتفونه ، فلما رأى سهيل أبه قام إليه فأخذ غصا من شجرة به شوك وضرب به وجه أبي جندل ضربا شديدا حتى رق عليه المسلمون وبكوا ، وأحد بتلاييه وقار . يا محمد هذا أول ما أقاضيت عليه أن ترده إلي ، لقد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيتك هذا . قار : صدقت .

رأى مكرر وحويطب ما رأى عمر فقال حويطب لمكرر : ما رأيت قط قوما أشد حائل دخل معهم من أصحاب محمد . أما إنى أقول لا تأخذ من محمد نصفا أبدا بعد هذا اليوم حتى يذحلها عوة . فقال مكرر . وأنا أرى ذلك ، أما هو عمر بن الخطاب ورير رسول الله ﷺ — فقد أعماه العصب . لم ير ما رأى المشركا من فتح قريب . فقد وثب ومشى إلى حسب أنى جندل وأبوه سهيل يحبه يدفعه وصار يقول لأنى جندل : اصبر يا أبا جندل فيما هم للمشركون . وإنما دم أحدكم كدم كلب ومعك لسيف

كان يحرص أبا جندل على قتل أبيه سهيل بن عمرو . ولو أطاعه أبو جندل لحرم المسلمون من أكبر نصر قبل الفتح ، فقد انضم أبو جندل والدين معه إلى أبي بصير وقطعوا طريق قوافل قريش حتى أرغموا سادات قريش على أن يأتوا إلى المدينة وهم صاغرون يلتمسون تعطيل ذلك الشرط الذى ضح منه المسلمون وقالوا دون علم : « مباحان الله ! كيف يرد للمشركين من جاء مسلما ؟ ! » .

وتفاصرت نفس عمر لما دوى في صميره ذلك الحديث الذى كان يبه ويين رسول الله — ﷺ — بعد صلح الحديبية :

يا رسول الله ألم تقل إنك تدخل مكة أما ؟

— بلى . فقلت لكم من عامى هذا ؟

— لا .

— فإنكم تأثوبه وتطوفون به .

وتسمى عمر لو أن صيام لدهر وقيامه وعق ما يصل إليه من رقاب يكون كفارة عما بدر منه في ذلك اليوم الشديد ، ولم يكن وحده الذى اهتز فقد تكلم بعض الصحابة حتى بعد أن برئت سورة الفتح وقال :

— ما هذا بفتح ، لقد صدونا عن البيت وصدد هدينا . فقال — ﷺ —

لما بلغه الكلام :

— بل هو أعظم الفتح ، لقد رضى المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم ، وسألوكم القصية ويرجعوا إليكم في الأمان ، وقد رأوا منكم ما كرهوا وأظفركم الله عليهم وردكم الله سالمين مأجورين ، فهو أعظم الفتح . أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم في أحراكم ؟ أنسيتم يوم لأحرب إذ حاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم إذ راعت

الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتطنون بالله الطنونا ؟

— صدق الله ورسوله فهو أعظم امتوح ، والله يا سبي الله ما فكرنا فيما فكرت ولأنت أعلم بالله وبأمره منا .

وخفت عمر عبراته وراح يسأل نفسه : « لماذا لم ينزل الله السكينة على قلبه كما أنزلها على قلب أبي بكر ؟ » ولكن أين إيمانه من إيمان أبي بكر ؟ لو ورن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرحمهم .

وهب عليه قول أبي بكر كالنسيم :

— يَا أَيُّهَا الرَّحْلُ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ — <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> ، وليس يعصى ربه وهو باصره .

استمسك بعرضه حتى تموت فإني أشهد أنه رسول الله .

وقال عمر وقد فاصت منه أنوار اليقين حتى كادت تملأ ما بين السماء والأرض :

— وأنا أشهد أنه رسول الله .



كان العباس بن عبد المطلب قد أسلم وأخفى إسلامه وبقي ممكّة ليكون قلم  
مخبرات رسول الله ﷺ — يواخيه بأنباء قريش . فلما كان يوم بدر أمر  
رسول الله عليه السلام ألا يقتل العباس إذا ما وقع أسيراً في أيدي المسلمين ،  
لأنه عمه مما كان صلوات الله وسلامه عليه يفرق بين أهله وعامة الناس في  
أمر الدين . بل ليحقن دم مسلم أخفى إسلامه ، ولكيلا يقتل مسلم مسلماً  
وهو لا يدري .

وأخذ عليه السلام من عمه الفداء لكيلا يكشف أمره تركية لماله . وما  
أكثر ما أنفق أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وأغنياء المسلمين من أموال  
في سبيل الله ، وكانت حزاعقي الرس على الدوام بين رسول الله عليه السلام  
وبين عمه ، فقد كان هوى حزاعة مع نبي الإسلام مؤمهم وكافرهم ، فلما  
كان صلح الحديبية لم يخفوا ميلهم ودخلوا في حلف رسول الله ﷺ — صلوات الله  
وسلامه عليه .

وكاد العباس أن يفصح أمره لما جاء الحجاج بن علاط إلى مكة بعد فتح  
حير يستوي أمواله . إنه وجد بشية البيضاء رجالاً من قريش يستمعون  
الأخبار ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ — وقد بلغهم أنه قد سار إلى  
خير ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ريفاً ومنعة ورجالا ، فهم يتحسسون  
الأخبار ويسألون الركبان ، فلما رأوه قالوا :

— الحجاج بن علاط عمده والله الخير . أخبرنا يا أبا محمد فإنه قد بعنا أن

القاطع قد سار إلى حير وهي بلد يهود وريف الحجاز .

— لقد بلعى ذلك وعدى من الحير ما يسركم ، هزم هزيمة لم تسمعوا بمثله قط ، وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا مثله قط ، وأسر محمد أسرا وقالوا لا نقله حتى بعث به إلى مكة فيقتلوه بين أظهرهم عن أصاب من رجالهم . — إن العباس لما سمع الخبر لم يستطع أن ينهض ، فتم تكس فجيعة في ابن أخيه محسب بل كانت فجيعة في رسول الإسلام عليه السلام ، فحين أخرجه من الظلمات إلى النور ، فلما علم أن احتجاج قد ترك ابن أخيه عروسا على صافية بنت حبي بن أحطب وقد افتتح حير أحسن كأما ردت إليه الروح ، فبس حلة له وتخلق وأحد عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة وطاف بها شكرا لله على نصرته ديه ، ثم قال لقريش في اعتذار المسلم .

— لقد فتح محمد حير ، وترك عروسا على ابنة منكهم ، وأحرر أمواهم وما فيها فأصحت له ولأصحابه .

كلام لا يقوله إلا مسلم قوى الإيمان ، وإلا لو كان الدافع إليه رابطة الدم لقال مثله أبو سفيان بن الحارث ابن عم محمد — ﷺ — وهو رفيق صاه . والتقى العباس بابن أخيه قبل ذلك في عمرة القضاء وكانت بينهما حاجة ، أفضى العباس إلى ابن أخيه عما كان وأبأ عليه السلام عمه بما سيكون . وخرج رسول الله عليه السلام في جيش من الأبرار لفتح مكة وكان عمه العباس هناك . إنه الفتح ولن يكون بعده هجرة ؛ فإن لم يخرج عمه إليه من مكة قبل أن يدخلها عليه السلام فلن تكون له هجرة ولن يكون له ثواب المهاجرين فيبعث إليه عليه السلام سرا أن يخرج مهاجرا ليكون له الثواب الذي يستحقه بعد كل ما أدى للإسلام من خدمات في الحقاء ، فلم تعد هناك حاجة لخدماته وقد أصبح فتح مكة على الأبواب .

وحرّح العباس في غفنة من قريش بعياله مهاجرا فلقى رسول الله ﷺ — بالحجفة ، فاستقبل عليه السلام عمه وقد غمره الفرح فقال .  
— هجرتك يا عم آخر هجرة .

وبالعباس الخراء الأوفى ورجع معه عليه السلام إلى مكة ليكون له فضل الجهاد إلى فصل الإسلام والمهجرة . وأرسل أمه وثقله إلى المدينة حتى إذا ما رل المسلمون بمر الطهران وأوقدوا النيران رق قلب العباس لأهل مكة وقال :

— واصباح قريش ! والله لئن دخل رسول الله ﷺ — مكة عنوة قل أن يأتوه فيستأسوه إنه هلاك قريش إلى آخر الدهر .

فحس العباس على بعة رسول الله ﷺ — البيضاء فخرج عليها وأنسنة البران نراقص وسار على صوئها حتى جاء الأراك فقال  
— لعلي أجد بعض الخطابة أو صاحب لس أو ذا حاجة يأتي مكة يخبرهم بمكان رسول الله ﷺ — ليحرجوا إليه فيستأسموه قل أن يدخلها عوة .  
وكانت قريش قد علمت بمسيرة رسول الله ﷺ — ولم يعموا إلى أي جهة . وكانوا يرتحمون فرقا بعد أن نقصوا العهد وأحقت سفارة أبي سفيان في مد المدة وتجديد العقد من أن يعرفهم ، فبعثوا أبا سفيان بن حرب يتحسس الأخبار وقالوا له :

— إن لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا .

فخرج أبا سفيان وحكيم بن حزام يتحسسان الأحبار ، ويساهما في الطريق لقيما بديل بن ورقاء فاستصحباه وانطلقوا يبطرون هل يجدون حبرا أو يسمعون به .

كان بديل يرجو من كل قلبه أن يكون رسول الله ﷺ — قد سار

إلى مكة ، فقد خرج بديل مع وفد حراة إلى المدينة بعد أن أغارت ببو بكر على حراة وعاونتهم في ذلك قريش وقد وعد عليه السلام عمرو بن سالم بالنصر وما أحلف — صلوات الله وسلامه عليه — وعدا قط . وكان أبو سفيان يتقدم في هجعة الليل وقد اشتد وجيب قلبه وما يدرى علة ذلك الخوف ، فما بلغ قريش مسيره ولكن أبا سفيان كان يستشعر في قرارة نفسه أن رعامته على قريش باتت في يد القدر ، فلو أن محمدا سار إلى مكة لا نهى كل شيء . وكان حكيم بن حزام شاردا للربح حائفا على نفسه لا يدرى سببا لانقياده لأبي سفيان بعد أن فكر في الإسلام طويلا فأنشراح له صدره . إنه لو أنصف نفسه من نفسه لهرع إلى المدينة يعلن على الملأ إسلامه كما فعل كثير من سادات قريش . ورأوا على البعد ألسنة البيران فأغدوا السير ، وصك آدامهم صهيل الخيل لكانه الرعد فراعهم ما سمعوا وراحوا يقلون وحوهم في العسكر . فانتاب أبا سفيان قلق وأحس بديل أن رسول الله عليه السلام قد أقبل لعزو مكة ولاء لما وعد به عمرو بن سالم فغمره سرور وإن جاهد حتى يخفى عن صاحبيه ما اعتمس في صدره من فرح ، وظل حكيم بن حزام يهر المكان في دهشة . وقال أبو سفيان :

— ما رأيت كالليلة نيرا قط ولا عسكرا . هذه كنيران عرفة .

عشرة آلاف نار كانت تتأحج في جوف الليل ، إن أبا سفيان لم ير مثل هذه لنيران إلا في موسم الحج في عرفة ، إنه لا يدرى من القوم ولماذا تجمعوا ، وكان كل ما يحس به أنه يرتجف خوفا من الرأس إلى القدم . وقال حكيم بن حزام :

— هذه والله خراة حمشت الحرب .

فقال أبو سفيان ولم يفق من دهشته :

— خراعة أدل وأقل من أن تكون هذه ميراثا وعسكرها .

وارتفع صوت في سكون الليل ينادى :

— يا أبا حطلة .

فالتفت أبو سفيان ناحية الصوت . إنه صوت العباس وقد عرفه فالعباس

صديقه ونديمه ، فقال :

— أبو الفضل ؟

— نعم .

— مالك هناك أبي وأمي !

— والله هذا رسول الله ﷺ — في الناس قد جاءكم عما لا قبل لكم به .

فقال أبو سفيان في يأس :

واصباح قريش والله ! مما الخيلة مذاك أبي وأمي ؟

— والله لمن طعرتك ليصربك عقت ، فاركب في عجز هذه البعلة حتى

أتبك رسول الله ﷺ — فأستأمنه ثم

فركب أبو سفيان حلف العباس ورجع صاحبه ، فجاء به كما مرا بار

من يران المسلمين قالوا :

— من هذا ؟

— وإذا رأوا بعلة رسول الله ﷺ — والعباس عبيها قالوا .

— عم رسول الله ﷺ — على بغلته .

حتى مرا على يرون عمر وكان على الحرس ، فقال .

— من هذا ؟

وقام إلى العباس ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال .

— أبو سفيان ! عدو الله ، الحمد لله الذي أمكنك من غير عقد ولا

عهد .

ثم راح يشده نحو رسول الله ﷺ ، فركعت ابغلة فسبقته وراح عمر يعدو حلمها . وكان سباق بين العباس وعمر إلى رسول الله ﷺ — صلوات الله وسلامه عليه ، العباس يريد أن يستأمن لصديقه وندبته رسول الله عليه السلام ، وعمر يريد أن يأخذ منه الأمر بقتل عدو الله . ودخل العباس على رسول الله ﷺ — ودخل عمر في أثره ، فقال وهو يلتقط أنفاسه :

— هذا أبو سفيان وقد أمكن الله منه من غير عقد ولا عهد ، مدعى لأضرب عنقه .

فطر العباس إلى عمر في يكار ، ثم التفت إلى رسول الله ﷺ — صلوات الله وسلامه عليه — فقال :

— يا رسول الله إني قد أجرته .

ثم جلس إلى رسول الله ﷺ — فأخذ رأسه فقال في نفسه : « والله لا ياجيه الليلة رجل دوى » . فعاد عمر يقول رسول الله عليه السلام :

— دعني لأضرب عنقه .

فقال العباس في غضب :

— مهلا يا عمر ، هو الله لو كان من رجال بني عدى بن كعب ما قلت مثل هذا ، ولكم قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف .

فقال عمر في برات صادقة :

— مهلا يا عباس ، هو الله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلى من إسلام

الخطاب لو أسلم . وما لي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ — من إسلام الخطاب لو أسلم .

فقال رسول الله — ﷺ :

— أذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فائتني به .

ودهب العباس بأبي سفيان إلى رحله . فلم يعرف أبو سفيان السوم ورحلت الأفكار تشال على رأسه ، فتذكر فيما تذكر قول أمية بن أبي الصلت له : « لكأنى بث يا أبا سفيان إن خالفته قد ربطت كما يربط الحدى حتى يؤتى بث إليه فيحكم فيك بما يريد » . فاستشعر أبو سفيان أمي ، إنه نام في حيام العباس يحس ضياعا لا يدري أيصفى محمد إلى شفاعته أم يستجيب لدعوة عمر فيصرب عقه

إنه يوم أن جاء الخحاج بن علاط يبشرهم بهزيمة محمد وبأسره وأن أهل حبير قالوا : لا يقتله حتى نعت به إلى مكة فيقتلوه بين أظهرهم بم أصاب من رجاهم مهمل بالفرح ، وعزم على أن يقتل محمدا على املا ليشفى غلبه وعليلهم ، وإنه لو كان في مكان محمد ما عفا أبدا عن عدوه الذى ناصبه العداة منذ أول يوم رعم فيه أنه نبى مرسل . إنه ساق الحيوش وجمع الأحزاب ليستأصل شأفته ، ولو كان قد قدر به أن يتصر فما كان ليتردد لحظة في صرب عقه الذى هرق بين الأب وبيه والروح وزوجته وجاهد ليستل منه زعامته .

وبات يقبس تصرف رسول الله — صوات الله وسلامه عليه — بمقاييسه فرأى أنه هالك ، فحزن حتى الموت وتمنى بكل عواصفه لو أن الدنيا لا تشرق لها شمس ولا يطلع عليها نهار

وراح بلال يرمي السجوم ويرصد الشمس حتى إذا ما بدأ مولد العجر أذن بالصلاة فثار الناس ، ففرع أبو سفيان وقال لعباس -

— يا أبا لفصل ما للناس أمروا فى بشىء ؟

— لا ولكنهم قاموا إلى الصلاة .

وأمر رسول الله المسلمين ووقف أبو سفيان بباب الخيمة ينظر ، رآهم يركعون إذا ركع ويسجدون إذا سجد ويهرعون إليه يلقون إليه الأسماع إذا ما قضيت الصلاة وينفدون ما يأمرهم به مستبشرين . فلما عاد العباس إلى رحله بعد الصلاة قال له أبو سفيان :

— ما رأيت ملكا مثل هذا ، لا ملك كسرى ولا ملك قيصر ولا ملك بنى الأصفر .

وظل أبو سفيان مشدوها برهة حتى قال له العباس :

— كذب في قومك هل عنده من عفو عنهم .

فانطلق العباس بأبي سفيان حتى أدخله على رسول الله ﷺ — فقال له — ﷺ :

— ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأت لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟

— بلى أت وأمي ، ما أحلمت وأكرمك وأوصلك ! لقد ظلت أنه لو

كان مع الله إله غيره لما أغنى عني شيئا بعد .

— ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأت لك أن تعلم أني رسول الله ؟

لو أقر له بالرسالة فقد ذهب رعامته ودالت دولته وقد حارب السنين في سبيلها فقال :

— والله إن هذه في النفس منها شيئا .

كان أبو سفيان يطمع في أن يرجي محمد عليه السلام اعترافه بنبوته لما رأى من حلمه وعفوه ، فمن يدرى فقد تأتى الرياح ذات يوم بما يشتهي وتعصف بالإسلام والمسلمين فتظل له السيادة على قومه ولا يذهب شرفه بهم .

ورأى العباس الشر في عيني عمر فقال لصديقه ويديه :



— ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب  
عقلك .

عقه ؟! نه عنده أهم من كل شرف ومن كل رعمة ، وإن ابن الخطاب  
ليتحرق شوقا إلى ضربه فقال :

— أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله .  
وكان صوته خافتا يترأسى .

ودبت الحياة في العسكر ، وراح الناس يتأهبون للانطلاق إلى مكة وقد  
حفقت القلوب في الصدور فعبير الأرض المقدسة بملأ السموس ، وقد لاح  
الفتح للأعين فإن هي إلا بصعة أميال ثم يتحقق حلم السنين .

وظافت بالرعوس ذكريات ، والتف حول الرسول أصحابه يصغون إلى  
أوامره وهم يتذكرون كل ما قاله في الليل . قال فيما قال : « إن بمكة أربعة نفر  
من قريش أربأ بهم عن الشرك وأرغب بهم في الإسلام : عتاب بن أسيد ،  
وجبير بن مطعم ، وحكيم بن حرام ، وسهيل بن عمرو » . فشعلت العقول  
بمكارم هؤلاء الرجال وإن كانوا لهم أعداء .

وتجهز المسلمون بنسير فانتاب أبا سفيان قلق شديد فلا قبل لقريش هؤلاء  
الرجال ، فذهب إلى رسول الله ﷺ — وقال :

— يا رسول الله ادع الناس بالآمان ، أرأيت إن اعتزلت قريش فكفت  
أيديها آمنون هم ؟

— نعم من كف يده وأغلق داره فهو آمن .

وكان العباس أعرف الناس بسديته وصديقه فقال :

— يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفجر فاجعل له شيئاً

— نعم : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو

آمن ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن .

فقال أبو سفيان وهو شارد :

— ما تسع دارى وما يسع المسجد ؟  
كان رسول الله ﷺ — عقد لأنى رويحة الذى آحى عليه السلام بينه  
وبين بلال لواء فأمره أن ينادى :

— من دخل تحت لواء أنى رويحة فهو آمن .  
فاستشر أبو سفيان راحة وقال :

— هذه واسعة

وتأهبت القبائل لسير فقال — ﷺ — لعنه العباس :

— أحسنه عصيق الوادى حتى تمر به جود الله فيراها .

ووقف العباس وأبو سفيان بمضيق الوادى ، وأقبل خالد بن الوليد فى نسى  
سليم حتى إذا ما مرت بأبى سفيان وأصاحت عند محاذاته ارتفعت الأصوات  
مدوية .

— الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .

فقال :

— يا عباس من هؤلاء ؟

— هذا خالد بن الوليد .

— العلامة ؟

— نعم .

— ومن معه ؟

— بنو سليم

— ما لى ولى سليم ؟

ثم مر على أثره الربيز بن لعمام فى خمسمائة من المهاجرين وفتيان العرب ،  
حتى إذا ما صاروا عند محاذاته بطلقت الأصوات من الحاحر :

— الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .

فقال أبو سفيان :

— من هؤلاء ؟

— الربير

— ابن أختك ؟

— نعم .

ثم مرت بنو غمار ثم أسلم ثم بكع ثم مربة ثم جهينة ثم كنانة ثم أشجع  
والنكير يرتفع ليلبع عمان السماء . ولما مرت أشجع قال أبو سفيان لعباس .

— هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد .

— أدخل الله الإسلام قلوبهم فهذا فضل الله .

وأقبل رسول الله ﷺ — في كتيبة أحصراء فيها المهاجرون والأنصار

لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فيها ألفا دارع وعمر بن الخطاب يقول :

— رويدا حتى يلحق أولكم آخركم .

فجعل أبو سفيان يظفر وهو مشدوه ثم قال :

— يا عباس من هؤلاء ؟

— هذا رسول الله ﷺ في الأنصار

— ما لأحد هؤلاء قبل ولا طاقة .

وراح يقف وحده في الكتيبة المحصورة وقد نارت أعمالاته ، كان يرتفع

مرفقا على قرش وكان يمتلىء دهشة من عظم ذلك الجيش الذي كونه رسول

الله ، فالتفت إلى العباس وقال :

— والله يا أبا الفصل لقد أصبح منك ابن أخيك اليوم عظيما

— يا أبا سفيان إنها السورة .

— نعم إذن .

وكانت مع سعد بن عبادَةَ راية رسول الله ، ولما مر بأبى سفيان وحاداه  
قال :

— يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة ، اليوم سنحل الحرمه ، اليوم أدل الله  
قريشا .

فلما مر بأبى سفيان رسول الله — ﷺ — وحاداه ناداه أبو سفيان :  
— يا رسول الله أمرت بقتل قومك ؟ فإنه رعم سعد ومن معه حين مر بنا  
أنه قاتلنا فإنه قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم سنحل الحرمه ، اليوم أدل الله  
قريشا ، أنشدك الله في قومك فأنت أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم .

فقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف :

— يا رسول الله فإنا لا نأمن من سعد أن يكون له في قريش صولة .

فقال رسول الله — ﷺ — :

— يا أبا سفيان كذب سعد : اليوم يوم المرحمة ، اليوم أعر الله فيه

قريشا .

وأرسل رسول الله — ﷺ — على بن أبى طالب إلى سعد بن عبادَةَ أن يرع  
النواء منه ويدفعه لابنه قيس ، فأبى سعد أن يسلم اللواء إلا بأمرة من رسول  
الله — ﷺ — ، فأرسل عليه السلام بعمامته فدفع اللواء لابنه قيس .

وساد السكون لحطة ، ثم قال العباس لأبى سفيان .

— النجاء إلى قومك .

فامتطى أبو سفيان راحته وانطلق يعدو حتى دخل مكة ، فراح يصرخ  
بأعلى صوته :

— يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار

أبى سفيان فهو آمن .

ودقت القلوب في شدة في الصدور ، وتعلقت الأعين بسيد قريش الذي جاء يعدو يحذر قومه ويدعوهم للأمان ، ورن صوت أبى سفيان في دور مكة وصك أذن زوجه هند بست عتبة ، فثار غضبها ، فخرجت تشتد إلى حيث كان زوجها وقد كادت تنفجر حقا ، إنها تعيش على أمل أن تثار من محمد وصحبه لمقتل أبيها عتبة وعمها شيبة وأخيها الوليد . إنها كانت تؤجج نار الحقد في صدر زوجها كلما خبت . أو تقبل أن ينتهي كفاح السير بالتسليم ؟ إنها لن تقبل هذا الذل أبدا .

وبلعت مكان أبى سفيان وهي حارقة أعماها العصب ، فأخذت بلحيته

ونادت :

— يا آل غالب اقتلوا الشيخ الأحمق .

ثم قالت لزوجها :

— قبحت من طليعة قوم .

وهرع الناس إليها فقالت هند :

— هلا قاتنتم ودفعتم عن أنفسكم وبلادكم ؟

فقال لها أبو سفيان في حدة :

— اسكتي وادخلي بيتك .

ثم التفت إلى الناس وقال :

— ويحكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به .

من دخل دار أبى سفيان فهو آمن .

فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد ، وهرع أناس فقد بلعهم أن السبي —

عليه السلام — أمر بقتلهم وإن وحدوا متعلقين بأستار الكعبة كانوا ستة نفر وأربع

نسوة مهم : عبد الله بن أبي سرح أخو عثمان بن عفان من الرضاعة وكان فارس بن عامر وكان من كتاب الوحي ثم رعم أنه يكتب على هواه ثم ارتد عن الإسلام ، وعبد الله بن حنظل وفيتاه وكان يهجو رسول الله عليه السلام هجاء قاذعاً وكانت قيناه تغيان ذلك الهجاء . وعكرمة بن أبي جهل وكان ألد الخصام ، والحويرث بن نفيل ومقيس بن حبابة ، وهبار بن الأسود ، وكان قد أفرع زيب بنت محمد عبد هجرتها إلى المدينة وكانت حاملاً فأصابها نزيف كان يعاودها لم ينقطع حتى ذلك اليوم ، وكعب بن زهير وكان لا يفتأ يظم القصائد في ذم محمد عليه السلام والمسلمين ، والحارث بن هشام وهو أخو أبي جهل وكان يتربص بالمسلمين ادوائر ليثأر لأحبه ، وزهير بن أمية ، وسارة مولاة لبعض بني عبد المطلب حاملة كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش ، إنها مولاة عمرو بن صمى بن هاشم بن عبد مناف ، وإسهاأت رسول الله — ﷺ — من مكة إلى المدينة ورسول الله — ﷺ — يتحجر لفتح مكة ، فقال لها رسول الله — ﷺ —

— أمسلمة جئت ؟

— لا .

— أمهاجرة جئت ؟

— لا .

— فما حاجتك ؟

— كنت كثيرة العشيرة والأهل والدرالي ، وفد ذهبت موالتي واحتجت حاجة شديدة فقدمت عبيكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني .

— فأين أنت من شباب مكة ؟

وكانت معية نائحة قالت .

— ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر .

فحث رسول الله — ﷺ — بني عبد المطلب وبني المطلب فكسوها وحملوها وأعطاها نفقة ، فأثاها حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العري فكتب معها إلى أهل مكة كتابا ، ولم تحمد لرسول الله — ﷺ — عصفه وبره بل راحت تتغنى بهجاء النبي — صلوات الله وسلامه عليه — حتى بعد أن أطلقت لما وجد الكتاب في فرونها ، وصفوان بن أمية وكان أكثر سادات قريش عداء لرسول الله — صلوات الله وسلامه عليه — فهو في كل وقت يبدى عداوته ويؤدى المسلمين ماله وبده ولسانه ، وزهير بن أبي سلمى ، وهند بنت عتبة ، ووحشى .

وجمع صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو أنسا بالخدمة وهو جيل مكة ليقاتلوا لا دفاعا عن مكة ولا الحرم بل عن أعناقهم ، وروح حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يعد سلاحه ويرى سه ويصلح من شأنه ، فقالت له امرأته مستهزئة :

— لماذا نعد ما أرى ؟

— لحمد وأصحابه .

— والله ما أراه يقوم لحمد وأصحابه شيء .

فقال في انفعال :

— لأخدمك حادما من بعض من نأسره .

— والله لكأنى بك وقد رجعت تطلب محبا أحببتك فيه لو رأيت حيل

محمد .

وأمر رسول الله — ﷺ — خالد بن الوليد أن يدخل مع حملة من قائل العرب من أسفل مكة ، وأن يفرر رايته عند أدنى البيوت وقال :



— لا تقتلوا إلا من قاتلكم .

وجعل — ﷺ — الزبير على إحدى المحبتين وحالدا على الأخرى وأبا عبيدة على الرحالة ، وأعطى الزبير راية وأمره أن يعررها بالحقون لا يروح حتى يأتيه في ذلك المخل . وتقدم خالد والزبير ، وعمر خالد رايته عند أدنى البيوت ، وعمر الزبير رايته بالحقون وانتظر حتى وافاه رسول الله — ﷺ — وبى هناك مسجدا عرف فيما بعد بمسجد الراية .

وما وقف رسول الله — ﷺ — على دى طوى ، قال أبو قحافة لابنه له من أصغر ولده :

— أى بنية ، إظهرى لى على جبل أنى قيس

وكان قد كف بصره ، فأشرفت عليه فقال لها :

— أى بنية ماذا ترى ؟

— أرى سوادا محتما .

— تلك الخيل

— وأرى رجلا يسعى بين يدى ذلك السواد مقبلا ومدبرا

— ذلك الوارع ( الذى يأمر الخيل ويتقدم إليها ) .

— قد والله انتشر السواد .

— قد والله إذا دفعت الخيل ، فأسرعى لى لى يتي .

فاحتطت به ، وتلقاه الخيل فل أن يصل إلى بيته وفي عقبه حارية طوق

من قصة ، فتنقاها رجل فاقطعه من عقها ، فانطقت بأبيها لا تلوى على

شئ ، وبقيت في الدار ترصد مقدم أحبها أنى بكر الصديق :

كان رسول الله على راحته معتبرا بشقة تُرد حمراء وبه ليصع رأسه

تواصعا لله تعالى حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، وراح صرار بن الخطاب

يرنو إلى رسول الله ﷺ — في حب بعد أن قال عليه السلام لأبي سعيد .

— يا أبا سفيان اليوم يوم الرحمة ، اليوم أعز الله فيه قريش .

فهرت أريحية رسول الله ﷺ — عدو الأُمس صرار بن الخطاطب البدي  
فعل بالمسلمين الأفاعيل يوم أحد ، فقال :

يا نبى الهدى إليك حا	حسى قريش ولات حين لحاء
حين ضاقت عليهم سعة الأر	ض وعاداهم إله السماء
والتقت حلقتا البطان على القو	م ونودوا بالصيلم الصلعاء <sup>(١)</sup>
إن سعدا يريد قاصمة الطهـ	ر بأهل الحجون والبطحاء
تخرجى لو يستطيع من الغيـ	ظ رمانا بالسر والعواء <sup>(٢)</sup>
وعر الصدر لا بهم بشىء	غير سفك الدما وهتك النساء
قد تلتطى على المطاح وحاءت	عنه هد بالسوء السواء
إدى يادى بدل حسى قريش	وابن حرب بدا من لشهداء
فائن أقحم اللواء ونادى	يا حماة اللواء أهل اللواء
ثم ثابت إليه من يهم الخـ	رج والأوس أنجم الهيجاء
لتكونن بالبطاح قريش	فقمة <sup>(٣)</sup> القاع فى أكف الإماء
فأبيه فإنه أسد الأسـ	د لدى العاب والغب فى الدماء
إنه مطرق يريد لنا الأمـ	ر سكوتا كالحيئة الصماء
فأرسل رسول الله ﷺ — إلى سعد بن عبادـة فزع اللواء من يده وجمعه	

(١) تنبت حنظل البصل مثل فى بنوع الأمر . حرام يجعل تحت بطن  
البعير . والصيلم : الداهية الشديدة

(٢) السر والعواء : كوكبان

(٣) الفقمة : ضرب من الكمأة وهى البيضاء الرخوة يشبه بها الرحمن الدليل

بيد قيس ابنه . ورأى رسول الله ﷺ — أن اللواء لم يخرج عنه إذ صار إلى ابنه .

ووقف خالد بن الوليد والذين معه حيث عزز رايته وراح يدعو صفوان وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل ومن معهم من قريش إلى الإسلام ، فكان ردهم أن رموا المسلمين بالنبل . وكف خالد ما استطاع ولكن صفوان والذين معه شرعوا أسدحتهم للقتال ومشوا إلى المسلمين مشى الوعول ، فلم يجد خالد بداً من أن يقاتل من قاتلوه فأعمل فيهم السيف فقتل منهم أناساً ، واستمر يدفعهم إلى أن وصل الجزيرة إلى باب المسجد ، وصعدت طائفة منهم الحبل فتبعهم المسمومون . فرأى ﷺ — وهو على العقبة بارقة السيوف فقال :

— ما هذا وقد هبت عن القتال ؟

ف قيل له :

— لعل خالد قاتل ويدي في القتال فلم يكره بد من أن يقاتل من قاتله . وما كان يا رسول الله ﷺ يحالف أمرك .

وقتل خالد من المشركين أربعة وعشرين من قريش وأربعة من هذيل . وبعث رسول الله ﷺ — إلى خالد وقال له :

— لم قاتلت وقد هبت عن القتال ؟

— هم يا رسول الله ﷺ بدعونا بالقتال ورمونا بالنبل ووضعوا السلاح ، وقد كهفت ما استطعت ودعوتهم إلى الإسلام فأبوا ، حتى إذا لم أجد بداً من أن أقاتلهم فظفرت بهم فهربوا من كل وجه .

وفر حماس بن قيس بن خالد أخو بكر يترقب من الخوف بعد أن شهد يوم الحديدة ورأى سيوف المسلمين نخصد الرجال ، واستمر يعدو مبهور الأنفاس

حتى دخل على امرأته وقال وهو يرتحف من الرعب :

— أغلقتى على بائى .

وتذكرت زوجه قوله :

إن يقبلوا اليوم فما على هذا سلاح كامل وآلة<sup>(١)</sup>

وذو غرارين<sup>(٢)</sup> سريع السلّة

فقلت فى هزء .

— فأين الذى كنت تقول ؟ أين الخادم الذى وعدتني ؟

فقل :

إبك لو شهدت يوم الخدمة إدھر صفوان وھر عكرمة

وأبو يريد قائم كالوثة واستقلتنا بالسيوف المسلمة

يقطعن كل ساعد ومحمة صربا فلا تسمع إلا عممة

لهم نهبت<sup>(٣)</sup> حلما وهممة لا نطقى فى اللوم ذلى كلمة

وهرب هيرة بن أبى وهب روح أم هانئ بنت أبى طالب أحت على لأبويه

إلى نجران ، وقال معتذرا عن فراره :

لعمرك ما وليت طهرى محمدا وأصحابه حبا ولا حيفة القنصل

ولكسى قلبت أمرى فلم أحد نسيه عاء إن صرت ولا بلى

وقففت فلما حمت صيغة موقفى رحعت لعود كاهربى إلى الشبل

(١) لآله : جمع أداة الحرب .

(٢) الغرار : حد الرمح .

(٣) النهبت : رثى الأسد

دخل — ﷺ — مكة وهو راكب على ناقته القصواء مردها أسامة بن زيد  
بكرة يوم الجمعة ، وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه بغير  
إحرام ، ولواؤه أبيض ورايته العقاب سوداء قد شهدت حير والفتح . ودخل  
عليه السلام من كداء واصعاً رأسه على رحله تواضعاً لله ثم قال .  
— اللهم إن العيش عيش الآخرة .

وتقدم المهاجرون والأنصار : وكان شعار المهاجرين يا بني عبد الرحمن ،  
وشعار الخرج يا بني عبد الله . وشعار الأوس يا بني عبد الله ، ولم يكن قتال  
فكان شعارهم الذي يعرف به بعضهم بعضاً في ظلمة الليل . حتى إذا ما بلغ  
الحجون موضع ما غرر الربيع رايه عبد شعب ألى طالب طافت برأسه عليه  
السلام ذكريات : رأى أيام الشدة ، أيام أن حصرت قريش في الشعب سى  
هاشم وبني المطلب وتعاهدت قريش على أن لا يبيعوهم ولا يتناعوا منهم ولا  
يزوجوهم ولا يتزوجوا منهم ، فاعرورقت عينه بالدموع ، ووقف فحمد الله  
وأثنى عليه ونظر إلى موضع قبته والتفت إلى جابر وقال .  
— هذا مرلنا يا جابر حيث تقاسم قريش علينا .

فذكر جابر حديث المقاطعة وكان سمعه منه — ﷺ — قبل ذلك  
بالمدينة ، ونزل عليه السلام في قبة من آدم صربت له هناك ومعه فيها أم سلمة  
وميمونة وروحته — ﷺ — ، وما كاد يستقر حتى تذكر حديث أسامة بن  
زيد :

— يا رسول الله أين تنزل ؟ غدا تمرل في دارك .

— وهل ترك لنا عقيل من دار ؟

ثم سار — ﷺ — وإلى جانبه أبو بكر رضي الله عنه يحادثه ويقرأ سورة الفتح حتى جاء البيت وطاف به سعا على راحلته ، ومحمد بن مسلمة أحد بزماتها ليستلم الحجر بمحجر في يده ، وكان على الكعبة ثلاثمائة وستون صنما لكل حي من أحياء العرب صمم قد شدت أقدامها بالرصاص . فجاء رسول الله — ﷺ — معه قصيب فجعل يهوى به إلى كل صنم منها فيحرق لوجهه وهو يقول :

— حاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا .

وبقى هل في جوف الكعبة وقد أرحى الليل سدوه ، فقال — ﷺ —  
لعل كرم الله وجهه :

— اصعد على منكبي واهدم الصمم .

— يا رسول الله بل اصعد أنت فإني أكرمك أن أعوك .

— فاصعد أنت .

فجلس النبي — ﷺ — فصعد على كرم الله وجهه على كاهله ثم هص به ، فحيل لعل حين هص به أنه لو شاء لنال أفق السماء ، فصعد فوق طهر الكعبة ونحى رسول الله — ﷺ — وراح على يعالج الصمم حتى تمكن من رفعه فأنقاه على الأرض وأبو سفيان يطرور رسول الله يقول .

— حاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا .

فالتفت الربير بن العوام إلى أبي سفيان وقال

— قد كسر هل ، أما بك قد كست في يوم أحد في عرور حين ترعم أنه

قد أنعم .

فقال أبو سفيان :

— دعنى ولا توبخنى ، لو كان مع إله محمد إله آخر لكان الأمر غير ذلك .  
واطلق المسلمون يدفون إلى الكعبة دقيف النسور ويحنون إليها حين الطير  
إلى يصيها لهم عجيج<sup>(١)</sup> مطلق من أفدة عامرة بأنوار اليقين ، على الشفاه  
تسيح وفي أفاق الدموع ، وعمر بن الخطاب مستبشر بالفتح يعكر صعاءه  
ذكريات يوم الحديبية ، يلوم نفسه على تلك الثورة العارمة التى ثارها لما وقع  
الصبح ، فما استطاع أن يرى أن ذلك الصلح هو النصر والفتح المبين .  
وراح يقرأ سورة الفتح وقد سجدت كل مشاعره لله ، وراح يدعو الله أن  
يعمر له ما كان منه ويدبر الصوم وفك الرقاب لعل ذلك يكون كفارة عما بدر  
منه فى ذلك اليوم الشديد .

وأرسل عليه الصلاة والسلام بلالاً إلى عثمان بن أبى طلحة يأتى بمحتاج  
الكعبة ، فجاء إلى عثمان فأخبره فقال .

— إنه عند أُمى .

مرجع بلال إلى رسول الله ﷺ — فاحره أن المفتاح عند أمه ، فبعث  
إليها رسولاً فقالت :

— لا واللات والعزى لا أدفعه أبدا .

فقال عثمان :

— يا رسول الله أرسلنى أحلصه لك منها .

فأرسله فجاء إليها فطلبه منها فقالت :

(١) العجيج : الصراخ .

— لا واللوات والعري لا أوصله إليك أبدا .

— يا أمه ادفعيه إلي فإنه قد جاء أمر غير ما كنا عليه إن لم تفعل قُتلت أنا وأخى ويأخذه منك غیری .

فأدخلته حجرها وقالت :

— أى رجل يدخل يده ههنا ؟ أشدك الله أن يكون ذهاب باثرة قومك على يديك .

كان رسول الله ﷺ قائما ينتظر حتى إنه ليتحدر منه كالجمام من العرق ، فلما رأى أبو بكر وعمر ذلك انطلقا إلى دارها ، فبينا عثمان بن أبى طلحة يحاور أمه إذ سمعت صوت أبى بكر وعمر في الدار ، وعمر رافعا صوته وهو يقول :

— يا عثمان اخرج .

فقامت :

— يا بى خذ المفتاح فإن تأخذه أحب إلي من أن تأخذه تيم وعندي .  
فأخذه عثمان وحرص يمشى حتى إذا كان قريبا من وجه رسول الله ﷺ ، فاستقبله عثمان ببشر واستقبله عليه السلام ببشر فأخذ منه المفتاح ، فلما أحده قال .

— ادعوا إلي عمر .

فجاء فقل له — ﷺ — ومفتاح الكعبة في يده :

— هذا الذي قلت لكم .

ودخل — ﷺ — هو وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة ، وكان خالد بن الوليد يذب الناس وهو واقف على باب الكعبة ، وأمر عليه السلام بلال بن رباح أن يؤذن فأذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث



ابن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتاب بن أسيد :

— أكرم الله أسيدا ألا يكون سمع هذا فيسمع ما يعيطه .

فقال الحارث :

— أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته .

فقال أبو سفيان :

— لا أقول شيئا ، لو تكلمت لأحرت عنى هذه الحصى .

ورأى عليه السلام في الكعبة صور الملائكة وصور إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزام يستقسمان . وصور الأنبياء وصورة مريم فقال

— قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون .

وأمر عليه السلام عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان أن يقدموا إلى البيت

يمحوا كل صورة فيه ، ومحبت الصور وبقيت صورة إبراهيم ، فقال عليه السلام لعمر :

— يا عمر أم أمرك ألا تترك فيها صورة ؟ فأنهم الله حيث جعلوه شيئا

يستقسم بالأزلام . « ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » (١) .

ودعا — ﷺ — بدلوا ماء فأتاه به أسامة بن زيد فجعل — ﷺ —

يمحوها ، ووجد حمامة من عيدان فكسرها بيده وطرحتها ، وكبر في نواحي

البيت وصلى به ركعتين بين العمودين اليمينيين وبه وبين الحدار ثلاثة أذرع .

وفتح باب الكعبة وكان أوّل من ولح ابن عمر فتبع خطوات الرسول ،

فبقي بلالا فسأله :

(١) آل عمران ٦٧

— هل صلى فيه رسول الله ﷺ ؟

— نعم .

فذهب ابن عمر ليصلي حيث صلى رسول الله ﷺ .

ووقف — صلوات الله وسلامه عليه — على باب الكعبة فقال :

— لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر وعده ، وهزم

الأحزاب وحده . ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا

سدانة البيت وسقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا فيه

أندية معبظة مائة من الأبل ، أربعون منها في بصورها أولادها .

— يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم بحوة الجاهلية وتعظمها بالآباء .

اسس من آدم وآدم من تراب .

ثم تلا قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا

وَقَبَائِلَ تَعَارَفُوا إِنَّ كَرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَقْوَاهُ أَنْ اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ »<sup>(١)</sup>

ووضع — ﷺ — يده على عصا دني الباب ثم قال :

— ماذا تقولون وماذا تطعون أني فاعل فيكم ؟

— خير .

فقال أحدهم :

— نقول خير ووطن خير . أح كرم وابن أح كريم وقد قدرت .

— أقول كما قال أحي يوسف : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو

أرحم راحم . دهوا فأنتم الطلقاء

وتهللوا بالسرور لكأنما نشروا من القبور ، ثم جاء — ﷺ — إلى مقام إبراهيم وكان لاصقا بالكعبة فصلى ركعتين ، ثم أحمره حتى لا يعرق الطائفين ، ثم انصرف إلى زمزم فاطلع فيها وقال :

— لولا أن تغلب بنو عبد المطلب على وظيفتهم لفرغت منها دلوا

كانت السقاية في بني عبد المطلب وكان عليها العباس ، فحشى عليه السلام أن يرفع منها دلوا فيقتدى الناس به ويعلمون بني عبد المطلب على وظيفتهم ، وانتزع له العباس دلوا فشرب منه وتوضأ فابتدر المسلمون يصبون على وجوههم .

وحلّس رسول الله — ﷺ — في المسجد والناس حوله ، فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال :

— يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية .

فقال عليه السلام :

— أين عثمان بن أبي طلحة ؟

فدعى له فقال :

— هاك مفتاحك يا عثمان . اليوم يوم بر ووفاء .

ودفع إليه رسول الله — ﷺ — المفتاح وهو يقول :

— حدودها يا بني أبي طلحة تالده حادثة ، لا يرفعها منكم إلا طالم .

ودفع السقاية إلى العباس بن عبد المطلب

وأق أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله — ﷺ — قال :

— هلا تركت الشبيع في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟

قال أبو بكر :

— يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أمت .

فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال له .  
— أسلم .

فأسلم ، وهما رسول الله — ﷺ — أنا بكر بإسلام أبيه ، وعهد ذلك  
قال أبو بكر للنبي — ﷺ :

— والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب كان أقر لعيسى من إسلامه ، وذلك  
لأن إسلام أبي طالب كان أقر لعيتك .

ثم أتى رسول الله — ﷺ — الصفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت ، ورفع  
يديه ، ففعل يذكر الله بما يشاء أن يذكره ويدعوه والأنصار تحته . قال  
بعضهم لبعض :

— أما الرجل فأدركته رعة في قرينته ورأفة بعشيرته

فمرل الوحي عليه — صلوات الله وسلامه عليه — بما ذكر القوم ، فلما  
قضى الوحي رفع رأسه وقال :

— يا معشر الأنصار قلتم : أما الرجل فأدركته رعة في قرينته ورأفة  
بعشيرته .

— قلنا ذلك يا رسول الله .

— فما أسمى إذا ما معب ذلك ؟ كيف أسمى وأوصف بأنى عبد الله  
ورسوله ؟ لا أفعل ذلك . إلى عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكُم فالحيا  
حياكم والممات مماتكم .

فأقبلوا إليه فيكون ويقولون :

— والله ما قلنا الذى قلنا إلا الضم بالله ورسوله .

لحاً عبد الله بن أبي سرح إلى عثمان بن عفان أخيه في الرضاعة فقال :  
 — يا أحمى استأمن لى رسول الله — ﷺ — قبل أن يضرب عتقى .  
 فغيبه عثمان وأطرق عبد الله يذكر ما كان ، إنه كان قد أسلم وكان يكتب  
 لرسول الله — ﷺ — الوحي ، وكان — ﷺ — إذا أملى عليه سميعاً بصيراً  
 كتب عليهما حكيماً ، وإذا أملى عليه عليهما حكيماً كتب غفوراً رحيماً .  
 إنه لما كتب « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في  
 قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة عبقة فخلقها العلقة مصعة فخلقها المصغة عظاماً  
 فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر » (١) . تعجب من تفصيل خلق  
 الإنسان فصطق بقوله فتبارك الله أحسن الخالقين قبل إملائه ، فقال — ﷺ :  
 — اكتب ذلك هكذا أنزلت .

فاستولى عليه الغرور ولعب به الشيطان فقال :  
 — إن كان محمد سياً يوحى إليه فأنا نبي يوحى إلى .  
 فارتد ولحق بمكة فقال بقريش :  
 — إني كنت أصرف محمد كيف شئت ، كان يملئ عني عزيز حكيم  
 فأقول : « و علم حكمه فيقول نعم ، كل صواب . وكل ما أقول يقول » .  
 اكتب هكذا أنزلت .

إن رسول الله ﷺ — أهدر دمه وبطالما افترى عليه ، وقال ليرصى  
 قريشا إن محمدا لا يعلم ما يقول . إنه حان الأمانة وصهرت حياته فلم يستطع  
 أن يقيم في المدينة ولم يكتف بالردة واهروب بل أطلق لسانه كذباً ليس بالخطوة  
 عند أناس باعوا آخرتهم بدسائهم ، إن دسه عظيم ولكنه يعلم أن عقو رسول  
 الله ﷺ — أعظم . فلما هدا الناس واطمأنوا حرح عثمان بن عفان رسول  
 السورين إلى رسول الله ﷺ — صلوات الله وسلامه عليه — فاستأمن له وكان عليه  
 السلام يستحى من عثمان ، فعاد عثمان إلى حيث كان عند الله بن أبي سرح فأتى  
 به إلى السبي — ﷺ — فأعرض عنه صوات الله وسلامه عليه فصار عثمان  
 يقول :

— يا رسول الله أمتي .

واسي — ﷺ — يعرض عنه ، وعناد بن بشر عنده وكان يدري أن رأى  
 عبد الله قتله وقد أخذ نقام السيف يتعصر السبي يشير إليه أن يقتله . فلما لم يعمل  
 قال عليه السلام :

— نعم .

فمسح يده به ، فلما حرح عثمان وعبد الله قال — ﷺ — من حو به :  
 — أعرضت عنه مرراً ليقوم عليه بعصكم فيضرب عقه .  
 وقال لعناد بن بشر :

— انتظرت أن تقى يدرك .

— يا رسول الله خففتك ، أفلا أومصت إلي ؟

— إنه يسحى أب يومض .

فصار عبد الله بن أبي سرح يستحى من مقابله — ﷺ — فقال عليه  
 السلام لعثمان بن عفان

— أما بایعته وأمنته ؟

— بلى ، ولكن يذكر جرمه القديم فيستحي منك .

— الإسلام يجب ما قبله .

وأخبره عثمان بذلك فصار إذا جاء جماعة لنبي — ﷺ — يجيئهم معهم ولا يجيئهم إليه منفردا .

وكان ابن حنبل يطلق مرعوبا إلى الكعبة ليهودها . إنه عزم أن رسول الله — ﷺ — قد أهدر دمه . إنه وهو على ظهر فرسه يذكر في وضوح كل ما اقره من ديوب ، فالموت أدى إليه من شرك بعله . إنه كان قد أسلم وكان اسمه عبد العزى فسماه رسول الله — ﷺ — عبد الله ، وبعثه رسول الله — ﷺ — عليه صوته الله وسلامه — لأخذ الصدقة وأرسل معه رجلا من الأنصار يخدمه . فرل منزلا وأمره أن يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ، وبان ثم استيقظ فسم يخدمه صبح له شيئا وهو بانم فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا ، وكان شاعرا بهجو رسول الله — ﷺ — في شعره وكانت له قيتان نعيانه بهجاء رسول الله — ﷺ — الذي يصعبه .

إنه ركب فرسه وقد لبس احديد وأحد بيده قناة وصار يقسم :

— لا يدخلها محمد عنوة .

فما رأى حيل الله دحبه الرعب فاطلق إلى الكعبة فرل عن فرسه وألقى سلاحه ودخل تحت أستارها ، فأخذ رجل سلاحه وركب فرسه وحق برسول الله — ﷺ — صلوات الله وسلامه عليه — بالحمجون فأخبره خبره ، فقال عليه السلام :

— اقتنوه فإن الكعبة لا تعيد عاصيا ولا تمنع من إقامة حد واجب

فاهتبره بأسياهم سعد بن حريث وأبو برة وربيعة وسعد بن دؤيب

وأمر — ﷺ — بقتل قينيه . فقتلت إحداهما واستؤمن من رسول الله — ﷺ — للأخرى فأمها وأسلمت .

وخرج الحويرث بن نفيد هائما على وجهه لا يلوى على شيء ، إنه كان يؤذى رسول الله — ﷺ — بمكة ويعظم القول في أدبته وينشد الهجاء . وكان العباس عم النبي — ﷺ — حمل فاطمة وأم كلثوم بنتي رسول الله عليه السلام من مكة يريد بهما المدينة فنخس الحويرث البعير الحامل لهما فرمى بهما الأرض .

إنه في فرع حتى الموت . فعلى بن أبي طالب في أثره يطلعه بعد أن أهدر دمه رسول الله — ﷺ — صلوات الله عليه . واستمر الحويرث يعدو حتى أحس أن السماء والأرض أطبقتا عليه ، إنه يترقب في رعب مبهور الأنفاس فعلى قد لحق به ولم يعد بينهما إلا خطوات ، وضربه على صريرة كانت وترا فتركه جثة بلا حراك .

وكان مقيس بن ضباب في جماعة من قريش يشرب خمرا دون أن يدرى أن رسول الله — ﷺ — أمر بقتله ، إنه كان قد أتى النبي — ﷺ — مسلما طالبا لدية أخيه هشام بن صباب فتنه رجل من الأنصار في غزوة ذي قرد خطأ يظنه من العدو . ودفع له النبي — ﷺ — دية أخيه ، ثم إنه عدا على الأنصارى قاتل أخيه فقتله بعد أخذ دية أخيه ، ثم لحق بمكة مرتدا .

وأخبر ابن عمه نمية بن عبد الله الديلمي أن مقيسا مع جماعة من كبار قريش يشربون الخمر ، فذهب إليه فقتله وهو قرير العين ، فلو أن غيره من المهاجرين أو الأنصار كان قد قتنه فقد كان ذلك يوغر صدره على صحابي من أصحاب رسول الله — ﷺ — صلوات الله وسلامه عليه .

وأطلق هبار بن الأسود ساقيه للريح . كان عرض لزيب بنت رسول



الله — ﷺ — في سفهاء من قريش حين بعث بها زوجها أبو العاص إلى المدينة . فأهوى إليها هبار ونخس بعيرها وصرعها بالرمح فسقطت من على الحمل على صحرة وكانت حاملا ، فألقت ما في بطنها وأهراقت الدماء ولم تنزل تعاني من ذلك المرض .

إن رسول الله — ﷺ — قال لحماة هيم أبو هريرة :  
— إن لقيم هبارا فأحرقوه .

ثم قال :

— إنما يعذب بال نار رب النار . إن طفرتم به فاقطعوا يده ورجله ثم اقلوه .

وخرجوا يظلمونه ولكنهم لم يجدوه فقد هرب من رسول الله — ﷺ — في البلاد .

وفر عكرمة بن أبي جهل إلى اليمن لما أمر رسول الله — ﷺ — بقتله . إنه كان أشد أساس هو وأبوه أذية للشيء — ﷺ — فلما أسلمت امرأته بنت عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام خرجت في أثره فوجدته في ساحل البحر يريد أن يركب السفينة ، فقالت له :

— يا بن عم جئت من عند أوصل الناس وأبهر الناس وحيروا الناس . لا تهلك نفسك فقد استأمنت لك .

فجاء معها حتى إذا ما رآه رسول الله — ﷺ — وثب إليه قائما فرحاه به ، فقد تذكر عليه السلام أنه رأى في منامه أنه دخل الحية ورأى فيها عذقا فأعجبه وقال : من هذا ؟ فقبل لأبي جهل . فشق ذلك عليه — ﷺ — وقال . لا يدخلها إلا نفس مؤمنة . فلما جاءه عكرمة بن أبي جهل مسما فرح به وأول ذلك العدق لعكرمة .

وتقدم عكرمة من رسول الله — ﷺ — على استحياء ، ثم التفت إلى  
زوجه وقال :

— يا محمد هذه أحبرتني أنك أمتني .

— صدقت ، إنك آمتني .

فقال عكرمة في انفعال :

— أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنت عبده ورسوله .

وطأ طأ رأسه من الحياء . فقال له — ﷺ —

— يا عكرمة ما تسألني شيئا أقدر عليه إلا أعطيتكه .

— استغفر لي كل عداوة عاديتكها .

— اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عاديتها أو مطلق تكلم به .

ولما نزل رسول الله — ﷺ — بأعلى مكة فر إلى أم هانئ أخت عبي بن  
أبي طالب الحارث بن هشام ورهير بن أمية فاستحاربا بها فأجارتهما ، ودخل  
عليها أحوها على كرم الله وجهه وأراد قتلهما . قال :

— والله لأقتنهما .

— قد أجزتهما .

— بحرين المشركين !

وحالت بينه وبينهما فحرج فأعقبت عليهما بيتها فقد كانا من أقارب  
زوجهما هيرة بن أبي وهب ، ثم جاءت السبي — ﷺ — بأعلى مكة فوحدت  
الفتح العظيم يعنسل من جفة فيها أثر العحين وفاطمة ابنته تستره بثوب ،  
فسلمت عليه فقال .

— من هذه ؟

— أم هانئ

وكانت أم هانئ لم تسلم بعد فقال :

— مرحبا بأم هانئ .

فلما اغتسل أخذ ثوبه وتوضع به ثم صلى ثمان ركعات من الضحى ، ثم أقبل على أم هانئ فقال :

— ما حاء بك ؟

— مر إلى الخارث بن هشام ورهرير بن أمية مستجيرين إلى فأجرتهما .

فقال عليه السلام وهو يادى الشر :

— أجرتنا من أجرت وأما من أمنت فلا تقتلها .

ولما ذكر ذلك لابي عباس قال :

— إلى كنت أمر على هذه الآية : « يسجن بالعشى والإشراق »<sup>(١)</sup>

فأقول : صلاه ، صلاة الإشراق ، فما عرفت صلاة لإشراق إلا الساعة .

وأسمت أم هانئ وانطلق عليه السلام إلى بيتها فقال لها :

— هل عندك من طعام تأكله ؟

فقالت في استحياء :

— ليس عندي إلا كسر يابسة وأنا أستحي أن أقدمها إليك .

— هلمى بهن .

فكسرن في ماء وجاءت عليح فقال :

— هل من آدم ؟

— ما عندي يا رسول الله إلا شيء من حل .

— هلميه .

فصبه الفائد المطهر والفاح العظيم على الكسر وأكل منه ثم حمد الله ، ولا جرم فهو حير البشر ، أسوة الإنسانية الحسنة ، رسول رب العالمين .

وخرج رسول الله ﷺ ، إلى المسجد ، فجاءه عمير بن وهب فقال :  
— يا نبي الله صفوان سيد قومي قد هرب ليقذف نفسه في البحر فأمنه ،  
فإنيك أمنت الأحمر والأسود .

— دولك ابن عمك فهو آمن .

— أعطني آية يعرف بها أمانك .

فأعطى — ﷺ — لعمير عمامته التي دخل بها مكة ، فأطلق عمير على ظهر راحلته يعذ السير إلى مرفأ مكة فلحقه وهو يريد أن يركب البحر ، فلما رآه صفوان بن أمية قال له :

— اغرب عني ، لا تكلمني .

— أي صفوان هداك أي وأمي ، جئتكم من عند أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وحير الناس وابن عمك ، عزه عزك وشرفه شرفك ومنكه ملكك .

— إني أخاف على نفسي .

— هو أحلم من ذلك وأكرم .

فرجع معه حتى وقف على رسول الله — ﷺ — وقال :

— إن هذا يرعم أنك أمنتني .

— صدق .

— يا رسول الله أمهلني بالخيار شهرين .

إن الله يقول : « لا إكراه في الدين » (١) . وإن رسول الله — ﷺ —

لأحق الناس باتباع أوامر ربه فقال :

— أنت بالخيار أربعة أشهر .

وكانت الصحابة أحرص شيء على قتل وحشى ، فإبهم ليدكروا قول رسول الله ﷺ — يوم أحدهما وقف على جنة حمزة : ما وقعت موقفا أغيظ لى من هذا . فراحوا يقتفون أثر وحشى ولكنه تمكن من الفرار إلى الطائف .

وجلس رسول الله ﷺ — على الصفا يبائع الناس . فجاء الكبار والصغار والرجال والنساء يبائعهم على الإسلام ، ودكريات أيام الإسلام الأولى تطوف بالأدهان . كان بيت الأرقم قائما على الصفا وكان الذين يربعون في الإسلام يسلمون إلى ذلك البيت ليقابلوا رسول الله ﷺ — مستحفين من أعين الناس حشية بطش سادات قريش . فأين الأمس من اليوم ؟ فمن بقي حيا من أشراف قريش أعلن إسلامه أو جاء يلتمس الأمان . وتحركت الألس بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ودخل الناس في دين الله أفواجا . وجاء — ﷺ — رجل فأحدثه الرعدة ، فقال له — ﷺ : —

— هو عبيك فإنى لست ملك . إما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل

القديد .

وتقدم معاوية بن أبى سفيان ليبيع نبي الإسلام عليه السلام ، فقد وقع الإسلام في قلبه لما كان عام الحديبية فذكر ذلك لأمه هذبت عتبة ، فقالت له :

— إياك أن تحالف أناك فيقطع عنك القوت .

لم يكن أول من تمنح قلبه للإسلام في بيت أبى سفيان ، فأم حبيبة قد سبقته

وأعلنت إسلامها وأكرمها الله فصارت أما للمؤمنين ، فأسلم وأحمى إسلامه فقال له يوما أبو سفيان وكأنه شعر بإسلامه : أحوك خير منك ، هو على ديني .

ولما كان يوم الفتح أظهر إسلامه ولقى رسول الله ﷺ — مرحب به ، وجاء عبد الله بن الربيعي وكان ممن يؤدي رسول الله ﷺ — أشد الأذية ، فأقسم واعتذر إلى رسول الله ﷺ — فقبل عذره ، وكان شاعرا محيدا فقال يمدح رسول الله ﷺ — :

منع الرقاد بلا بل وهموم	والليل معتلج السروق هم (١)
مما أتاني أن أحمد لامنسي	فيه فسْتُ كَأَسَى محموم
يا خير من حملت على أوصالها	عيرانه سرح اليديس غشوم (٢)
إني لمعتذر إليك من الذي	أسديت إذ أنا في الصلال أهي
أيام تأمرى بأغوى خطية	سهم وتأمرى بها مخزوم
وأمد أسباب الردى ويقودني	أمر العواة . وأمرهم مشوم
فاليوم آمن بالنبي محمد	قلبي ومحطىء هذه محروم
مضت العداوة وانقصت أسبابها	ودعت أواصر (٣) بينا وحيوم (٤)
فاعفر فدي لك والذاي كلاهما	وارحم فإنك راحم مرحوم
وعليك من ممة المليك علامة	بور أعر وخاتم مختوم
أعطاك بعد حجة برهانه	شرفا وبرهان لإله عظيم

(١) معتلج السروق هم : شديد الصلابة أسود .

(٢) العيرانة من الإبل : الشديدة الشبهة . سرح اليديس : سويتها عنوم لا يشها

عن مردها شيء .

(٣) الأواصر : الصلوات

(٤) الحلوم : العقول .

فرغ رسول الله ﷺ — من بيعة الرجال فراح يبايع النساء ، وفيه  
هديت عتبة متقبلة منكورة خوفا من رسول الله ﷺ . فلما دبر من  
رسول الله ﷺ — قال هن :

— يا يعسى على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن  
فقال هديت عتبة :

— والله أن كنت أصيب من مال أبي سفيان الهمة<sup>(١)</sup> بعد الهمة وما كنت  
أدرى أكان ذلك حلالا أم لا .

فقال أبو سفيان وكان حاضرا :

— أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل ، عفا الله عنك .  
فضحك النبي وعرها فقال لها :

— وإليك لهند بنت عتبة .

— نعم وعف عما سيف . عفا الله عنك يا سي الله .

ثم كشفت عن نقابها فقال عليه السلام :

— مرحبا بك .

ثم راح عليه السلام يقول :

— ولا ترنين

---

(١) الهمة . الشيء اليسير .

فقلت هـد :

— أوتزنى الحرة يا رسول الله ؟

— ولا تقتلن أولادكن .

قالت هـد :

— ربياهم صابرا وفتتهم كبارا !

فصحت عمر وتسم — ﷺ — ثم قال :

— ولا تأتين بهتان<sup>(١)</sup> تفترينه

قالت هـد :

— والله إن إتيان البهتان لقبيح ، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق .

— ولا تعصينى فى معروف .

فقلت هـد :

— والله ما حسنا مجلسا هـداوى أنفسا أن تعصيت فى معروف .

وقالت بعض النسوة :

— ما هـذا المعروف ندى لا يبعى أن تعصيت فيه ؟

— لا تنحن ولا تحمشن وجهها ولا تشلشن شِعرا ولا تحقشن شِعرا ولا تحرقن قرنا

ولا تشققن حياء<sup>(٢)</sup> ولا تدعين بالويل .

ومرغ رسول الله — ﷺ — من بيعة النساء ولم يصافحهن بل عمس يده فى إباء

وأمرهن فعمسن أيديهن ، فكانت هذه البيعة .

وراح — ﷺ — يطر إلى مكة وهو متفرح فى الله ثم قال :

— هـدا ما وعدنى ربي .

(١) البهتان الناص

(٢) الخيب حجة صدر من قمص



ثم قرأ : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا \* فسبح بحمد ربك واستعصره إنه كان توأما ﴿ ١ ﴾ .

وعاد رسول الله ﷺ — إلى قبته وحلّس بين سائيه أم سلمة وميمونة وساء من بني عبد المطلب ، فإذا بمولاة هذبت عتة تستأذن فأذن لها ، فدحت عليه — مهدية هي جديان مشويان فقالت له :

— إن مولاتي تعتذر إليك وتقول إن عمها اليوم لقليل الوالدة .

— اللهم بارك لكم في عمكم وأكثر والدتها .

وجاءت إليه هذبت عتة عدوة الأمس القريب منشرحة الصدر

تستعفيه ، قالت :

— يا رسول الله إن أنا سميان رحل ممسك . فهل عتني من حرج أن أطعم

من الذي له عيالا ؟

— لا عليك أن تطعمهم بالمعروف .

وسار الحارث بن هشام في مكة — بعد أن أجارته أم هانئ وأجار رسول

الله جوارها — يتلفت ، إنه يحشى بطش عمر بن الخطاب وبلغ المسجد

فحبس به وإذا به يرى عمر مقبلا فيحقق قبه ويرتحف من الرأس إلى القدم .

ولكن عمر يمر عبه وهو حالس فلا يتعرض له فيستشعر راحة . ثم يهص

ويسير بين المسلمين وهو آمن بأمان رسول الله — صوات الله وسلامه

عنه —

وطافت بدهه مواقفه في كل موطن مع المشركين فإذا بنخل يعمره . إنه

آدى رسول الله — صوات الله وسلامه عليه — أشد الأذى وقد صفح عنه

الصصح الكرم وأجاره لأن أم هانئ قد أجارته إنه لعلى خلق عظيم . وأثرت

فی نفس الحارث مکارم أخلاق نبی الإسلام علیه السلام فإدابه یرأ من أمر اص  
قلبه ، وإدابه بأنوار تشرق فی وجدانه ، وإدابه یطلق فی الحرم کالمسحور .  
ولقیه وهو داخل المسجد ، فقیه صلوات الله وسلامه علیه بالبشر ،  
هو قف علیه السلام حتی جاءه فسلم علیه فأحس الحارث روحه تنفخ إلی  
الرسول — ﷺ — وقلبه یمتلئ بأنوار الیقین ، فیصق لسانه بشهادة الحق وفی  
الصدر نضارح وفی عیبه دموع ، فقال له علیه السلام :  
الحمد لله الذی هدانا . ما کان مثلك یجهل الإسلام .

والقی حسان بن ثابت بالحارث بن هشام فإدابه بالذکریات تطوف  
برأسیه . إن الحارث بن هشام قد مر یوم بدر عن أخیه أنى جهل فعیره حسان  
بقراره ، فاعتذر الحارث بن هشام عن ذلك بقوله .

الله یعلم ما ترکت قتاهم      حتى رموا مهری بأشقر مرید<sup>(۱)</sup>  
وعلم أنى أب أفضل واحد      أقتل ولا یصرر عدوی مشهدی  
فصدفت عنهم والأحبة فیهم      صمعا هم بعقاب یوم مرصد  
حس الحارث القرار یوم بدر ورعم أنه أعرض عنهم لطمعه فی أن یعقب الله  
له یوما یرصد الشرهم ویمکهم بهم ، وما دار خلده أن الله أنقاه لیخرج دات  
یوم فی رمس عمر إلی الشام من مکة بأهله وماله بمحاده ، وأن أهل مکة  
سبتعونه یكون فیرق ویکی ویقول :

— ما لو کنا نستمد دارا بدرا أو جارا یحارنا ما رأینا بکم بدلا . —  
سقالة بن لله

(۱) یرید بالأشقر دم و مرید ندی علاه لربید

وما خطر له على قلب أنه سيموت شهيدا يوم الترموك ليحيى عند ربه في  
عليين .

وجاء السى — عليه السلام — عبد الله بن السائب بن أبى السائب ، وكان  
شريكا له في الحاهلية ، فقال له :

— مرحبا بأحبي وشريكى .

فأخذ عثمان وغيره يشور عليه ، فقال هم — صلوات الله وسلامه  
عليه — :

— لا تعمولى به كان صاحبي ، كان لا يدارى ولا يمارى .

والتفت إليه — صلوات الله وسلامه عليه — وقال :

— قد كنت تعمل أعمالا في الحاهلية لا تقبل منك ، وهى اليوم تتقبل  
منك .

وكان سهيل بن عمرو قد اجتمعا مع المختئين فراسل وليده عند الله يأخذ  
أما ما به — عليه السلام — فقال :

— يا رسول الله أى ذممه

— نعم ، فهو آمن بالله فيظهر

ثم قال رسول الله — عليه السلام — لمن حوله :

— من لعن سهيل بن عمرو فلا يحد إليه النظر . فلعمري إن سهيلا له عقل  
وشرف وما مثل سهيل يحفل بالإسلام .

فخرج به عند الله فأحمره بمقاة رسول الله — عليه السلام — فقال سهيل :

— كان والله برا صغيرا برا كبيرا .

فخرج سهيل بن عمرو يقبل ويدبر دون أن يتعرض به أحد . ثم يدخل  
لإسلامه . فمعه — عليه السلام — حميدة حببت فيه أعداء لأمن حتى ندين

لم يؤسوا بدينه ، وشرحت بشاشته صدور الدين في قلوبهم مرض للإسلام ،  
فقد حدث فضالة بن عمر بن الموح بنسبه بقتل النبي — ﷺ — وهو  
يطوف بالبيت ، فلما دنا منه رسول الله ﷺ — قال :  
— يا فضالة .

— نعم يا رسول الله .

— ماذا كنت تحدث به نفسك ؟

— لا شيء . كنت أذكر الله .

فصحك النبي ثم استعصر له ، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه . فوالله  
ما رفع يده عن صدره حتى ما خلق الله شيئا أحب إليه منه .  
وقد هم حويطب بن عبد العري العمرى بالإسلام أكثر من مرة ، كل  
ذلك يعوقه الحكم وينهاه ويقول له :

— تصع شرفك وتدع دين آبائك لدين محدث وتصير تبعا ؟

وما بقي من قريش أحد من كبرائها الدين بقوا على دين قومهم كان أكره  
لما هو عليه منه . فأقام نمكة وقريش تسم رحلا رحلا . فما كان يوم احديية  
حضر وشهد الصلح ومشى فيه حتى تم وكل ذلك يريد الإسلام ويأبى الله عز  
وجل إلا ما يريد .

فلما كتب الصلح كان أحد شهوده وقال .

— لا ترى قريش من محمد — ﷺ — إلا ما يسوؤها

ودخل رسول الله — ﷺ — مكة ، فعاف حويطب على نفسه خوفا  
شديدا فخرج من بيته وفرق عياله في مواضع يأمنون فيها ، ثم اتى إلى بستان  
عوف وكان فيه فإذا به يحدُّ بأ در العناري وجها لوجه وكانت بيته وبه  
حنة ، والخلة أبدا ناعمة . فما رآه هرب منه فقال أبو در :

— أبا محمد .

— لييك

— مالك ؟

— الخوف .

— لا خوف عليك . تعال أنت آمن بأمان الله جل وعز .

فرجع إليه وسلم عليه ، فقال أبو ذر :

— اذهب إلى منزلك .

— هل لي سبيل إلى منزلي ؟ والله ما أراي أصل إلى بيتي حيا حتى ألقى

فأقتل أو يدحر عني مربي فأقتل وإن عيالي لفي مواضع شتى .

— فاجمع عيالك في موضع وأنا أبلغ معك منزلك .

فبلغ معه وجعل يمدى على بابه :

— إن حويطب آمن فلا يبيع .

واصرف أبو ذر إلى رسول الله ﷺ — فأخبره ، فقال عليه السلام :

— أويس قد أما الناس كلهم إلا من أمرت بقتله ؟

فاطمأن حويطب ورد عياله إلى مواضعهم ، وعاد إليه أبو ذر فقال :

— يا أبا محمد ، حتى متى وإلى متى ؟ قد سقت في المواضع كلها وفانك

حير كثير ويبقى حير كثير . فأنت رسول الله فأسلم تسلم . رسول الله أبر

ناس وأحلم ناس وأوصل ناس ، شرفه شرفك وعزه عرك .

— فأنا أخرج معك فأتيه .

فخرج مع أبي ذر حتى أتى رسول الله ﷺ — بالبطحاء وعنده أبو

بكر وعمر ، فوقف على رأسه وسأل أبا ذر :

— كيف يقال إذا سلم عليه ؟

— قل : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله .

فقالها ، فقال عليه السلام :

— وعليك السلام . أحويطب ؟

— أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله

فقال رسول الله — ﷺ — :

— الحمد لله الذي هدانا لهذا .

وسر رسول الله — ﷺ — بإسلامه .

ونامت مكة أول ليلة في أحضان لإسلام ، فلما كان العد من يوم امتنع  
عدت حراة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسول الله —  
ﷺ — حطيا بعد انطهر مسدا طهره إلى الكعبة ، فحمد لله وأثنى عليه  
وقال :

— أيها الناس إن الله تعالى قد حرّم مكة يوم خلق السماوات والأرض ويوم  
خلق الشمس والقمر ووضع هديس الخبيس ، فهي حرام إن يوم بقيمة ، فلا  
يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر يسلك فيها دما ولا يعصد فيها شجرة .  
ولم تحل لأحد كان قبل ولم تحل لأحد يكون بعدى ولم تحل لي إلا هذه  
الساعة عصبا على أهنها ألا قدر رجعت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليعلم  
الشاهد منكم العائب ، فمن قال لكم : إن رسول الله قد قاتل فيها فقوموا :  
إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحبسها لكم .

يا معشر حراة رفعوا أيديكم عن لقتل فقد كثر القتل ، فمن قتل بعد  
مقضى هذا فأهله بحجر الطريق ، إن شاعوا قدم قاتله ، وإن شاعوا فعقده

ثم ودى رسول الله — ﷺ — دمك الرجل الذي قتلته حراة وهو من  
الأقرع أهل من بني بكر ، فإنه دخل مكة وهو على شركه فعرفته حراة

فأحاطوا به فطعمه منهم حراش اتصال في بطنه حتى قتله ، فلامه — ﷺ — وقال :

— لو كنت قاتلا مسيما بكافر لقتنت خراشا .

وبأدى مبادئ رسول الله — ﷺ — عكة :

— من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صما إلا كسره

فقام الناس إلى الأصنام التي كانت في الدور فراعوا عليها باليمين فتركوها جثثا<sup>(١)</sup> . وعمدت همد بست عتبة إلى صم كان في بيتها وجعلت تصربه بالقدوم وتقول :

— كنا منك في عرور .

---

(١) جثث : الجثث المقصع ، وتركوها جثثا . تركوها محطمة

كان — ﷺ — متكئا على حصيرة في القبة التي ضربت له بالحجون بعد أن جاء نصر الله والفتح وتظهر أول بيت وضع للناس ليكون مآرة التوحيد من أولئان الشرك وأصنام الضلال ، وتحررت مكة من الخوف والقلق والفراع ، وعمرها نور إلهي ملاً صدور الناس إشراحا وفقدتهم هدوءا وفتح أمام أعينهم آمالا ، فقد باتت سعادة الدارين حقيقة ملموسة ، ففى الأرض عرة وفي السماء خلود .

وكان — ﷺ — فى قمة تنصارنه ، فقد فتحت مكة أبوابها صوغا أو كرها لاستقباله ، وهرع إليه أعداء الأوس يعمسون شهادة الحق ، وصنوا حلمه لله وحده بعد أن حطموا آهتهم بأيديهم . إن كفاح السنين قد توح بالنصر المبين ، فلم يغير ذلك النصر من طماع رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه — بل زاده تواضعا لله رب العالمين .

إنه مع الله يعيش بالله وفي الله ، يرجو رحمة الله ويتقى الله ويتبع رسوا الله ويتوكل على الله ولا يتبع أهواء الناس ، حسه الله يتعمى فيما آناه الله الدار الآخرة ، موقع أجره على الله ففتح له فتحا مبين وعمر له ما تقدم من ذبه وما تأخر وأتم نعمته عليه وهذه صراطا مستقيما ونصره الله نصرا عميرا .

وراح عليه السلام يستنشق عبير مكة والذكريات تحيش فى رأسه وقد امتلأ حيا إلى أيام رسالته الأولى . إنه ليدكر حديجة أم المؤمنين حاصنة الإسلام من صدقته لما كذبه الناس وواسته لما عرت المواساة وكأنت له وريز صدق على



الدوام مهوى فؤاده إليها . إنها ترقد حلمه في المعلاة وإنه ليستشمر رغبة في رياراة قبرها لنشاركه فرحة الانتصار كما شاركه آلام الاصطهاد وقسوة التعذيب . ليتها كانت في هذه اللحظة الحاسمة إلى حوارته تشرف على مكة وقد رقدت هائجة فريرة العين في أحضان الإسلام .

وانتابتة رقة فمرت من عينه دمعة ، فما فارقت دمه صورة حديجة سيده نساء قريش في أيام الشدة وفي أيام الرخاء ، فقد كان يحس إلى مواساتها إذا ما دهمته الأحداث ، ويتمنى أن تكون معه لتقاسمه أفراحه إذا ما جاء نصر الله . إنها في ضميره على الدوام وإن عضضته لما أرادت عائشة أن تمس عن غيرها من طول ذكره لحاضرة الإسلام بالخير لحي سر قلبه الذي لم يحب حبه أبدا : « والله ما أبدلى حيرامها ، آمت بي حين كفر الناس ، وصدقتني إذ كذبى الناس ، وواستى نماها إذ حرمى الناس ، وررقى منها الولد دون غيرها من النساء » . وحرص عليه السلام من القبة التي صرحت له بالحجون وسار إلى المعلاة حيث ترقد حديجة منذ ذلك اليوم الذي لا ينساه . إنه عاد إلى الدار بعد أن حلت مم كانت له ورير صدق على الدوام وقد نال منه الكفار وبثروا على رأسه التراب فلم يجد من يشكو إليها ، مسح الدموع على العالية التي كانت تمسح بحمانها الآلام ، كل الآلام .

وبلع المعلاة ووقف على قبرها يقرئها السلام ، وإذا بأحداث الأيام الأولى بطوف بدنه فيرى نفسه وهو يعدو مفروعا من غار حراء بعد أن انصرف عنه حيريل الأميين حتى أتاهم فجلس إلى محددها منتصفا ، وسرى في وحدانه حديثه الذي حدثها به فإذا بصوتها الرقيق الذي كان اليلسم وكان العراء وكان التصديق والتأييد يبعث لكأما كان نص الحياة « أبشريا بن عم واثت ، مو بدى نفس حديجة بيده إلى لأرجو أن تكون سى هذه الأمة »

إنه يراها وهي تجمع عليها ثيابها ثم تطلق إلى ورقة بن نوفل ، وإنه ليسع رويها عن ورقة : قدوس قدوس ! والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا حديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى ، وإنه لنسب هذه الأمة ، فقولى له فليثبت . ورأى نفسه وهو يطوف بالكعبة وقد لقيه ورقة بن نوفل ، وسمع من وراء السنين قول ورقة : والذى نفسى بيده إنك لى هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ، ولتكذبته ولتؤذنه ولتخرجنه ولتقاتله . ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه .

ومس ذاكرته قول جبريل : « أقرئ حديجة السلام من ربها » . فأتى أُمّام لقرئ إحلال ، وراد وجهه لما تذكر جوابها : « الله السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام » ، واثالث على رأسه الدكريات فرأى حديجة فى أيام الحصار فى شعب أى طالب ، فلولاها لهلك الناس ، فحكيم بن حرام كان يبعث إلى المحصورين بقمح إكراما لعمته حديجة . إنها طلت إلى حوارته تحفى آلام الجوع حتى رفع الحصار وقد أوشكت على البوار دون أن تغلت من بين شفتيها كلمة تدمر أو استياء . أنفقت أموالها فى سبيل الله ورسوله عن طيب خاطر ، وهجرت لتترف راضية النفس ، ولم تسأله يوما النفقة كما فعلت سائرهن من بعدها ، إنها وحدها الحبية وما استطاعت أخرى أن ترحز حها عن قلبه وإن طال عهد لفراق .

وتحايبت له قلاذتها فثارت فى نفسه مشاعر رقيقة ، إنها أهدتها إلى ابنتها ربيب ليلة رفاها ، وقد بعثت بها ربيب إلى المدينة عقب هرعة اشركين فى بدر لتمدى بها روحها الأسير . فما إن رأى القلاذة حتى امتلأ فؤاده شجوا وشحنا وحييا وقال وقد رق لها رقّة شديدة : إن رأيتم أن تطبقوا لها أسيرها

وتردوا عليها ما لها فاعملوا .

إنها كانت تعد العاص بن الربيع عملة ولدها فكان عليه السلام يكرمه  
إكراماها ، وقد فرح بإسلامه وتبني لو أن الطاهرة أم المؤمنين قد شهدت  
إسلام ابن أختها أخيب . وإن نفسه لتفتح لكل ما تفتح له نفس حديجة ،  
وإنه ليحب كل من أحب . وإنه ليذكر ذلك اليوم الذي أقبلت فيه أختها هالة  
إلى المدينة ، إنه سمع صوتها في ماء داره وكان يشبه صوت حديجة فانقص  
وقال في وحد : « اللهم هالة ! » .

وهب نسيم الشتاء باردا على وجهه — صلوات الله وسلامه عليه ، فأفاق  
من نكريات لحظات ثم دار على عقيقه واطبق إلى مكة . وما لبث أن احتلت  
صورة اسلمة الأولى ، فطار رأسه فإذا به يسير إلى مكاب مولده بسوق البيل ،  
وراح يربو إلى دار أبيه عند الله في حب ونسي ، فابن عمه عقيل بن أبي طالب  
أحد بيت عبد الله لما هاجر عنده إسلام بن المدينة ، فمعه دار في أم تفرى  
أحب أرض الله إليه .

ومد بصره إلى دار أبي طالب فتذكر يوم مات حده عبد المصعب ويوم  
احتضنه فيه أعمامه ، ويوم اتفق وهو كبير غزاة من بيت حده إلى بيت  
سبه . وبرفرقت في عيبه دمع ، طافت بدهمه فاطمة بنت أسد مرة عمه  
وهي تحو عنه تمسح برقها آلام يتمه ، إنه لا يسى اعصب اسابع الذي  
عمرته به وقد نزل معه في قراها وألصقها قميصه وقد أحس أنه فقد الأمومة  
بمرحلة مرتين . مرة في الأول عانا ماتت أمه أممة بنت مذهب بين يديه . ومرة  
أخرى لما فاصت روح فاطمة بنت أسد أم ربيته على وحيه .

وسار إلى رفق العطارين ووقف ساهما إلى دار حديجة أم المؤمنين ، إنه في  
هذه دار بني الطاهرة سببه ساء فريش أم المؤمنين حصة الإسلام وأهل من

بحركت شفتها بشهادة الحق . إنه في هذه الدار شهد مولد أولاده ، وقد ظل ساكنا فيها حتى هاجر إلى المدينة فأحدها عقيل بن أبي طالب .

شهدت هذه الدار آماله وآلامه وفجر شبابه ومبدأ رسالته ، هبط عليه فيها الوحى واحتبأ عند الحجر الذى كان في دهليزها من حجارة جيرانه أبى لهب وعقبة بن أبى معيط وأبى الحكم ، إسم كانوا لا يقتلون يقولون عليه الحجارة كما رأوه يخرج من داره فكان يختبئ من قذائهم ، حتى إذا ما انصرفوا حرح إلى الطريق فيلتقاه الصبيان بأناشيد المجد التى تضمها في دمه عمرو بن العاص ، إنه قاسى كثيرا وصبر كما صبر من قبل أولو العزم من الرسل ، وقد جنى ثمرة الصبر الحلو فتحا مينا وبصرا مؤزرا .

وعاد عليه السلام إلى الحرم فطاف به سعا ثم راح يهكر ، إن أصحابه من أهل الضعف في حاجة إلى مال وقد قال لأهل مكة : اذهبوا فأنتم الطلقاء إنه أظنهم من الأسر والاسترقاق ولم يعم مهم شيئا . فرأى أن يقتصر ما يحتاج إليه أهل الضعف من أصحابه فاستقرض — صلى الله عليه وسلم — من ثلاثة نفر من قريش أحد من صفوان بن أمية خمسين ألف درهم فرّقها ، ومن عبد الله بن أبى ربيعة أربعين ألف درهم ، ومن حويطب بن عبد العزى أربعين ألف درهم فرّقها في أصحابه أهل الضعف .

وجاء إليه صلى الله عليه وسلم — سعد بن أبى وقاص وقد أخذ بيد ابن وليدة رمعة ، ومعه عبد بن رمعة ، فقال سعد :

— يا رسول الله هذا ابن أختي عتبة بن أبى وقاص عهد إلي أنه ابنه ، قال : إذا قدمت مكة انظر ابن وليدة ابن رمعة ولدته على فراشه .

فطر — صلى الله عليه وسلم — إلى ذلك الولد فإذا هو أشبه ساس بعتبة بن أبى وقاص ، فقام لعبد بن رمعة .

— هو أخوك يا عبد بن زمعة من أجل أنه ولد على فراش أبيك زمعة ، الولد للفراش وللعاهر<sup>(١)</sup> الحجر .

وقال لزوجته سودة بنت زمعة ، لما رأى على بن وليدة ابن زمعة من شبه عتبة

— احتجبي منه يا سودة فليس لك بأح .

وسرقت امرأة فأراد — ﷺ — قطعها ، فزرع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعون به ، فلما كلمه أسامة فيها تلون وجهه — ﷺ — وقال :

— أتكلمني في حد من حدود الله ؟

فقال أسامة وهو يضطرب رهبة :

— استغفر لي يا رسول الله .

ثم قام — ﷺ — خطيباً فأنشئ على الله ما هو أهله ثم قال :

— أما بعد ، فإن ما أهلك الناس قلوبكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف

تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

---

(١) لعاهر : عاهر المرأة أتاها ليلاً للمجور

بعث رسول الله ﷺ — فيما حول مكة السرايا يدعو الله عز وجل ،  
 وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، فحرح خالد ومعه من قاتل العرب سليم بن  
 منصور ومدلج بن مرة ، فوطئوا بني حديمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ،  
 فلم يره القوم أخذوا السلاح فقال خالد :  
 — صعدوا السلاح فإن الناس قد أسلموا .

فلما أمرهم خالد أن يضعوا السلاح قال رجل منهم يقال له ححدم .  
 — وبينكم يا بني حديمة ! إنه خالد . والله ما بعد وضع السلاح إلا  
 الأسار ، وما بعد الأسار إلا صرب الأعناق . والله لا أصع سلاحى أبدا .  
 فأخذته رجال من قومه فقتلوا :

— يا ححدم أتريد أن تسفك دماءنا ؟ إن الناس قد أسلموا ووضعوا  
 السلاح ، ووضعنا حرب وأمن الناس فلم يرألوا به حتى برعوا سلاحه ،  
 ووضع القوم السلاح لقول خالد .

وتذكر خالد ما كان في الحامية بين بني حديمة وقريش ، إن عمه العاكه  
 بن معيرة بن عبد الله بن عمر بن محروم قد حرح وعوف بن عوف بن عبد  
 الحارث بن رهرة وعفاف بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس تجارا إلى اليمن ،  
 ومع عفاف ابنه عثمان ومع عوف ابنه عبد الرحمن ، فلما أقبلوا جموا مال رجل  
 من بني حديمة بن عامر كان ههنا باليمن بن ورثته ، فادعاه رجل منهم يقال له  
 خالد بن هشام ولقيهم بأرض بني حديمة فقل أن يصنوا إلى أهل الميت فأووا

عبه ، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه وقتلوه فقتل عوف بن عبد عوف والمأكة بن المعيرة ، ونحاف عفاف بن أبي العاص وابنه عثمان ، وأصابوا مال

المأكة بن المعيرة ومال عوف بن عبد عوف ففصلقوا به .  
وتذكر خالد أن عبد الرحمن بن عوف قتل خالد بن هشام قاتل أبيه ، وأن قريش قد همت بعرو بنى حديمة فقالت بنو حديمة :

— ما كان مصاب أصحابكم عن بلادنا ، إنما عدا عليهم قوم بجهالة فأصابوهم ولم تعلم ، فمن عقل لكم ما كان لكم قبينا من دة أو مال فقبلت قريش ذلك ووضعوا الحرب .

ووجد خالد أن عمه المأكة بن المعيرة لم يثأر له وأن بنى حديمة كلها قد أصبحت في قبضة يده ، فراودته فكرة الانتقام . إنهم لم يعلنوا إسلامهم ، وبما كانت المكورة تداعب رأسه جاءه عبد الله بن حذافة السهمي وقال :  
— إن رسول الله ﷺ — قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام .

فأمرهم خالد أن يكتبوا ثم عرضهم على سيف ، فقام إليه عبد الله بن عمر يسكر عبه فعله ، فعبد الله يعبه أن لا يكراه في الدين ، فأعرض عنه خالد ، فقام إليه سالم مولى أبي حديمة يبهه ويراجعه ، ولكن خالدا أمر بصرب الرقاب ، فقتل منهم وانفت رحل من لقوه نيأتى رسول الله ﷺ — .

وقال حذافة لقومه حين وضعوا السلاح ورأى ما يصنع خالد بنى حديمة :

— يا بنى حديمة صانع صُرب . قد كنت حذرتمكم ما وقعتم فيه وكان من أبي حدود سلمى يومئذ في حين خالدا بن الوليد فقال له تنى

من بسى جديدة وهو في سبه وقد جُمع يده إلى عنقه برمة ( حل بال ) وسوسة  
مجمعات غير بعيد منه :

— يا فتى .

ما تشاء ؟

— هل أنت آخذ هذه الرمة فقائدي إلى هؤلاء النسوة حتى أفضى إليهن  
حاجة ، ثم تردني بعد فتصنع لي ما بدا لكم ؟  
— والله يسير ما طلبت .

فأخذه برمته فقادها بها حتى وقف عليهن . فقال لفتاة<sup>(١)</sup> في وجد :

— أسلمي حبيش على نقد من العيش .

وراح يشد شعرا يثها فيه لواعج نسه ، ثم انصرف به ابن أبي حدر  
فضربت عنقه ، فقامت إليه حين ضربت عنقه فأكست عليه فما رأت قبله  
حتى ماتت عنده .

وكان رسول الله — صوات الله وسلامه عليه — دائما فرأى كأنه لقم  
لقمة حيس<sup>(٢)</sup> فالتد طعمها ، فاعتصر في حقه منها شيء حين ابتلعها ،  
فأدخل على يده فزرعه ، فلما استيقظ فص رؤياه على أصحابه فقال أبو بكر  
المصدق :

يا رسول الله هذه سرية من سرايك تبعثها بيأتيك منها بعض ما يحب .  
ويكون في بعضها اعتراض فتبعث عليا فيسهله .

---

(١) قصة عبد الله بن علقمة وذكر حبره مع حبشة ذكرها الأصفهاني في الجزء ٧ :  
٢٨٠ ( طبعة دار الكتب المصرية ) .

(٢) الحيس . أن يحفظ السم والتمر والأقط شيء يعقد مع اللس ويحفظ



وجاء الرجل الذى انفلت من القوم إلى رسول الله ﷺ — فأخبره ما فعل خالد ، فقال رسول الله ﷺ — :

— هل أنكر عليه أحد ؟

— نعم قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة فزجره خالد فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فراحعه فاشتدت مراجعتهما .

فقال عمر بن الخطاب :

— أما الأول يا رسول الله فابسى عبد الله ، وأما الآخر فسالم مولى أبى

حذيفة :

ثم دعا رسول الله ﷺ — على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال :

— يا على احرص إلى هؤلاء القوم فانظر فى أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية

تحت قدميك .

فحرص على حتى حاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ —

فودى لهم الدماء وما أصيب هم من لأموال حتى إنه ليدى لهم مبيغة<sup>(١)</sup>

الكلب ، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه بقيت معه بقية من

المال ، فقال لهم على كرم الله وجهه حين فرغ منهم :

— هل بقى لكم بقية من دم أو مال لم يؤد لكم ؟

— لا .

— فأبى أعطيك هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله ﷺ —

مما لا يعلم ولا تعلمون .

(١) البيلة : شيء يحمر من الحشب ويجعل يبيع فيه الكل

فجعل ثم رجع إلى رسول الله ﷺ — فأحبره الخبر ، فقال :  
— أصبت وأحسنت .

ثم قام رسول الله ﷺ — فاستقبل القبة قائما شاهرا يديه ، حتى  
لهرى ما تحت منكبيه بقول :

— اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد .

وأقبل عند الله بن عمر على أبيه يقص عليه ما كان من أمر خالد ، فسأه ابن  
الخطاب ما كان من ابن الوليد وبدرت في قلب عمر بن الخطاب بكرة كراهية  
ما يفعل خالد من أمر الجاهلية ، وستموا هذه البكرة على مر الأيام حتى يعزل  
عمر خالد بن الوليد وهو في قمة محده .

وكان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام في ذلك ، فقال  
له عند الرحمن بن عوف :

— عمت يأمر الجاهلية في الإسلام .

فقال له خالد :

— إنما تأرت بأبيك .

فقال عبد الرحمن .

— كذبت ، قد قتلت قاتل أبي ولكنك تأرت بعمت الماكه بن المعيرة .

واشتد الخلاف بينهما ، وانضم عمر بن الخطاب إلى عبد الرحمن بن عوف

فبلغ رسول الله ﷺ — فقال :

— مهلا يا خالد دع عنك أصحابي ، فوالله لو كان لك أحد ذهبا ثم أنفقته

في سبيل الله ما أدركت عبدة رجل من أصحابي ولا روحته .

وحسب عمر أن رسول الله ﷺ لن يستعمل حالدا بعدما عمل

بأمر الجاهلية في الإسلام ، ولكن رسول الله ﷺ — عليه السلام كان يعزم أن

حالدا قريب عهد بالخاهدية ولكنه سيف من سوف الله المسنولة ، فعنه إلى  
 العرى وكانت بحلة ، وكانت إلهة ترمز إلى كوكب الصباح وكان لها بيت  
 يعظمه هذا الحى من قریش وكمانة ومصر كلها ، وكانت سدتها وحجاسها  
 بى شيبان من بى سليم حلفاء بى هاشم ، فلما سمع صاحبها السدى عمير  
 حاد إليها عنق عليها السيف وارتفع فى الخيل الذى هى فيه وهو يقول :  
 أيا عر شدى لا شوى<sup>(١)</sup> لها على خالد ألقى القساع وشمرى  
 يا عر إن م تقتل المرء حالدا فوئى بأثم عاجل أو تصبرى  
 فانقص عليها حاند واندين معه فهدموها وحالد يقول .

يا عر كمرىك لا سحرىك إلى رأيت الله قسد أهلىك  
 فانقصت بذلك عمدة إيريس المصرية من بلاد عرب وإن بقيت بصورة  
 أو بأحرى فى روم مسيحية ، كما نقصت من قبل عمادة أوديوه شعرد  
 تحطم هبل . وتظهر الحكمة من آهة مصريين وسوريين ويونان ورومان  
 لى جنبها لتحار العرب من تنك لبلاد لما حل على أسس الأمد وقست  
 قلوبهم .

(١) لا شوى لها : لا تنسى على شىء

كان سواع على صورة امرأة . إنه تمثال جلب من أرض ما بين النهرين وكان قوم نوح يعبدونه معدته هديل وححت إليه وجعلت له خزانة توضع فيها كل ما يهدي إلى آلهة القوم . وكانت هديل ككل العرب يؤمنون بالله ولكنهم كانوا يعتقدون أن آلهة الأرض تقرهم إلى إله السماء زلقى ، وكانت الأصنام والأوثان ترمز إلى الكواكب والحوم فكان العرب يقولون إنها سات الله !  
 جاء نوح ليدعو إلى عبادة الله وحده ، ثم طار على الناس الأمد وقست قلوبهم وعادوا إلى اتخاذ الأصنام آلهة تشفع لهم عند الله ، فأطبقوا على تمثال امرأة اسم سواع بن نوح كأنما يأبى شئرا لأن يحيل ثمة التوحيد إلى رموز الشرك والفسوق .

ولما تم لرسول الله ﷺ فتح مكة أرسل عليه السلام عمرو بن العاص في جماعة من أصحابه إلى سواع ليكسره ويهدم محله ، فأتى إلى ذلك الصم وعنده سادته ، فلما رأى عمرو بن العاص والذين معه أوجس منهم خيفة ، وقال لعمرو :

— ما تريد ؟

فقال عمرو :

— أمرني رسول الله ﷺ — أن أهدمه .

فراح الساد يتنمت في رعب أين عباد سواع يدين كانوا يهرعون إليه حاشعين ؟! أين الذين يأتون إليها مهتضعين مسبين ؟! أين الذين كانوا

يسألونها خاشعين ؟ أين هذيل وأين صاديدها ؟  
واستياأس السادن من القوم ، إلهم تخلوا عن آلهتهم فهل يتحلى عنها بؤها  
الذى فى السموات ، فراح يرنو إلى الصمم فى رحاء ثم يرفع بصره إلى السماء .  
وحس عمرو بن العاص يتقدم إلى الصنم وفى يده المعول فقال السادن وهو  
مرعوب : ما تريد ؟

— أن أهدمه .

— لا تقدر

— لم ؟

— ثمع .

فرماه عمرو بنظرة اردراء وقال :

— حتى الآن أنت على لاطل ؟ وهل يسمع أو يبصر ؟!

فدنا عمرو منه فكسره وأمر أصحابه فهدموا بيت حزانته فلم يجدوا شيئا ،  
فقطر عمرو إلى السادن نظرة اتهام فأطرق الرجل حياء ، ثم رفع رأسه ودار  
حوار بيه وبين عمرو ، وعمرو يشرح مبادئ الإسلام وصدور الرجل يشرح  
للإسلام ، حتى يد ما رأى عمرو أنوار اليقين تتلألأ فى وجه الرجل قال له :  
— كيف رأيت ؟

قال السادن فى إيمان :

— أسمنت لله .

وأرسل رسول الله — ﷺ — سعد بن زيد الأشهلى فى عشرين فارسا إلى  
صمم مائة يهدم محبه ، فلما وصلوا إلى الصمم قال السادن لسعد :

— ما تريد ؟

فقال سعد بن زيد فى ثبات :

— هدم مناة .

وَحَسَّ السَّادَنُ كَالِ الْأَرْضِ قَدْ رَلَرَلَتْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ، أَيْقَفَ مَكْنُوفَ  
الْيَدَيْنِ وَهُوَ يَرَى هَدْمَ رَمْزِ الْآلِهَةِ ؟ إِنْ سَادَاتِ الْأَوْسَ وَالْخَرَجَ كَانُوا يَحْجُونَ  
إِلَى هَذَا الْحَرَمِ وَكَانُوا يَذْبَحُونَ عِنْدَهُ وَكَانُوا يَمْضُونَ أَيَّامًا فِي عِبَادَةِ وَحْشَوْعٍ  
وَأَتَهَالُ لِمَاةٍ بَعْدَ عَوْدَتِهِمْ مِنَ الْحَجِّ . وَمَا كَانَتْ مِرَاسِمُ الْحَجِّ تَتِمُّ إِلَّا بِالطَّوَافِ  
حَوْلِ الصُّمِّ

إِنَّهُ لَيَذْكُرُ أَوَّلَ يَوْمٍ سَمِعَ فِيهِ ذِكْرَ مَاةٍ بِسُوءٍ فِي قُرْآنِ مُحَمَّدٍ ، جَاءَ أَحَدُ الدِّينِ  
اعْتَقُوا الْإِسْلَامَ وَرَتَّلَ أَمَامَهُ : « أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعِزَّى . وَمَاةٌ ثَالِثَةٌ  
الْأُخْرَى . أَلَكُمُ الذِّكْرُ وَهُوَ الْأُنْثَى تِلْكَ إِذَا قُسِمَةُ صِيرَى . إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ  
سَمِيَتْ بِهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ ، أَرَأَيْتُمْ إِنْ سَلَّطْنَا إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الصُّمَّ وَمَا تَهْوَى  
الْأَفْئُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى » <sup>(١)</sup> فَانْتَصَصَ غَضًا وَصَاقَ بِتِلْكَ  
السَّحَرِيَّةِ الْبِلَادَةَ بِسَاتِ اللَّهِ ، وَانْتَظَرَ أَنْ تَهْوَى قَارِعَةٌ مِنْ أَسْمَاءِ تَصِيبُ  
الصَّاعِي إِنْ دَنَى سِفَهُ أَحْلَامِ الْآثَاءِ وَسَبَّ الْآلِهَةِ . وَلَكِنْ الْأَيَّامُ رَاحَتْ تَمُرُ وَذَلِكَ  
الصَّاعِي يَنْتَقِلُ مِنْ بَصَرٍ إِلَى بَصَرٍ حَتَّى أُرْسِلَ أَتَاعُهُ لِيَقُوصُوا الصُّمَّ الْمَعْرُودَ ،  
أَتَتَرَكَ السَّمَاءَ هَؤُلَاءِ الْعَاشِينَ دُونَ عَقَابِ ؟!

وَوَقَّفَ أَمَامَ الصُّمِّ وَحْدَهُ لِيَصْدَعَ كَيْدَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ أَهْوَى مِنْ  
أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَاةٍ . إِنَّهُ صَعِيفٌ قَدْ حَاوَلَ أَنْ يَدَافِعَ عَنِ إِلَهَةِ الْخَطِّ وَامُوتَ  
قَدْرَ طَاقَتِهِ ، وَلَكِنْ ائْتَرَحَا كَانُوا أَقْوَى مِنْهُ فَحَوَّهَ عَنْ طَرِيقِهِمْ ، فَقَالَ لِسَعْدِ  
ابْنِ رَيْدٍ وَهُوَ يَتَقَدَّمُ لِهَدْمِ مَاةٍ :  
— أَنْتَ وَذَلِكَ .

والتفت إلى الصسم وقال في إيمان :

— مناة دولك بعض صبيانك .

فهوى سعد بن ريد الأشهلى بالنعول على الصسم وراح أصحابه يعاونونه ،  
والسادن يطر وهو يكاد أن يموت رعبا . وتناثرت الحجارة هنا وهناك  
والسادن يتمرق من الخوف ويتلوى من الألم قد ذهبت نفسه شعاعا ، ففى  
لحظة اندك إيمانه وأصبح قلبه هواء .

وانصرف سعد بن ريد الأشهلى والدين معه من الهرمان مستشرين بيبا  
وقف السادن يتلفت فى شروده وهو يستشعر فراغا ، قد ترك وحيدا فى وادى  
الصياح .

وقع الرعب في قلب رجال هوارن وثقيف لما فتح الله على رسوله مكة ،  
 وخشوا أن يسير بجيشه إليهم ، فمضى أشراف هوارن وثقيف بعضهم إلى  
 بعض وقالوا :

— قد فرغ لنا فلا ناهية .

فظموا إلى أنه لم يعد هناك مانع له — ﷺ — دؤمهم ، فراحوا يحشدون  
 الجموع ويقولون :

— والله إن محمدا وصحبه لأقو أقواما لا يحسبون القتال .

وراحت لقائل تنأهب لقتال ، وخرجت فينة بني سعد بن بكر وهم  
 الدين كان رسول الله — صوات الله وسلامه عليه — مسترصعا فيهم لتضع  
 نفسها تحت إمرة مالك بن عوف النصيري ، وكان إليه جماع أمر الناس  
 وكان دريد بن الصمة فارس هوارن وسيد بني جشم لا يرال على دين  
 قومه . إنه كان حليف بني سليم وكان قد رأى الخساء فأعجبه فذهب إلى  
 أبيها فحطبها إليه . فقال له أبوها :

— مرحبا بك أبا قره ، إنك لنكريم لا يطعن في حسبه والسيد لا يرد عن  
 حاجته والمحل لا يقرع أفعه ولكن هذه المرأة في نفسها ما ليس بعيرها وأنا  
 ذاكرك لها وهي فاعلة .

ثم دخل إليها وقال :

— يا خنساء أتك فارس هوارن وسيد بني جشم دريد بن الصمة يحطبك



وهو من تعلمين

فقلت

— يا أبت أتراني تاركة بنى عمى مثل عوالى الرماح . وبأكمة شيخ بى  
جشم هامة<sup>(١)</sup> اليوم أو غد ١٩

فخرج إليه أبوها فقال :

— يا أباقرة قد امتعت ، ولعلها أن تحب فيما بعد .

فقال :

— قد سمعت قولكما .

كان ذلك من سبين ، ولكن دريد بن الصمة لم يستطع أن يسي يوم أن  
الخصاء قد رفضت رعا عن علو شأنه وكثرة ماله وعلو ذكره . وقد كان بين  
هوران وبى سليم حلف وقد دحيت بو سببه فى الإسلام ، فخرج دريد  
ليحصر حرب المسلمين عنه يثار من الإهدة تلى لحفته مذر فضت الخصاء أن  
تقله روحا ، وراحت الأبيات التى هجاها ما تطوف بدهه :

وقال الله يا أمة آل عمرو من القتيار أمثلى وبمسى

هلا تدى ولا يكحكك مثلى إذا ما بيمة طرقت بسحس

كان دريد قد عمى وصار لا يتبع إلا برأيه ومعرفة بالحرب . فسار يقوده  
مرض قلبه ليلتقى بمالك بن عوف الذى أمر الناس بأحد أمواتهم وبنائهم  
وأبنائهم معهم ، فانطلق حتى نزل بأوطاس ورافاه هناك دريد بن الصمة ،  
فقال دريد لاس :

---

(١) الهامة : صائر يرعى العرب أنه يمثل روح المقصود . ولا يرل يصيح سفوف  
حتى يؤخذ بثأره .

— بأى ود أنتم ؟

— بأوطاس .

— نعم محال الخيل ، لا حزر<sup>(١)</sup> ضيرس ولا سهل ذهس ، ما لى أسمع رعاء

البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ونعار الشاء وحوار اليفر ؟

— ساق مالك بن عوف مع الناس أمواهم وساءهم وأبءاهم .

— أين مالك ؟

— كان مالك فى الثلاثين من عمره وكان دريد قد جاور المائة . إن مالكا قد

توافق معه على أن لا يخالفه فإنه قال له : إنك تقاتل رجلا كريما قد أوطأ العرب

وحاقه الحمة وأحلى يهود الحجار إما قتلا أو خروحا عن دل وصغار . فقال

له لا يحدث لى أمر تره . فلما قل : أين منث ؟ قيل له :

— هذا منث .

— يا منث أما إليك أصبحت رئيس قومك ، وإن هذ اليوم كائن له ما بعده

من الأيام . ما لى أسمع رعاء لبعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ونعار لشاء

ونحوار البقر ؟

— سقت مع الناس أبءاهم وساءهم وأمواهم .

— ولم ؟

— أردت أن أحمل حنف كل رجل أهنه وماله يقتل عنهم .

فقال دريد فى صيق :

— راعى ضأن والله ، ماله ولنحرب ! .

(١) حزر العليط من لأرض ، والضرس شىء ذهس نكك سهل

ثم أشار عليه برد الدرية والأموال وقال:

— هل يرد المهر شيء؟! إن كانت لك لم يملك إلا رجل بسيفه ورمحه ،  
وإن كانت عليك فصحت في أهلك ومالك . ويحك ! إنك لم تصع بتقديم  
البيصة بيصة هوارن إلى نحر أخيل شيئا . رجعهم إلى متع بلادهم وعليها  
فوقهم ، ثم لق النساء ( جمع صائى ) على متون أخيل فإن كانت لك لحق  
بك من وراءك . وإن كانت عليك كنت قد أحررت أهلك ومالك .

وساد الصمت برهة ثم قال دريد :

— ما فعلت كعب و كلب ؟

قال الناس :

— لم يشهدا مهم أحد .

فقال دريد في يأس :

— غاب أحد واحد ، لو كان يوم علا ورفعة ما عانا .

وأشار عليه بأمور ولم يقبها مالك منه وقال :

— والله لا أطيعك ، إنك قد كبرت وصعب رأيك

فقال دريد لهوارن :

— قد شرط مالك ألا يخافنى ، فقد حالمنى فأنا أرجع إلى أهلى

فصعوه ، وقال مالك :

— والله أنتظيئى يا معشر هوارن أو لأتكنس على هذا السيف حتى يجرح

من صهرى

وكره أن يكون ندر يد فيها رأى أو ذكر ، قالوا .

— أطعناك .

وصفت أخيل ثم الرجاة المقاتلة ثم صغت النساء على الإبل ثم صغت

الغص ثم صفت المعص ثم قال للناس :

— إذا رأيتموني شدوا عليهم شدة رجل واحد .

وراح دريد ينظر إلى هوازن في حرق ثم قال :

— هذا يوم لم أشهده ولم يفتى .

ثم أنشأ يقول :

يا ليتني فيها جذع<sup>(١)</sup> أختب فيها وأضع<sup>(٢)</sup>

أقود وطماء الرمع<sup>(٣)</sup> كأنها شاة صدع<sup>(٤)</sup>

ولما سمع رسول الله ﷺ — بحرقهم بعث إليهم عبد الله بن أبي حذرد

السلمي وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه

بحرقهم ففعل ثم أقبل على رسول الله ﷺ — فأحبره الخبر ، فدعا

رسول الله ﷺ — عمر بن الخطاب فأحبره الخبر فقال عمر :

— كذب ابن أبي حذرد .

فقال ابن أبي حذرد :

— إن كذبتى فرما كذبت بالحق يا عمر ، فقد كذبت من هو خير

منى .

فقال عمر في غضب :

— يا رسول الله ألا تسمع ما يقول من أبي حذرد ؟

— قد كنت ضالاً فهداك الله يا عمر .

وخرج المسلمون من مكة قد قصروا الأعنة وشعدوا الأسنة وأشعروا

(١) الجذع : الشاب .

(٢) الخيب والوصع : صريان من السير .

(٣) الوطاء : طويلة الشعر والرمع : الشعر الذى فوق مبط قيد الساية والشاة

(ها) : الوعل ، والصدع : من الأوعال والطاء والحمر

قلوبهم الحرة ولزموا الطاعة ، ولكن كان فيهم أناس من المؤلفة قلوبهم وأدس حرجوا للحرب ولم يدخل الإسلام قلوبهم منهم سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وقد حرح للقتال وما حق الله حلفاً أبغض إليه من رسول الله ﷺ .  
وكان قد ذكر لرسول الله ﷺ — أن عد صفوان بن أمية أدرع له وسلاحاً ، فأرسل إليه فقال :

— يا أمية أعربنا سلاحك هذا بلق فيه عدونا عدا .  
فقال صفوان :

— أغصبا يا محمد ؟

— بل عارية ومضمومة حتى تؤديها إليك .

— ليس بهذا يأس .

فأعطاه مائة درع مما يكفيها من السلاح .

فطلب منه رسول الله ﷺ أن يكفيهم حملها ففعل .

واستعار — ﷺ — من ابن عمه نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ثلاثة آلاف ربح فقال له :

— كائى أطر إلى رماحك هذه تقصف ظهر المشركين وكان فى جيش المسلمين عبد الله بن أبى . ربيعة وكان له عيد من الحشة يتصرفون فى جميع النهى وكان عددهم كثيراً ، فقبل لرسول الله ﷺ — حين حرح إلى حنين :

— هل لك فى جيش بنى المعيرة تستعين بهم ؟

فقال عليه السلام :

— لا خير فى الجيش . إن حاعوا سرقوا وإن شبعوا ربوا ، وإن فيهم لخلتين

حسنتين : إصعام الطعام . والبأس يوم البأس .

واطلق رسول الله ﷺ — ومعه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين حرجوا معه ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثنى عشر ألفاً .

واستعمل رسول الله ﷺ — عتات بن أسيد بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس على مكة أميرا على من تخلف من الناس .

وبطور رسول الله ﷺ — إلى الحيش فإذا بالرماح رفعت حتى كادت تسد الأفق ، فقال :

— لن نغلب اليوم عن قلة .

وسار الحيش وفيه أناس حديثو عهد بالجاهلية . وكان لكفار قريش ومن سواهم من العرب سدر ( شجرة البق ) عظيمة حصراء يقارها « دات أنواط » يأتونها كل سنة يعلقون أسديتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوما ، فرأوا وهم يسيرون مع رسول الله ﷺ — سدره حصراء عظيمة فتبادروا من جيبات الطريق :

— يا رسول الله اجعل لنا دات أنواط كما لهم دات أنواط .

فقال :

— الله أكبر ، قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى : « اجعل لنا إلهة كما هم آلهة قال إنيكم قوم تجهلون »<sup>(١)</sup> إنها أسس ، لركس سن من كان قبلكم .

وانطلق الحيش في طريق الطائف ، إذ رسول الله ﷺ — قد انطلق دات يوم هو وريد بن حارثة في نفس الطريق بعد أن ماتت حديجة وعمه أبو طالب وطرده المكيون من البلد الحرام ، إنه جاء إلى الطائف وهو يرحون يستحيون لدعوته ، ويحد عندهم المعة والسلام ولكهم سحر وامن ، وجلس سهاؤهم على حاسي الطريق يصربون قدميه بالحجارة حتى ماتت مهما

الدماء . إيه ماء من الألم ولكهم لم يتركوه ليسترخ بل أقاموه ليرصخوا قدميه بالحجارة وصحكاتهم تتصاعد من جنات الطريق : طريق الآلام وقسوة الخاهلين .

وانتهى رسول الله ﷺ — إلى مصيق حين مساء ليلة الثلاثاء لعشر حلون من شوال ، وكان على المسلمين أن يحتدوا ذلك المصيق ليصوبوا إلى الوديان الخصيبة حلف جبال أوطاس حيث صف مالك بن عوف الرجاء والمرسان والساء والإبل والأعنام والنعم .

به مكان موخش حوايه شديدة الاحذار ، والمصيق ضيق لا يسمح بتقدم جيش لا يتقدم في جماعات صغيرة ، وما كان هناك مكان للفرسان ليصولوا ويخونوا في المعركة فلما جاء السحر عاى رسول الله ﷺ — أصحابه وصفهم صفوفا ووضع الألوية ورايات في أيديها مع المهاجرين ، لنواء يحمله على بن أبى طالب ، وراية يحمله سعد بن أبى وقاص ، وراية يحملها عمر بن الخطاب ، ونواء اخر راح يحمله حباب بن مدر ، ونواء الأوس مع أسيد بن حصير ، وفي كل نص من بطون الأوس والخررج نواء وراية يحمله رجل منهم مسمى ، كذلك قبائل العرب فيها الألوية ورايات يحمله قوم منهم مسمون ، وكان رسول الله ﷺ — قد قدده سبيما من يوم حرج من مكة واستعمل عندهم حاد بن الوليد ، فنه يرل على المقدمة حتى قدده احمرارة ، وخذل رسول الله ﷺ — في وادى حين عى نعتنه وركب بعته البيضاء « ذئب » وس درعين والمعفر والبيصة ، واتحه المسلمون إلى مصيق حين وهم عى ثقة من أمهم بن يعنوا اليوم عى قنة

استقل المسلمون وادى حنين وانحدروا في واد من أودية نهامة متسع  
 مسحرون بما يحمدون فيه انحدرا ، فمراهم وهم محطون إلا الكتاب قد  
 شدوا عليهم شدة رجز واحد في عماية الصبح فإن مالت بن عوف والذين  
 معه كانوا قد سبقوهم إلى الوادى وكموا لهم في شعابه وأحائه ومصايقه  
 وراحوا يلقون على المسلمين الصخور من عل وأصوهم وابلا من ساهم كأهم  
 جراد منتشر لا يكاد يسقط لهم سهم ، ثم هجموا عليهم بعتة بأسياهم فاشمر  
 الناس راجعين لا يلوى أحد على أحد .

وقال أبو قتادة لعمر بن الخطاب في دهش :

— ما شأن الناس ؟

— أمر الله .

كان الطلقاء أهل مكة أول من اهزم ، قال بعضهم لبعض :

— اخذلوه . هذا وقته .

فانهزموا وتبعهم الناس .

واكتشفت الخيل حيل بنى سليم موية وتبعهم الناس مهزمين ، وانحدر

رسول الله — ﷺ — ذات اليمين وحمل يقول :

— يا أنصار الله وأنصار رسوله ، أما عبد الله ورسوله ، أين أيها الناس ؟ هموا

إلّى ، أنا رسول الله . أنا محمد بن عبد الله

وكان العاص بن عبد المطلب أحدًا برمام بعلة رسول الله — ﷺ —



وكان امرأ جسيما شديد الصوت ، فقال عليه السلام لما رأى الناس لا يلوون على شيء :

— يا عباس اصرح ، يا معشر الأنصار ، يا معشر أصحاب السَّمرَة<sup>(١)</sup> .

فراح صوت العباس يدوى في حيات وادى حين :

— يا معشر الأنصار .. يا معشر أصحاب السَّمرَة .

وصلك صوت العباس أذنى أبى سفيان بن حرب ، فقال أبو سفيان معرا

عما في قلبه من الصغر :

— لا تنهى هزيمتهم دون البحر .

وكانت لأرلام لا تزال معه في كدته ، وصاح كَلْدَة بن الحنبل وهو مع

أبيه صفوان بن أمية :

— ألا نطل السحر اليوم

فقال له صفوان وهو لا يزال مشركا في مدة التي جعل له رسول الله —

ﷺ .

— اسكت فص الله فاك فو الله لأن يرئسى ( يملكى ) رجل من قريش أحب

إلى من أن يرئسى رجل من هوازن

وثبت مع رسول الله — ﷺ — من المهاجرين أبو بكر وعمر ، ومن أهل

بيته علي بن أبي طالب وأبو سفيان بن حرب وسه وعلقم بن العباس وربيعة

ابن الحارث وأسامة بن زيد وأمين بن أم أمين بن عبيد .

وبلغ صوت عباس مسماع الأنصار فأجابوا .

(١) شجرة الطحح . هي الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان ( فتح مكة )

— لبيك . لبيك

مراح الرجال يشون أعرتهم فلا يقدرّون على ذلك لكثرة الأعراب  
المهرمين ، فأحدون دروعهم فيقذفونها في أعناقهم ويأحدون سيوفهم  
وتروسهم ويفتحمون عن رواحلهم ويحنون سبيها ، وانطلقوا إلى حيث كان  
رسول الله — ﷺ — كأنهم لأيل قد حست على أولادها .

وكان رجل من هوارن على جمل أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح له صوبل  
أمام هوارن وهوارن حلقه ، إذا أدرك طعن برمح ، وإذا فاتته اناس رفع رمحه  
لمن وراءه فاتعوه .

وراحت سيوف هوارن تلعب في رقاب المسلمين دون أن يشت لهم أحد ،  
فجمع إلى رسول الله — ﷺ — مائة من الصابرين ستقنوا ساس  
فاقتنوا وارتح المكان بشعار المقاتلين :  
— يا لأصار

وتصافحت سيوف واهترت الرماح وقطعت الرقاب وطعت الصدور  
وسقطت الأجساد ، واشتد القتال وصاح المقاتلون .  
— يا للحرزح .

وكانو صبرا عند الحرب فأشرف رسول الله — ﷺ — في ركائه ،  
مطر إلى محتلد القوم وهم يحتدون فقال .  
— الآن حمي الوطيس<sup>(١)</sup> .

أنا السبي لا كدب أنا ابن عبد المطيب .

(١) وطفى معركة وشلاحه

وراح شيبه بن عثمان بن أبي طلحة يدنو من رسول الله ﷺ — وهو يقول .

— اليوم أدرك ثأري من محمد ، اليوم قُتل محمد ،  
وكان أبوه قتل يوم أحد ، فاستدبر رسول الله ﷺ — وهو يريد أن  
يقنه بعثمان بن طلحة فأطلع الله رسوله على ما في نفسه فلتفت عليه السلام  
إليه وصرت في صدره وقال .  
— أعيدك بالله يا شيبه .

فأرعدت هرائصه ، فطرد إليه شيبه وهو أحب إليه من سمعه وبصره فقال :  
— أشهد أنك رسول الله ، وأن الله أطلعك على ما في نفسي .  
و سمر ذلك الرجل من هوارث صاحب الزية على حملة الأحمر إذا أدرك  
صعب راحه وإذا فاتته الناس رفع راحه من وراءه فاتبعوه ، فصاح إليه على راح  
صاحب وراحل من الأحصار يريدانه ، فأه على من حبه فصر عرقوب حمل  
موقع على عجزه ، ووثب لأصاري على راحل فصره صرة أض قدمه  
بصف ساقه فسقط عن راحه صريعا ، واشتد قتال في هوارث و تمت رسول  
الله ﷺ — إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد مظب وهو كحد  
بشعر<sup>(١)</sup> بعنته فقال

— من هب ؟

— أنا ابن عمك يا رسول الله

وشرح صدر رسول الله ﷺ ، فاحترث كان لا يفارقه أبدا قبل  
رسالة ، وقد اشتدت عداوته لأن عمه بعد رساله ، فلما سلم كان رسول  
الله ﷺ — يرحل أن يكون عوضا عن عمه حمزة — وقد صر احترث

في ذلك اليوم وصال وصال لإعلاء كلمة الإسلام ، كما صال وصال أسد الله وأسد رسوله من قبل .

وراح أبو سفيان بن الحارث يلعب بسيفه يخنو رءوس الكافرين ، إنه يريد الموت دون ابن عمه رسول الله ورسول الله عليه السلام يطر إليه . فقال العباس :

— يا رسول الله أحوث وابن عمك أبو سفيان فارص عمه .

— غفر الله له كل عداوة عادتها .

ثم التفت عليه السلام إلى أبي سفيان بن الحارث وقال في حب :

— يا أحمى .

فقتل أبو سفيان بن الحارث رحله عليه السلام في اركاب وانتعت رسول الله ﷺ — فرأى أم سليم امرأة محمد وكتب مع روحها أبي طلحة وهي حارمة وسطها بردها وإياها حمل بعد سنة من أبي طلحة ومعها حمل أبي طلحة ، وقد حشيت أن يعنها الحمل فأدبت رأسه منها فأدحيت يدها في حرامته مع الخطام ، فقال لها رسول الله ﷺ —

— أم سليم ؟

— نعم يا أمي يا رسول الله قتل هؤلاء ندين يهرمون عت كما تقتل الذين يقاتلونك فإنهم لندك أهل .

— أو يكفى الله يا أم سليم .

ومع أم سليم ححر فقال لها أبو طلحة

— ما هذا الححر معك يا أم سليم ؟

— ححر أحده ، إذا دأبني أحد من المشركين بعخته به .

فقال أبو طلحة وهو يتنسم :

— أسمعتم يا رسول الله ؟

ومشى أبو طلحة إلى الأعداء مشى انوعول بصرب بسيفه وقد أطل منه المون ، يقتل ويسب حتى استلب وحده عشرين رجلا ، ورأى أبو قتادة الأنصاري رجلا يقتلان مسلما ومشركا ، وإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم ، فأثاه أبو قتادة فضرب يده فقطعها ، واعتقه الرجل بيده الأخرى وكاد يقتله لولا أن الدم راح يرف من يده فسقط إعياء ، فضربه أبو قتادة فقتله وشعله عنه القتال ، ومر به رجل من أهل مكة فسلبه وأبو قتادة يجتلد بسيفه يقاتل عن دين الله .

وراح مالك بن عوف يستमित في القتال وكسبات دريد بن الصمة تدوى في نفسه : « راعى ضأن والله ماله وللحرب » ، فثبر حقه وتدفعه إلى الإقدام ، وأقيمت حيل الله إلى حيث كان رسول الله عليه السلام ، وأفاق المسلمون من المعاجاة فراحوا يقاتلون في سبيل الله بقبوب عامرة بانيقين ، فكثرت القتل في المشركين وتصدعت صفوفهم ودارت الدائرة على أهل حنين ، فجعل المسلمون يقتنون هريقا وهريقا بأسرون ، وأمكن الله رسوله — ﷺ — من أعدائه ، فقالت امرأة من المسلمين :

قد علست حيل الله حيل اللات وحيله أحق بانثشت

وسهرمت هوارن واشتد القتل من ثفيف في بني مالك ، فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم فهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب ، وكانت رايتهم مع دى الحمار عوف بن الأرييع ، فلما قتل أحدها عثمان بن عبد الله فقاتلها حتى قتل ، فلما بلغ رسول الله — ﷺ — قتله قال

— أبعد الله ! فإنه كان يبعض قريشا !

وقتل مع عثمان بن عبد الله علام له بصراني أغرل<sup>(١)</sup> فصاح بأعلى صوته .  
— يا معشر العرب يعلم الله أن ثقيفا غرل .

وكان المعيرة بن شعبة وهو من ثقيف في صفوف المسلمين ، فحشنى أن  
تذهب عنهم في العرب فأخذ بيده وقال :

— لا تقل ذلك فذاك أئى وأمى ، إما هو علام لنا بصراني .

ثم جعل يكشف له عن القتل ويقول له :

— ألا تراهم محتنين كما ترى !

وكانت رواية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما أهرم الناس أسد رايته  
إلى الشجرة وهرب هو وبو عمه وقومه من الأحلاف ، فلم يقتل من  
الأحلاف غير رحبين : رحل من بني عيرة يقال له وهب ، وآخر من بني كُبة  
يقال له الحلاج ، فقال رسول الله ﷺ — حين نعه مقتل الحلاج .

— قتل اليوم سيد شباب ثقيف إلا ما كان من أس هيدة .

ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف وهو يكاد يموت  
عما ، فقد أعرض عن نصيحة دريد بن الصمة وحسن قومه لموت وفصح  
أهله . وعسكر بعضهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن فيمن  
توجه نحو نخلة إلا بو عيرة من ثقيف ، وتبعته حيل رسول الله ﷺ —  
من سلك في نخلة من الناس ولم تتع من سلك النشاي .

وكان دريد بن الصمة في هودج فأدركه ربيعة بن رفيع فأخذ بخطام جملة  
وهو يطل أنه امرأة فإذا برجل ، فأناح به فإذا شيخ كبير وإذا هو دريد بن  
الصمة فار من حشمه الذي لم يبق منه إلا أن رأى ولا يعرفه العلام ، فقال له

(١) الأغرب . غير محتش .

دريد :

— ماذا ترى نى ؟

— أقتلك .

— ومن أنت ؟

— أنا ربيعة بن ربيع السلمى .

إنه من بنى سليم حلماء الأمس ، إنه من قبيلة الحساء التى قالت لأبيها يوم جاء يحطها : يا أيت أترانى تاركة بنى عمى مثل عوالى الرماح وناكحة شيع بنى حشم هامة اليوم أو غد ؟! . وصر به العلام بسيقه فمض شيتا فقال : — بئس ما سدحتك به أملك ! حذ سيمى هذا من مؤجر الرحل ثم اصرب به ورفع عن العظام واحفص عن الدماغ ، فإنى كدك كست أصرب الرحل ، ثم إذا أتيت أملك فأحرها أنك قتلت دريد بن الصمة ، حرب والله يوم منعت فيه ساءك .

ودهب العلام إلى الرحل وكان فى اهودح وأنى بسيف دريد ثم صر به فأرداه . فمما رجع ربيعة إلى أمه أحرها بقتله إياه فقالت : — أما والله لقد أعنت أمهات لك ثلاثا .

فقالت عمرة بنت دريد فى قتل ربيعة دريدا .

لعمرك ما حشيت على دريد	يطل سميرة حيش العاق
جرى عنه الإله بى سليم	وعقتهم بما فعلوا عقاق
وأسقاسا إذا قدس إليهم	دماء جبارهم عند التلاق
فرب عزيمة دافعت عنهم	وقد بلغت نفوسهم التراق
ورب كريمة أعتقت منهم	وأخرى قد فككت من الوشاق
ورب موه بك من سيم	أجت وقد دعاك بلا رماق

فكان جراثنا منهم عقوقا وهما مع مـ غ ساق  
 عمت آثار حيلك بعد أيس بدى بقر إلى فيف النهاق<sup>(١)</sup>  
 وبعث رسول الله — ﷺ — في آثار من توجه قتل أوطس أبا عامر  
 الأشعري ، فأدرك من الناس بعض من اهزم فناوشوه القتال .  
 ولقى أبو عامر عشرة أخوة من المشركين فحمل عليه أحدهم فحمل عليه  
 أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول :  
 — اللهم اشهد عليه .

فقتله أبو عامر .  
 ثم حمل عليه آخر فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول :  
 — اللهم اشهد عليه .  
 فقتله أبو عامر ، ثم جعلوا يحملون عليه رجلا رجلا ويحمل أبو عامر وهو  
 يقول ذلك ، حتى قتل تسعة وبقي العاشر ، فحمل على أبي عامر وحمل عليه  
 أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول :  
 — اللهم اشهد عليه .

فقال الرجل :  
 — اللهم اشهد عليه .  
 فكف عنه أبو عامر فأقلت منه .  
 ورمى سلمة بن دريد أبا عامر بسهم فقتله ، فأخذ الراية أبو موسى  
 الأشعري وهو ابن عمه فقاتلهم ففتح الله على يديه وهزمهم .  
 واستحر القتل من بني نصر في بني رثاب ، ورأى عبد الله ابن قيس وهو  
 أحد بني وهب بن رثاب ما نزل بقومه فقال :  
 — يا رسول الله هلكت بنو رثاب .

---

(١) أين : لتعب والمشقة ، ردو بقر موضعان ، والفيف : القصر ، والهاق موضع



فقال عليه السلام :

— اللهم اجبر مصيبتهم .

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة فوقف في فوارس من قومه على ثنية من الطريق وقال لأصحابه :

— قفوا حتى تمضي ضعفائكم وتلتحق أحراركم .

فوقف هناك حتى مضى من كان لحق بهم من منهزمة الناس ، وطلعت خيل ومالك وأصحابه على الثنية فقال لأصحابه :

— ماذا ترون ؟

— نرى قوما واضعى رماحهم بين اذان خيلهم طوية بواد هم ( بطون

امحاذهم ) .

— هؤلاء بنو سليم ولا بأس عليكم منهم .

فلما أقبلوا سلكوا بطن الرادى ، ثم طلعت حيل أخرى تنعها فقال لأصحابه :

— ماذا ترون ؟

— نرى قوما عارضى رماحهم أعمالا على خيولهم .

— هؤلاء الأوس والخزرج ولا بأس عليكم منهم .

ثم طلع فارس فقال لأصحابه :

— ماذا ترون ؟

— نرى فارسا طويل الناد ، واضعا رمح على عاتقه . عاصما رأسه بملاءة

حمراء .

— هذا الربير بن العوام وأحلف باللائات ليحاطنكم فانتوا له .

فلما انتهى الربير إلى أصل الثنية أبصر القوم فانطلق إليهم وراح يطاعنهم

حتى أراحهم عنها ، وفر الناس لا يبيون على شيء .

ومر رسول الله ﷺ — بامرأة والناس مزدحمون عليها فقال :  
— ما هذا ؟

— امرأة قتلها خالد بن الوليد .

فقال رسول الله ﷺ — لبعض من معه :

— أدرك خالدًا فقل له : إن رسول الله يهاك أن تقتل وليداً أو امرأة أو  
عسيماً ( أجيرا ) .

وكان بجناد رجلا من بني سعد بن بكر قد أحدث حدثاً ، فقال —  
ﷺ — لمن عنده :

— إن قدرتم على مجاد فلا يفتكم .

فانطلقوا في أثره حتى طهروا به ساقوه وأهله ، وساقوا معه أنشيماء بنت  
الخارث بن عبد العزى أخت رسول الله ﷺ — من الرضاعة فعصموا عليها  
في السياق ، فقالت للمسلمين :

— تعلموا والله أني لأخت صاحبكم من الرضاعة

فهم يصدقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله ﷺ — فقالت :

— يا رسول الله إنني أختك من الرضاعة .

— وما علامة ذلك ؟

— عصة عصصنيها في ظهري وأنا متوركتك .

فعرف رسول الله ﷺ — العلامة فسط لها رداءه فأجلسها عنده  
وحبرها وقال :

— إن أخت معدى مُحَمَّة مكرَّمة ، وإن أختك أن أمتعتك وترحمي إلى

قومك فعب .

فقالت .

— بل تمتعني وتردني إلى قومي .

فأعطاهام علاما له يقال له مكحول وحارية وردها إلى بني سعد مكرمة معزرة ، وذكريات طمولته تطرف برأسه كالأصياف .

وهرم الله الكفار ورجع المسلمون إلى رحالهم فجعل النبي — ﷺ — يمشى في المسلمين ويقول :

— من يدلي على رجل خالد بن الوليد .

كان عليه السلام قد علم أن حالدا أخرج .

فمرل عبيه فوجده قد أسد إلى مؤخرة رحله لأنه قد أثقل بالخراجة ، فراح عليه السلام يصمد جرحه ، والتفت عليه السلام فرأى عائذ بن عمر وقد أصابته رمية في جبهته فسال الدم على وجهه وصدره ، فسداسي — ﷺ — الدم بيده عن وجهه إلى ترقوته واستمر عليه سلام يعود آخر حي ويؤسسه فيعيد الشر إلى الوحوه ويث الأمل في لقنوب .

وأنزل الله عز وجل في يوم حنين : « لقد بصركم الله في موطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم لأرض ما رحبت ثم وليتم مدبري . ثم أنزل سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودكم ثم تروها وعدب الدين كعمروا وذلك حراء الكافرين . ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم » (١) .

عن رسول الله ﷺ — أن مالك بن عوف وقوما من أشراف قومه  
 لحقوا بالصائغ عبد سهرامهم ، وأن أولئك القوم تحصنوا في حصن به وأدخلوا  
 فيه ما يصلحهم ، فتوجه إليهم بعد أن بعث بالسبي والغنائم إلى الجعرانة مع  
 نذيل بن ورقاء الخزاعي ، وكان سبي حين ستة آلاف رأس غير من أسر من  
 الرجال والنساء والولدان

وكان في جيش المسلمين الطميل بن عمرو الدوسي وقد ملأت أقطار رأسه  
 صورة صنم هومة واستشعر رعيه حاحه في أن يحرقه ليحلوا لدوس وجه الله ،  
 هذا من رسول الله ﷺ — وهو في طريقه إلى الطائف وقال في أعمال :  
 — يا رسول الله ابغضني إلى ذي الكفين صمم عمرو بن حُصمة حتى أحرقه  
 فبعثه رسول الله ﷺ — في شوال سنة ثمان ليهدم ذي الكفين وأمره أن  
 يستمد قومه ويأتيه بالطائف ، فانطلق الطميل بن عمرو والدماء تتدفق في  
 عروقه حاره والأفكار تشال على رأسه . إنه يرى نفسه يوم أن قدم مكة  
 ورسول الله ﷺ — ٣ ، ويرى أشراف قريش وهم يمشون إليه ويقولون  
 له .

— يا طميل ، إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل  
 بنا وقد عرق حماعتنا وشتت أمرنا ، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين  
 أبيه وبين الرجل وبين أخيه وبين الرجل وبين زوجته ، وإنما نحشى عليك وعلى  
 قومك ما قد دخل علينا فلا نكلمه ولا نسمع منه شيئا

وارتسمت على شفتيه بسمه هارثة . إنه يسحر من نفسه ويتساءل في عجب : كيف أجمع في ذلك اليوم ألا يسمع منه شيئا ولا يكلمه وهو الشاعر اللبيب الذي يستطيع أن يميز سحر البيان من قبح الحديث ، وكيف اصباح هم حتى حشا في أذنيه حين غدا إلى المسجد قطنا مرفا من أن يسمعه شيء من قوله ؟ ترى كيف كان حاله لو لم يسمعه الله بعض قوله ؟ أكان حارب رسول الله ﷺ — مع الدين حاربوه ؟ ولو أنه حاربه أكان يموت كافرا كما مات كثير من الذين قاتلوه وقتلوا قبل أن يفتح مكة ويسود السلام ربوعها ؟ وسرت في بدنه رعدة ، وسرعان ما أحس فصل الله عليه أن هداه إلى الإسلام فسجد لله شكرا على ظهر راحلته .

ورأى نفسه وهو يتبع رسول الله ﷺ — في رفاق العطارين وهو يستشعر أنه يسلك سبل السلام ، إن قلبه ليحقق بين حسيبه كما حقق في ذلك اليوم ، وإنه ليرى نفسه في وصوح وهو يزل في دار حديجة درحات ثم يستأذن في الدخول على رسول الله . وإنه ليعمل وهو على ظهر راحته مثل ذلك الامعان الذي اعتراه وهو يتقدم إلى حيث كان عليه السلام . بها خطوات لا تسي ، إنه أحس كأنما غير طيب صمغ روحه وأن أنوارا سماوية شاعت بين حوائجه وأن فرحا يباضا عمر نفسه وأن أمسا انتشر في وجدانه وأن سلاما برل بردا على فؤاده . وسار وهو مأخوذ بسحر ما سمع من آيات بيئات حتى إذا دخل عليه قال وقد تهبل بالمرح :

— يا محمد إن قومك قد قالوا لي إيا بحشى عيبك وعلى قومك ما قد دخل عيب ، فلا تكلمه ولا تسمع من شيء ، فوالله ما رحو بخوفوسى أمرك حتى سددت أذنى كرسف فلا أسمع قولك . ثم أرى الله إلا أن يسمعنى قولك فسمعتة قولاً حسب ما عرس عنى أمرت .

وراح الطميل بن عمرو يطر إلى الأفق النعيد وهو شارد تتنون قسما  
وجهه بانفعالات نفسه ، فصوت رسول الله ﷺ — يأتي من أعماق  
الماضي كأنه البشري يعرض عليه الإسلام ويتلو عليه القرآن في صوت جهورى  
أخاد يمس أوتار القلب ويحرك مابع الحنا ، فحرت دموعه تبلبل لحيته وقال  
في إيمان عميق :

— أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله . إنه لا يستطيع  
أن يحبس عبراته كلما تذكر ذلك اليوم فهو يوم عر حشرت أحداثه في سويداء  
فؤاده ، فهو يذكر كل ما كان فيه من انفعالات وحوار ، إنه قال برسول الله ﷺ —  
بعد أن شهد شهادة الحق :

— يا سبي الله إلى امرؤ مطاع في قومي ، وأنا راجع إليهم وداعبهم إلى  
الإسلام .

إنه انطلق إلى قومه في ذلك الوقت كما هو مطلق إليهم الساعة يتأجج  
بالحماس يستشعر كأن راحته لا تصوى الأرض ، ورا في جوفه الحوار الذي  
كان بينه وبين أبيه :

— إليك يا بني ؟

— أسمت وتابعت دين محمد ﷺ —

— أى بى فدينى ديت .

— فذهب فاعتسل وظهر ثيابه ثم تعال أعلمك ما علمت .

وسرع ما لاحت لعين حيا له صورة سادن دى الكعبين تملأ الأفق ، إنه  
عاصب نائر يحاول أن يحول بيه وبين أن يحرق إلهه ودارت في دهب معركة  
رهسة بيه وبين دنك السادن إنه يهجم عليه بالنار انى يحتملها في عيبه  
م سادن يدفعه في صراوة كأنه لوة تدفع في ستانة عن أشها ، وهو ينهل

إلى دى الكمين فى صوت مفزوع أن ينده بعونه . وجلجل فى ضمير الطفيل  
صوته بالتكبير فحيل إليه أن الوديان والحلال تؤذن فى إيمان : الله أكبر . الله  
أكبر .

وانثالت على رأسه الذكريات ، إنه دعا دوسا إلى الإسلام فأبطعوا عليه وما  
استجاب له إلا أبو هريرة ، إنه استشعر فى ذلك الوقت غما وود لو أن عذب  
الله ينزل بقومه الدين أبوا أن يخرجوا من الطلمات إلى نور الله . إنه كان يتمرق  
غيبا كلما رأى الناس يطبقون إلى حمى ذى الشرى حاشعين يسألونه الرق  
وطالة الأعمار ، ويا طالما قال لهم : إنكم تعبدون من دون الله أو أنا وتخلقون  
إنكا . فكانوا يعملون أصابعهم فى آذانهم ويستغشون ثيابهم ويصرون  
ويستكبرون استكبارا .

وصاق بقومه فحاء رسول الله — ﷺ — بمكة فقال له :  
— يا نبي الله ، إنه قد عسى على دوس الرنا ، فادع الله عليهم .  
وتقاصرت نفس الطفيل لما مس أذنيه صدى صوت رسول الله  
— صوات الله وسلامه عليه — إنه يدع الله عليهم بل دعا لهم فقال :  
— انهم اهد دوسا . ارجع إلى قومك فادعهم وارقهم .  
وقال الطفيل فى نفسه :

— صدق الله العظيم : إنك لعلى حنق كريم يا رسول الله  
واحدت الشمس ثم راح قرص الذهب الأحمر يعوص فى الأفق العرنى  
والطفيل بن عمرو يطوى القفار وانفكر بهم فيما كان . إنه يحس وقد حلا  
نفسه أن فاته بعض اشاهد مع رسول الله عليه السلام فقد مضى ندر  
واحد واخذق وهو فى قومه يدعوه إلى الإسلام . ثم قدم على رسول الله  
— ﷺ — عن أسمم معه من قومه ورسول الله — ﷺ — خير ، حتى

نزل المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا من دوس ، ثم لحق برسول الله ﷺ — مخبر فأسهم لهم مع المسلمين .

وراح يطيب نفسه ويقعها بأنه إن كان قد فاتته جهاد فقد كان في جهاد . وجعل يشكر الله أن فيض له الهجرة وكان فصل الله عبيه عظيما .

ولاح له جبل دوس والماء يهبط منه فاشتد وجيب قلبه . فعند محبة الوادي صم ذى الكفين . ترى أيستطيع سادته أن يقف في وجه جموع المسلمين المزحجرة المتدفقة لك الإفك والشرك بعد أن فاصت أفئدتهم بأنوار اليقين ؟ ولوى الطفيل شفته السعل استهراء ثم اندفع على راحته حتى إذا جاء قومه دعاهم إلى الخروج لحرق الصم الذي لا يملك لنفسه نفعا أو ضرا .

وابطلقت الحموع كالسيل إلى صم عمرو بن حممة الدوسي فوقف الساد مشدوها لا يحرك ساكنا ، وتقدم الطفيل والدين معه فهدموا ذا الكمين وجعل الطفيل يحش النار في وجهه ويقول :

يا ذا الكفين لست من عبادك ميلادا أقدم من ميلادك  
إني حششت<sup>(١)</sup> النار في فؤادك

واخذ معه من قومه أربعمئة سراعا وقد حملوا معهم دباب<sup>(٢)</sup>  
ومحيقا<sup>(٣)</sup> ليوافوا رسول الله ﷺ — بالطائف

(١) حش النار : أوقدها .

(٢) الدابة آلة تتحد في الحروب يدخل في جوفها الرجار ثم تدفع في أصل الحصن

فيقبوه وهم في جوفها

(٣) والمحيق : آلة ترمى بالحجارة لهدم الحصون .



انهزم مالك بن عوف فانسحب بفلول جيشه إلى الطائف وأغلق أبواب المدينة ، ثم دخل هو والدين معه حصصاً حصصاً بعد أن أدخل فيه ما يصلحهم لسنة وأغلقوه عليهم وتهيئوا للقتال ، فقد كانوا واثقين أن رسول الله ﷺ — سيسير إليهم ليقاتلهم ، فما كان عليه السلام بتركهم وقد بدعوه بالعداوة قبل أن يقضى على فتنهم أو يدخلوا في السهم كافة .

وسار رسول الله ﷺ — من حبر يريد الطائف ، وقدم خالد بن الوليد على مقدمته . ومر جيش المسلمين بقبر فقال رسول الله ﷺ — :  
— هذا قبر أبي رغال .

كان أبرهة قد خرج بأمر نجاشي الحبشة في جيش عظيم ليقتضى على ديانات العرب ويهدم بيوت عبادتهم ، ويتقدم حتى يتصل نصارى الحبشة بنصارى الشام فيرفع بذلك الصليب عن الجزيرة العربية كلها . وانطلق أصحاب الميل حتى إذا ما بلغوا الطائف وأرادوا هدم بيت اللات المقدس تلقى أهل الطائف القائد العظيم بالخضوع وأظهروا له الولاء والطاعة وربنوا له هدم البيت العتيق ، فهو البيت الذى تهوى إليه كل قلوب العرب وهو الرباط الوحيد بينهم وإن اختنفوا في الملل والحل . وقدموا إليه أبارعال ليكون دليلاً له ليوصله إلى مكة .

وبطر المسمون إلى قبر أبي رغال في غضب واحتقار . وتحرك الحقد فيهم على الرجل الذى قاد جيش الأعداء لهدم أول بيت وضع للناس ، ولولا أن ( فتح مكة )

حمى الله بيته وأرسل على أصحاب الفيل طيرا أنابيل<sup>(١)</sup> ترميهم بحجارة من سجيل لكان يبت أيهم إبراهيم قد درس ولما عاد مرة أخرى ليكون مارة للتوحيد ، فهجموا ثائرين على قبر الخائن ونشوه .

واطلق جيش المسلمين فسلك رسول الله ﷺ — على نخلة اليمامة ، ثم على قرن ثم على المليح ، ثم على بحرة الرعاء من لئية فابتنى بها مسجدا فصلى فيه و برل المسمومون بحجرة الرعاء فعدا رجل من بني ليث على رجل من هذيل فقتله . فقتله — ﷺ — به وهو أول دم أقيد به في الإسلام .

وكان حصن مالك بن عوف على مرمى البصر من عسكر المسلمين ، فأمر — ﷺ — به بهدم . ثم سار عليه السلام بطريق يقال لها الصيقة ، فلما توجه فيها رسول الله ﷺ — سأل عن اسمها فقال :

— ما اسم هذه الطريق ؟

— الصيقة .

— بل هي اليسرى .

ثم حرج منها على بح حتى نزل سدره يقال لها انصادرة قريبا من مال رجل من ثقيف ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ : إما أن تخرج وإما أن نخرب عليك حائطك ( يستملك ) . فأبى أن يخرج فأمر رسول الله ﷺ — بإحراجه .

ثم مضى رسول الله ﷺ — حتى برز قريبا من الطائف فصر به عسكره قريبا من الحصن الذي تخصص فيه مالك بن عوف واديين معه ، فسرعدوا ما تروا بابل ، واهلأت القدائف على المسلمين فأصيب من مهم

(١) أنابيل : جماعات متتابعة

بحراحات وكان أبو سفيان بن حرب يتقدم ليسدد سهامه فإذا بسهم يصيب  
عنه ، فأقى النبي ﷺ — وعيه في يده فقال :

— يا رسول الله هذه عيني أصيبت في سبيل الله

ورُمى عبد الله بن أبي مكر الصديق بسهم فحمل إلى حيث كان أبوه والدم  
يرف منه عزيزا ، وأصيب سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية إصابة أردته  
قتيلا ، ورُمى ثابت بن الخدع من الأنصار رمية قاتلة ، وحاول المسلمون أن  
يدخلوا الحصن فلم يقدروا عليه . فلما أصيب أولئك النفر من أصحاب  
رسول الله ﷺ — بالبل وصع عسكره بعيدا عن مرمى البال .

وكان مع رسول الله ﷺ — امرأتان من نسائه إحداهما أم سلمة بنت  
أبي أمية فصرب لهما قتيبان ، ثم صلى بين القتيبان وراح يحاصر ثقيفا ويقاتلهم  
قتالا شديدا والبل يتطير من الحصن إلى الأرض ومن الأرض إلى الحصن  
وأبانت سمعت من الحصن وأحساد ترتطم بالأرض ، واستشهد السائب بن  
الختارث بن قيس وأخوه عبد الله بن الخثارث

ودخل — حيمة أم سلمة وعندها أخوها عبد الله بن أبي أمية ،  
وهيت الخمت وكان لعبد الله ، وكان هيت يقول :

— إن فتح الله عليكم الطائف فسل السبي — بادية ست غيلان بن  
سلمة بن معتب فأبها هيماء شموع<sup>(١)</sup> بحلاء<sup>(٢)</sup> . إن تكلمت تعبت وإن  
قامت تشمت ، تقبل بأربع وتدبر بثمان ، مع ثمر كاه الأقفحوان<sup>(٣)</sup> . وبين  
رحبها كالإباء المكفوء ، كما قال قيس بن الخطيم :

(١) شموع : مصيعة

(٢) بحلاء : واسعة العنبر

(٣) الأقفحوان : نبات الربيع له نور أبيض .

تعترق الطرف وهى لاهية كأنما شف وجهها تُرْف  
بين شكول النساء حلفتها قصد<sup>(١)</sup> فلاحية ولاصف<sup>(٢)</sup>

فقال النبى — ﷺ :

— لقد علعلت النظر يا عدو الله .

ثم حلاه عن المدينة إلى الحمى وقال :

— لا يدخل على أحد من نسائككم .

واستؤنف القتال فأقبل خالد بن الوليد ونادى .

— من يبارز ؟

فلم يطلع إليه أحد . ثم كرر ذلك فلم يطلع إليه أحد . وناداه عبد ياليل :

— لا يبر إليك ما أحد ، ولكن بقمى حصصا فإن به من الطعام ما يكفينا

سيرا ، فإن أقمت حتى يذهب هذا الطعام خرجنا إليك بأسيافنا جميعا موت  
عن آخرنا .

وتطيرت السهم بين الحابين فأصاب سهم عبد الله بن أمية بن المعيرة

فقتله قبل أن يفتح الله على المسلمين الصائف ، وقيل أن يسأل رسول الله —

ﷺ — بادية بنت عيلان ذلك الرجل الذى وفد على كسرى فقال له  
كسرى :

— أى ولدك أحب إليك ؟

فقال .

(١) قصد وسط

(٢) نقصف : سحاه

— العائث حتى يقدم ، والمريض حتى يعافى ، والصغير حتى يكر  
ولم يشهد حصار الطائف عروة بن مسعود عظيم ثقيف ولا عيلان بن  
سلمة ، كانا يخرش يتعمان صعدة الدبابات ومخايق والصور وهى آلات  
حرابية حديثة ستعير حطط القتال رأسا على عقب .  
وأشرقت شمس اليوم الرابع فإذا بالطفيل بن عمرو الدوسى قد قدم ومعه  
من قومه أربعمائة ودبابة ومجقيق واستشير المسلمون بآلات الحرب  
الحديثة ، ودخل بقر من أصحاب رسول الله ﷺ — تحت دبابة وكانت  
من جلود ، ثم رحفوا بها إلى حدار الطائف ليخرفوه فأرست عليهم ثقيف  
سكك الحديد محماة بالنار ، فحرقوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالبل فقتلوا منهم  
رجالا ، فأمر رسول الله ﷺ — بقصع أعناقهم وتحريقها فوقع الناس فيها  
وقطعوا قطعاً دريعا ، فسأوه أن يدعها لله وللرحم فقال رسول الله ﷺ —  
: ﷺ

— إلى أدعها لله وللرحم .

وبادى رسول الله ﷺ — .

— أيما عند رب من الحصص وحرح إليها فهو حر .

فخرج منهم ثلاثة وعشرون رجلا وارب منهم شحص في بكرة فقيل له أبو  
بكرة وكان عدا للحارث بن كلدة صيب ثقيف ووالد الضر بن الحارث  
الذى كان يقول : « والله ما محمد بأحسن حديثا منى وما حديثه إلا أساير  
الأولين » ، فاعتقهم رسول الله ﷺ — ودفع كل رجل منهم إلى رجل  
من المسلمين يمونه ، فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة

وحشى أبو سفيان بن حرب على استهامة ست أنى سفيان وكانت عند  
عروة بن مسعود ، وحاشا على بساء من قريش رسي كناية فتقدم والمعيرة بن

شعبة إلى الطائف فاديا ثقيفا : أن أسونا حتى نكلمكم . فأموهما مدعوا ساء  
من ساء قريش وبني كنانة ليخرجن إليهما فأبين . فعاد أبو سفيان بن حرب  
والمغيرة بن شعبة إلى صفوف المسلمين وقد أطرقا حرا يحافان على ساء قريش  
وبني كنانة اللاتي تزوجن في ثقيف الساء .

وامتأذن رسول الله ﷺ — عيسى بن حصص الخليل المطاع الذي تتبعه  
ألف امرأة في أن يأتي ثقيفا في حصنهم ليدعوهم إلى الإسلام فأذن له في ذلك ،  
فأتاهم فدخل في حصنهم فقال لهم :

— تمسكوا في حصنكم ، فوالله لئن أدل من العبيد ولا تعطوا بأيديكم  
ولا تتأثروا بقطع هذا الشجر .

فرجع إلى رسول الله ﷺ — فقال له

— ما قلت لهم يا عيينة ؟

— أمرتهم بالإسلام ودعوتهم إليه وحذرتهم النار وذللتهم على الحنة

— كذبت . إنما قلت لهم : تمسكوا في حصنكم

— صدقت يا رسول الله . أتوب إلى الله وإليك من ذلك .

وبان القوم ، ولما استيقظ رسول الله ﷺ عليه السلام قال لأبي بكر لصديق :

— يا أبا بكر إني رأيت أبي أهدبت في قبة ( قدح ) مملوءة ريدا فنقرها ديك

فهراق ما فيها .

فقال أبو بكر الصديق :

— ما أظن أن تدرئ مهم يومئذ هذا ما تريد .

فقال رسول الله ﷺ —

— وأنا لا أرى ذلك

واستشار رسول الله ﷺ — وهو بن معاوية الديلي في المذهب

أو المقام ، فقال له :

— يا رسول الله ثعلب في جحر إن أقمت أحدثه وإن تركته لم يضرك .

فأمر رسول الله ﷺ — عمر بن الخطاب فأذن في الناس بالرحيل ،

فقبح الناس ذلك وقالوا .

— نرحل ولم يفتح علينا ؟!

فقال رسول الله ﷺ :

— فاعدوا على القنال :

فعدوا فاهالت السهام عليهم من الحصن كوابل من المطر فأصاب الناس

جراحات ، فقال رسول الله ﷺ :

— إيا قاعبون إن شاء الله .

فسروا نديك وأدعوا وحجوا يرحلون ورسول الله ﷺ — يصحك

تبعها من سرعة تعير ربيهم ، وهدى سعيد بن عيسى أسيد وهو يطر إلى أهل

الطائف وهم في حصصهم .

— ألا إن أحيى مقبم .

فقال عبيد بن حصص .

— أحل والله مجدة كراما .

فقال رجل من المسلمين :

— قاتلك الله يا عبيبة ، أتمدح المشركين بالامتاع من رسول الله —

ﷺ — وقد حثت نصر رسول الله ﷺ !

— إني والله ما حثت لأقاتل ثقيما معكم وبكى أردت أن يصح محمد

صائف فأصيب من ثقيف حارية أنصتها لعلها تند لي رجلا ، فإن ثقيفا قوم

مناكير<sup>(١)</sup> .

ورجعوا إلى رسول الله — ﷺ — وقال لهم عليه السلام :

— قولوا لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر وعده ، وهزم الأحزاب وحده .

فلما ارتحلوا واستقبلوا قال :

— قوبوا آيئون تائبون عابدون ، لربنا حامدون .

وقالوا :

— يا رسول الله ادع على ثقيف أهل الطائف .

فقال :

— اللهم اهد ثقيفا وأت بهم مسلمين .

واخذ المسمومون إلى الحمرية ، فلقي سراقه رسول الله — ﷺ — وهو واضع الكتاب الذي كتبه له — ﷺ — عند الهجرة بين أصبعيه ويأدي :

— أنا سراقه وهذا كتابي .

وتذكر أبو بكر يوم أن هاجر مع رسول الله — ﷺ — إلى المدينة وراح سراقه يتبعهما لينال جائزة قريش . إن أبا بكر يذكر ذلك الكتاب الذي يصعه سراقه بين إصبعيه فقد كتبه بخط يده . ونظر — ﷺ — إلى سراقه وقال :

— هذا يوم وفاء ومودة . أدنوه .

فأدنوه منه وساق إليه المصدقة وسأله عن الضالة من الإبل ترد حوصه أبدى ملأه لإبنه هن له في ذلك من أجر ، فقال رسول الله — ﷺ — :

— نعم ، في كل ذات كبد حراة أجر .



وانصرف رسول الله عن الطائف فرجع إلى الحجرة فأنهى إليها ليلة الخميس لثلاث حلون من دى القعدة . وأحصى السبي فكان ستة آلاف رأس ، والإبل أربعة وعشرين ألفا ، والغنم أكثر من أربعين ألفا ، وأربعة آلاف أوقية فضة ، فاستأنى رسول الله — ﷺ — بالسبي أن يقدم عليه وهدم وبدأ بالأموال فقسّمها . وأعطى المؤلف قلوبهم أول الناس فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل ، قال :

— وابني يريد ؟

— أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل

— وابني معاوية ؟

فأعطاه أربعين أوقية ومائة من الإبل . فقال .

— بأبي أنت وأمي يا رسول الله لأنت كريم في الحرب وفي السلم . لقد

حاربته ففهم بهارب كنت ، وقد سألته معي أسألم أنت . هدا عاية الكرم جزاك الله حيرا .

وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل ، ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إياها ،

ثم سأله مائة فأعطاه وقال له :

— يا حكيم هذا المال حضره من أحده به سخاوة نفس بورك له فيه ،

ومن أحده بإشراف نفس لم يبارك فيه وكان كالدّى يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى .

فأخذ حكيم المائة الأولى وترك ما عداها وقال :

— يا رسول الله والذى بعثت بالحق نبيا لا أرا أحدا بعدك شيئا حتى أمارق الدنيا .

فكان أبو بكر يدعو حكيماء ليعطيه لعضاء فيأبى أن يقبل منه شيئا ، ثم إن عمر دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله .

وأعطى النضير بن الحارث بن علفمة بن كلدة مائة من الإبل ، وأعطى أسيد بن جارية الثقفى مائة من الإبل ، وأعطى العلاء بن حارية الثقفى خمسين بعيرا . وأعطى محرمة بن نوفل خمسين بعيرا ، وأعطى الحارث بن هشام مائة من الإبل ، وأعطى سعيد بن يربوع خمسين من الإبل ، وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل ، وأعطى قيس بن عدى مائة من الإبل ، وأعطى عثمان بن وهب خمسين من الإبل وأعطى سهيل بن عمرو مائة من الإبل ، وأعطى حويطب بن عبد العزى مائة من الإبل ، وأعطى هشام بن عمرو العامرى خمسين من الإبل ، وأعطى الأقرع بن حابس اتبمى مائة من الإبل ، وأعطى عبيد بن حصص مائة من الإبل ، وأعطى العباس بن مرداس أربعين من الإبل ، فقال العباس بن مرداس :

كانت نهابا بلا فـيـتها بكرى على المهر فى الأجرع<sup>(١)</sup>  
وإقاضى القوم أن يرقـدوا إذا هجع أساس م أهجع  
فاصبح نهسى وهب العيبـد<sup>(٢)</sup> بين عيبه ولأقرع  
وقد كنت فى الحرب ذا تدرا<sup>(٣)</sup> فلم أعط شيئا ولم أمتع

(١) الأجرع . السهم .

(٢) العيب . اسم فارس عباس بن مرداس

(٣) ذا تدرا : ذا دفع عن قومى

إلا أمائل<sup>(١)</sup> أعطيتها عديد قوائمها الأربع  
وما كان حصن ولا حابس يموقان مرداس في المجمع  
وما كنت دون امرئ مهمما ومن تصع اليوم لا يرفسع  
فقال رسول الله ﷺ :

— اقطعوا عني لسانه .

فأتى به أبو بكر الصديق إلى العاصم وقال له :

— نخذ منها ما شئت .

— إنما أراد رسول الله ﷺ — أن يقطع لساني بالعطاء .

فكره أن يأخذ منها شيئا ، فبعث رسول الله ﷺ — إليه بحلة ،

وقيل :

— يا رسول الله ، أعطيت عييه بن حصص والأقرع بن حابس مائة

وتركت جعيل بن سراقه .

— أما والذي نفسي بيده لجعيل بن سراقه خير من طلاع الأرض كلهم

مثل عييه والأقرع ، ولكني تألفتهم ووكلت جعيل بن سراقه إلى إسلامه

وكان جعيل بن سراقه من فقراء المسمين وكان رجلا صالحا دميما

قبيحا ، وكان رسول الله ﷺ — يحبه وإن رسول الله عليه السلام يعطى

الرجل وغيره أحب منه خشية أن يكف في السار عني وجهه . وقد قال عليه

السلام :

— إن من الناس ناسا نكثهم إلى إيمانهم منهم فرات بن حيان .

عُطِيَ رسول الله عليه السلام المؤلفة قلوبهم من الخمس فاجتمع إليه الناس

(١) أمائل : الصغار من الإبل .

وصاروا يقولون :

— يا رسول الله أقسم علينا .

وتدفعوا نحوه حتى ألحوه إلى شجرة فاحتطفت رده فقال :

— ردوا رداً أيها الناس ، فوالله إن كان لي شجر تهامة نعما لقسمته

عليكم ، ثم ما أليتموني بحبلا ولا جبابا ولا كدودا .

ثم قام — ﷺ — إلى حبس بعيره فأحد وبرة من سنامه ثم رفعها ثم قال :

— أيها الناس ، والله ما لي من فيثكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس والخمس

مردود عليكم ، فأدوا الخياط والنخيط فإن الغلول يكون على أهله عارا وشارا

ونارا يوم القيامة .

فجاء شخص من الأنصار بكبة من حيوط شعر وقال :

— يا رسول الله أخذت هذه الكبة أعمل بها بردعة بعير لي دبر .

فقال رسول الله — ﷺ — :

— أما نصيبى منها فلك .

فهم الأنصارى أنه عليه السلام قد طابت نفسه في الخمس وأما حق

المسلمين فليس له أن يجود به ، فقال الرجل :

— أما إذ بلغت هذا فلا حاجة لي بها .

وألقاها . وقالت امرأة عقيل بن أبى طالب لعقيل :

— إني قد عمت أثث قد قاتلت فمادا أصبت من العيمة ؟

وكان عقيل قد أخذ إبرة من العيمة قبل أن تقسم بين المسلمين ، فدفعها

إلى امرأته وهو يقول :

— دونت هذه الإبرة تحيطين بها ثيابك .

فسمع مادي رسول الله — ﷺ — يقول :

— من أخذ شيئا فليرده حتى الخياط .

فرجع وأخذها منها وألقاها في العمام .

وكان أبو جهم بن حذيفة العدوي على الأنفال فجاءه خالد بن الرصاء وأخذ من الأنفال رمام شعر فمابعه أبو جهم . فلما تمانعا ضربه أبو جهم بالقوس فشججه شجة مقللة ، فاستعدى عليه خالد بن الرصاء رسول الله — ﷺ فقال له عليه السلام .

— خذ خمسين شاة ودعه .

فقال خالد في إصرار :

— أقدنى منه .

— خذ مائة ودعه .

— أقدنى منه .

— خذ خمسين ومائة ودعه وليس لك إلا ذلك ، ولا أقيدك من وال

عبيك .

ثم أمر زيد بن ثابت بإحصاء الدس والعمائم ثم فرقها وقسمها على الناس . فكانت سهمهم لكل رجل أربع من الإبل وأربعون شاة ، فإن كان فارسا أخذ أربع عشرة من الإبل أو عشرين ومائة شاة ، وإن كان معه أكثر من فرس لم يسهم للفرس إرثا ، فلم يعط اربيع إلا لفرس واحد وكان معه أفراس وقال بعض السافقين :

— هذه انقسمة ما عدل فيها ولا أريد بها وجه الله

فأحمر بدك السي فعصب — ﷺ — عصا شديدا وحر وجهه

وقد .

— من يعدل داء يعدل الله ورسوله " رحمه الله على أحق موسى عليه

السلام لقد وذى ياكثر من هذا فصبر .

فقام إليه عمر بن الخطاب فقال :

— يا رسول الله ! لا أضرب عنقه ؟

— لا .

ثم أدبر فقام إليه خالد بن الوليد فقال :

— يا رسول الله ! لا أضرب عنقه ؟

— لا . لعله أن يكون يصلي

فقال خالد :

— وكم من مصل يقول لسانه ما ليس في قلبه .

— إلى ثم أمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بصوهم .

وأعطى رسول الله ﷺ — ما أعطى من تلك الأعصاب في قريش بعد أن

بايعه من بني أمية . أبو سفيان بن حرب وطريق بن سفيان بن حرب وخالد

ابن أسيد بن أبي العيص بن أمية ، ومن بني عبد الدار بن قصي . شيبة بن عثمان

ابن أبي طلحة وأبو السائب بن يعكك وعكرمة بن عامر بن هاشم ، ومن بني

محزوم : زهير بن أمية بن المعيرة وهشام بن الوليد بن المعيرة وسفيان بن عبد

الأسد بن عبد الله بن عمرو بن محزوم ولسائب بن أبي السائب ، ومن بني

عدي : مطيع بن الأسود وأبو جهم بن حديفة ، ومن بني صحح صموذ بن

أمية وأحبيحة بن أمية بن حنظ وعمر بن وهب بن حنظ . ومن بني سهم :

عدي بن قيس ، ومن بني عامر ، حويطب بن عبد العزى وهشام بن عمر .

ومن أبناء القائل : من بني بكر بن عبد ماسة بن كندة . نوفل بن معاوية ،

ومن بني سليم : عباس بن مرداس . ومن بني عصفاء عيينة بن حصص ،

ومن بني تميم الأقرع بن حابس . فلما أعطى رسول الله ﷺ — ما أعطى

من تلك العطايا في قريش وقايل العرب ولم يكن في الأنصار مهابشيء، وحدوا في أنفسهم وعصبوا حتى كثرت منهم القالة ، فقال بعضهم :

— إن هذا هو العجب . يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ؟

— إن سيوفنا تقطر من دماء قريش وإن عناينا ترد عليهم .

— إذا كانت شديدة ندعى إليها ويعطى العيمة غيرها .

— سيوفنا تقطر من دمائهم وهم يدهبون بالعسم ، فإن كان من أمر الله

صبرنا وإن كان من أمر رسول الله استعبدناه .

وقال حسان بن ثابت يعاتبه في ذلك :

رادت هموم ماء العين محدر	سحاً إذا حملته عبرة درر
وجدا بشماء إذ شماء بهكة <sup>(١)</sup>	هيفاء لا دنس فيها ولا حصور
دع عنك شماء إذ كانت مودتها	نزرا وشر وصال الواصل النزر
وأنت الرسول قفل يا خير مؤمن	للمؤمنين إذا ما عُدد الشمر
علام تدعى سليم وهي نازحة	قدام قوم هم آروا وهم نصروا
سماهم الله أنصارا بنصرهم	دين الهدى وعوان الحرب تستعر
وسارعوا في سبيل الله واعترفوا	لنائبات وماحامو <sup>(٢)</sup> وماصحروا
والناس يلب علينا فيك ليس لنا	
إلا السيوف وأطراف القبا وزر <sup>(٣)</sup>	

نجالد الناس لا نبقي على أحد ولا بضيع ما توحى به السور

(١) شماء : امرأة وهكته : كثيرة اللحم

(٢) حامو حيمو

(٣) آور سحاً

ولا نهر<sup>(١)</sup> جاة الحرب ناديا ونحن حين تَلْظَى نارها سمر  
كما رددنا بيدر دون ما طلبوا أهل الفاق وفيما ينزل الظفر  
ونحن جدك يوم النعف<sup>(٢)</sup> من أحد  
إذا حزبت بطرا<sup>(٣)</sup> أحزابها مضر

وقال بعضهم :

— لقي الله رسول الله — ﷺ — قومه .

فدخل عليه سعد بن عبادة فقال :

— يا رسول الله إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم لما  
صعقت فى هذا الفىء الذى أصبت ؛ قسمت فى قومك وأعطيت عطايا عظاما  
ولم يكن من الأنصار منها شىء .

— فأين أنت من ذلك يا سعد ؟

— يا رسول الله ما أنا إلا من قومى .

— فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة .

فخرج سعد فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة ، فعاء رجال من المهاجرين  
متركهم فدخلوا وجاء آخرون فردهم فلما اجتمعوا له أتاه سعد فقال :  
— قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار .

فأتاهم رسول الله — ﷺ — فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال :

(١) نهر : نكره .

(٢) النعف : أسفل الحبل : وحرب : جمعت .

(٣) البطرا : كفراد العمة



— يا معشر الأنصار ما قالة بلمعنى عكم وجدة<sup>(١)</sup> وجدعوها على في أنفسكم ؟ أم أنكم صلا لا ههنا كم الله ؟ وعالة فأغناكم الله ؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟

— بلى ، الله ورسوله أمن وأفضل .

— ألا تحبونى يا معشر الأنصار ؟

— عبادى عبيك يا رسول الله ؟ لله ورسوله المى والفضل .

— أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم : أتيتنا مكذبا فصدقتنا ، ومخدولا فصرناك ، وظريدا فأويناك ، وعائلا فأسماك أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في نعاة ( بقلة حضراء ) من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا ترصون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحابكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده لولا هجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو ملكك أساس شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبء الأنصار وأبء الأنصار .

فيكى انقوم حتى أحصلوا لحاهم وقالوا .

— رضينا برسول الله قسنا وحظنا .

(١) وجدد عصب وجرى

استأفى رسول الله ﷺ — بسى هوارن فقد كان يرجو أن يأتى أهلهم مسمين ، ولكنه مكث عليه السلام بالحجرات ثلاثاً عشرة يوماً دون أن يقدم وقد هوازن فراح يقسم السبى بين المسلمين بعد أن كساهم قبطية قبطية ، وهى ثياب يفضّ تنجد من كتان مصر . فأعطى على بن أبى طائب حارية يقال لها ربيعة بنت هلال بن حيان بن عميرة بن هلال بن باصرة بن قصىة بن نصر بن سعد بن بكر ، وأعطى عثمان بن عفان حارية يقال لها رينب بنت حيان بن عمرو بن حيان . وأعطى عمر بن الخطاب حارية فوهها لعبد الله بن عمر به جمع ما إلى أخواله من بنى جمع ليصلحوا له منها ويبيتوها حتى يطوف بالبيت ثم يأتهم .

ويطر عيسى بن حصص إلى عجور كبيرة فقال :

— هذه أم الحى لعنهم أن يعلوا بفدائها ، وعسى أن يكون لها فى الحى

سب

فأخذها وهو يطعم فى أن يعظم مداؤها وأمر رسول الله ﷺ — بحص أهل مالك بن عوف البصرى بمكة عند عمتهم أم عبد الله بن أبى أمية ، وه يجرى تحرى السهمان فى ما مالك بن عوف الذى جمع القائل لحربه ثم لما هزم تحصص فى حصص الطائف وأرسل لسهم وقتل رجل

وهو وه هوارن عى رسول الله ﷺ — وهم أربعة عشر رجلاً ورُسهم رهير بن صرد وفيه أبو بركاد عم رسول الله ﷺ — من

الرضاعة وقد أسلموا ، فقالوا :

— يا رسول الله إنا أهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فامن علينا .

وقام أبو صرد فقال :

— يا رسول الله إنا أهل وعشيرة ، فامن علينا وعلى النسوة اللاتي كن معك يكمننك ، ولو أنا ملحنا ( أرصعا ) للحارث بن شمر أو للعمان بن المدر ثم نزل منا عثل الذي نزلت به لرحونا عطفه وعائدته عليا ، وأنت خير المكفولين ، ثم أنشد :

فإنك المرء مرجوه وتنتظر	امن علينا رسول الله في كرم
ممزق شملها في دهرها غير	امن على بيضة قد عاقها قدر
في العالمين إذا ما حصل البشر	يا خير طفل ومولود ومتعجب
يا أرجح الناس حلما حين يختبر	إن لم تداركهم بعماء تشرها
إذ فوك يملؤه من محضها درر	فامن على نسوة قد كت ترضعها
واد يريث ما تأتى وما تنذر	إد كت طفلا صغيرا كت ترضعها
واستبق منا فإننا معشر زهر	لا تجعلنا كمن شالت نعمته <sup>(١)</sup>

يا خير من مرحت<sup>(٢)</sup> كمت الحياء به

عهد اهياج إذا ما استوقد الشرر	
وعندنا بعد هذا اليوم مدحرج	إنا لشكر آلاء وإن كبرمت
هدى البرية إذ بعفو وتستصر	إب يؤمل عموا ملك بلبسه

(١) شب بعامهم ماتو وتمرقوا ، والجماعة .

(٢) مرحت الخيل : سبطت وتبحرت .

فاغفر عما الله عما أنت واهبه يوم القيامة إذ يهدي لك الطعمر

فقال رسول الله ﷺ :

— أبأؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟

— يا رسول الله حيرت بين أموالنا وأحبائنا فرد إلينا أبناءنا ونساءنا فهو

أحب إلينا .

فأرشدهم عليه السلام إلى ما يفعلون ، فلما صلى الظهر قاموا وقالوا ما

لقيمهم إياه عليه السلام :

— إنا نستشع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا

ونسائنا .

فقال عليه السلام :

— أما ما كان لي ولبنى عند المطيب فهو لكم .

وقال المهاجرون :

— وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ .

وقالت الأنصار :

— وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ .

وقال الأقرع بن حابس :

— أما أنا وبنو تميم فلا .

وقال عبيدة بن حصن الخثيع المطاع :

— أما أنا وبنو فزارة فلا .

وقال عباس بن مرداس :

— أما أنا وبنو سليم فلا .

فقال بنو سليم :

— بلى ، ما كان لنا فهو لرسول الله — ﷺ .

فقال عباس لبي سليم :

— وهتتموني .

فقال رسول الله — ﷺ : أما من تمسك مسكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض ، من أول سبي أصيبه ، فردوا إلى الناس أبنائهم ونساءهم .

أحذر رسول الله على نفسه في سبيل تحرير الرقاب أن يدفع لكل من لم تطب نفسه أن يرد ما في يده ستة أبعرة من أول ما يبيع الله عليه ، فرد الناس ما في أيديهم إلا عينة بن حصص فقد أئى أن يرد العجور وقد طمع في أن يعظم هداؤها .

وجاء أبها إلى عينة فقال :

— هل لك في مائة من الإبل ؟

— لا .

فرجع عنه فتركة ساعة ، وجعلت العجور تقول لأبها :

— ما إربك في بعد مائة ناقة ؟ اتركه فما أسرع ما يتركى بغير فداء .

فلما سمعها عينة قال :

— ما رأيت كالיום حذعة . والله ما أنا من هذه إلا في عرور ، ولا حرم

والله لأبعدن أثرك مى .

ثم مر بها أبها فقال له عينة :

— هل لك فيما دعوتنى إليه ؟

— لا أريدك على خمسين .

— لا أفعل .

ثم لبث ساعة فمر به وهو معرض عنه ، فقال له عيية :

— هل لك في الدي بدلت لي ؟

قال له الفتى :

— لا أزيدك على خمس وعشرين فريضة .

— والله لا أفعل .

فلما تخوف عيية أن يتفرق الناس ويرتحلوا قال :

— هل لك فيما دعوتني إليه إن شئت ؟

— هل لك إلى عشر فرائص ؟

— لا أفعل .

وتأهب لناس للرحيل فاداه عيية :

— هل لك إلى ما دعوتني إليه إن شئت ؟

— أرسلها وأحمدك .

— لا والله ما لي حاجة بحمدك .

فأقبل عيية على نفسه لائماً لها يقول :

— ما رأيت كاليوم أمراً أنكد .

— أنت صنعت هذا بنفسك . عمدت إلى عصور كبيرة والله ما ثديها

بهد ولا بظها بالبد ولا هوها ببارد ولا صاحبها بواحد ، فأحدثها من بين ما

تري .

— حدها لا بارك الله لك فيها

— يا عيية إن رسول الله ﷺ — قد كسا نسبي فأخطأها من بينهم

كسوة ، فهل أنت كاسيها ثوبا ؟

— لا والله ما لها ذاك عندي .

— لا تفعل .

فما فارقه حتى أخذ منه سميل ثوب . ولقى عيسى بن حصص الأقرع بن حابس فشكا إليه ما كان من أمره وأمر العجور ، فقال له الأقرع : — إنك والله ما أخذتها بيضاء عريرة<sup>(١)</sup> ، ولا بصفا وثيرة<sup>(٢)</sup> .

وقال السبي — صلى الله عليه وسلم — لو قد هوازن .

— ما فعل مالك بن عوف ؟

— يا رسول الله هرب فلحق بحصص الطائف مع ثقيب .

— أحرروه أنه إن أتى مسلما رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من

الإبل .

واطلق رجل إلى حيث كان مالك بن عوف فأسر له ما قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، فحاف مالك ثقيفا على نفسه أن يمسوا أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال له ما قال فيحبسوه ، فأمر براحته فنهشت له وأمر بمرس له فأتى به إلى الطائف ، فخرج بيلا فحس على فرسه وركضه حتى أتى الدهاء فبدأ براحته حيث أمر بها أن تحبس مركبها ، فلحق برسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأدركه بحمرانة قبل أن يطلق إلى مكة .

واستغفبه عليه السلام بالترحاب ورد عليه أهله وماله ، ورأى مالك بن عوف جود السبي وحلمه وعموه ورهده في الدنيا ومكارم أخلاقه ، فأشد ما إن رأيت ولا سمعت مثله في ناس كلهم بمثل محمد

(١) العريرة : المتوسطة من النساء في السن .

(٢) الوثيرة من النساء : السميّة اللثة .

أوفى وأعطى للحريين إذا اجتدى<sup>(١)</sup>

ومتى تشأ يخبرك عما في غد

وإذا الكتبية عرّدت<sup>(٢)</sup> أنيائها بالسهمري وضرب كل مهد

مكأه ليث على أشباله وسط الهبأة حادر في مرصد<sup>(٣)</sup>

فستعمله رسول الله — ﷺ — على من أسلم من قومه وتلك القبائل من  
ثمالة وسلمة وفهم ، فخرج ليقاتلهم ثقيفا حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن  
محمدا رسول الله .

وتروح عبد الرحمن بن عوف باذية بت عيلا بن مسلمة ، وخرج عبد  
الله بن عمر ليطوف بالبت ثم يأتي أحواله من بى حمح يصيب تلك المرأة التي  
وهبها له أبوه عمر بن الخطاب من سبي هوار ، فلما انتهى من طوافه وخرج  
من الحرم فإذا الناس يشتدون فقال :  
— ما شأنكم ؟

— رد عليا رسول الله — ﷺ — ساءا وأساءنا .

— تنكم صاحبكم في بى حمح فادهوا وحدوها .

ورد رسول الله — ﷺ — إلى صفوان بن أمية السلاح الذي كان قد  
أحده عارية مضمومة ورد الأموال التي كان قد اقترضها لينفقها على فقراء  
المسلمين بعد أن فتح الله عليه مكة ، فراح صفوان بن أمية يقلب البطر في الإبل  
والأعنام التي ملأت الوادي وقد قسمها عليه السلام بنفس راضية على أعداء

(١) اجتدى : طالوه بالعطاء .

(٢) عرّدت أنيائها : عدت واشتدت ، والسهمري : السيف .

(٣) هبأة . العيار يثور عند اشتداد الحرب ، والخدر الأسد في عريه ،

و مرصد . المكان يرقب به . يصفه بالقصة



الأمس فامتلاً إعجاباً بالرجل الذى خرج من مكة ولم يكن هناك رجل أعض  
إلى قلبه منه ، فإذا غلقه العظيم يستول على فؤاده وإذا بالكراهية تنبهر ليحل  
مكانها حب عظيم للنبى الكريم الذى أسر القلوب ، كل القلوب .  
وقال قائل فى هوازن يذكر مسيرهم إلى رسول الله ﷺ — مع مالك  
بن عوف بعد إسلامه :

اذكر مسيرهم للناس إذ جمعوا      ومالك فوقه الرايات تحتفق  
ومالك مالك ما فوقه أحد      يوم حين عبه الناج يأتسق  
حتى لقوا الناس حين الناس يقدمهم  
عليهم البيض<sup>(١)</sup> والأبدان والدرق<sup>(٢)</sup>

فصاربوا الناس حتى لم يروا أحدا      حول النبى وحتى جبه العسق  
ثمت نزل حرييل بصبرهم      من السماء فمهروم ومعتق  
منا ولو غير حرييل يقاتلنا      لمعتنا دد سيفا العتق  
وفاتا عمر الفاروق إذ هزموا      بطعة بل مها سرحه العلق<sup>(٣)</sup>  
وحس إسلام مالك بن عوف فراح يقاتل عن أسسم من قومه ويقاثل ثمانية  
وسلمة وفهم ثقيا ، لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه وأحده ، وأرسل بالخمسة  
مما عنهم إلى رسول الله ﷺ . فلما صبق على ثقيف قال أبو محجر الثقفى :  
هايت الأعداء جانبا      ثم تعزوا بو سلمة  
وأنا مالك هم      باقصا للعهد والحرمة  
وأتونا فى مارلنا      ولقد كنا أولى نعمة

(١) البيض = الخودات توضع على الخيول

(٢) الدرق = لصب من كل شيء

(٣) لعي = ندم

نخرج رسول الله ﷺ — من الحمرانة معتمرا وذلك ليلة الأربعاء لثنتي عشرة ليلة مضت من ذي الحجة ، فأحرم بعمره وأمر ببقايا الفء فحبس عجة بناحية مر الظهران .

وانطلق المسلمون إلى البيت الحرام وقد أثر في نفوسهم ذلك الكرم الفياض الذي عمر به رسول الله ﷺ — المؤلفة قلوبهم وأعداء الأوس ووفد هوازن الذين جاءوا مسلمين فرد إليهم ساءهم وأبناءهم بعد أن وقعت انقسام موافعها .

وكانت أم سلمة بنت رادادرك بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم في هودجها تنظر في انفعال إلى الوادى لدى غص بالعائم التي قسمها رسول الله ﷺ — بين المسلمين ، وإلى سادات المدينة وسادات قريش وسادات القبائل وقد لبسوا ملابس الإحرام وقد ارتفعت أصواتهم بالتلبية لرب العالمين ، فترقرقت في مآقيها بدموع وعادت بها ذكرياتها إلى أيام الاصطهاد والتعذيب ، فرأت نفسها وهي تنأجر إلى الحبيشة مع زوجها عبد الله بن عبد الأسد بن هلال فرار ابديها . بها ولدت له هالك رينب وسلمة وعمر ودرة ، وقد عادت إلى مكة « بنغ المسلمين في الحبيشة أن قريشا قد آمنت بالبور الذي أُرسل مع رسول الله عليه السلام . ولكنها لما بلغت مرقاً مكة عمدت أن قريشا قد حبست لمسلمين وبنى هاشم وبنى المطلب في شعب أنى طاب فعادت ووجهها أبو سلمة إلى الحبيشة ليكون في حوار ملك لا يظلم عمده أحد .

ورأت نفسها يوم أن هاجرت إلى المدينة ويوم أن حرج أبو سمة إلى أحد  
 فرماه أبو أسامة الحشمي في عصبه بسهم فمكث شهرا يداوى جراحه ، ثم  
 برأ الحرج وبعث رسول الله ﷺ — أنا سمة إلى قطن في الحرم على رأس  
 خمسة وثلاثين شهرا فعاب تسعا وعشرين ليلة ، ثم رجع فدخل المدينة لثين  
 حلون من صغر سمة أربع والحرج متعص — إنما تذكر ذلك التاريخ وتذكر ما  
 كان بعده فقد مات أبو سمة متأثرا من جراحه لثان جنون من جمادى الآخرة  
 من نفس السمة .

وحضره النبي وهو يحود بأنفاسه فلما فاصت روحه كبر — ﷺ —  
 تسع تكبيرات ، فقليل له :

— يا رسول الله أسهوت أم نسيت ؟

— م أسه وم أس ، ولو كثرت عن ألى سمة ألقا كان أهلا لذلك .  
 وطاف بدهنها يوم أن بعث إليها رسول الله ﷺ — يحصها وقد  
 حاورت من الشدايب معها عيال صغار وفي بيت نسي عليه السلام عائشة  
 وحفصة ، فأرسلت إلى النبي ﷺ — تعذر بأها عيرى مسة ذات  
 عيال .

ويا طالما تذكرت رده الكريم لدى من أودر قلبها وكان لها النور الذي  
 أضاء حياتها مع الرسول عليه السلام ، أما ذلك مسة فأنا أكرمك ، وأما  
 الخيرة فيذهب الله عنك ، وأما لعن فإن الله ورسوله .

ودحت ثم العرب على سيد عرس أول العشاء عروسا ، وقامت من  
 آخر الليل تصحن . ومذ لك ليلة دافقت عظمة السباطة التي يحيد كل من  
 برل دور نسي — صوت لله وسلامه عليه ، استمرأت ست راد الركب  
 حده انكشف مع إمام الزهادين

ورف على شفتيها بسمه رصا فقد قال رسول الله ﷺ — قل أن يتزوجها : إن لعائشة مى شعبة ما نرها أحد . فلما تزوجها سئل رسول الله ﷺ — فقيل :

— يا رسول الله ما فعلت الشعبة ؟

فسكت رسول الله ﷺ . فعلم الناس أنها قد نزلت عنده . ورأى يحياها رسول الله عليه السلام وهو يحبو على أولادها ، إنه كان يأتيها فيقول : « أين رباب ؟ » وقد احتار — صلوات الله وسلامه عليه — أنها سلمة الذى شب في حجره عليه السلام روجا لابنة عمه حمزة أسد الله وأسد رسوله وسيد الشهداء .

وقهر إلى دهنها حادث م تستصع أن تساه . إنه عليه السلام كان عدها وابنتها ربيب في حجرها فجاءته الرهراء مع ولديها الحسن والحسين فصمهما إليه ثم قال :

— رحمة الله وبركاته عليكم أهل بيت به حميد مجيد

إنها بكت في ذلك اليوم فطر إليه رسول الله ﷺ — وسأها :

— ما ييكث ؟

— يا رسول الله حصصتهم وتركنى وابنتى .

— إنك وابنتك من أهل البيت .

وقالت وهى في هودحها في صوت خافت وإن كان نابضا بالتأثر والافعال :

— صدق الله تعالى : إنك على حقيق عظم يا رسول الله

ولاحت أرباض مكة فارتفعت أصواب مسمين بالنسبه لله وحده لا شريك له .

وقد تهللت الوجوه بالبشر وامتألت الأفئدة راحة والصدور اشراحا ،  
فقد كانت أول مرة يتدفق فيها المهاجرون والأنصار وسادات قريش إلى مكة  
وقد اتحدت قبتهم وارتفعت تبييتهم وشهدوا جميعا باللسان والقلب إن لا إله  
إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله .

ووقعت الأعين على أول بيت وضع للناس وقد طهر من الأوثان والأصنام  
وعاد مرة ثانية مناره للتوحيد كما كان يوم أن رفع القواعد من البيت لإبراهيم  
وإسماعيل ، محمقت القلوب وجدا في الصدور وهوت الأنفس إلى البيت  
العتيق ، وارتفعت الأصوات بالابتهال إلى رب العالمين : ربنا تقل ما إنك  
أنت السميع العليم .

وراح رسول الله ﷺ — يطوف بالبيت وحيال مكة ووديانها  
تسترجع دعوة خليل لرحم إبراهيم : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا  
عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويركهم إنك أنت العزيز  
الحكيم » (١) .

وانتهى اطواف والدعاء فصلى عليه السلام ركعتين عند مقام إبراهيم ثم  
حرح المسمومون إلى الصفا يسعون في الصفا والمروة وقد اطمأنت قلوبهم فقد كانوا  
كادابها لإسماعيل يموت عطشا عند بيت الله المحرم ، فأحدث تهرون بين الصفا  
 والمروة لعلها تلمح قادما من بعيد يروى طمأنا بها الذي أشرف على الهلاك من  
شدة العطش .

وحمل الأنصار يسعون بين الصفا والمروة وقد اطمأنت قلوبهم فقد كانوا  
يكرهون الصواف بين الصفا والمروة لأنهما كانا من مشاعر قريش في الحامية

فتركوه في الإسلام . فلما أنزل الله تعالى : « إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم » (١) . راحوا يسعون بينهما وقد أشرقت أفئدتهم بأنوار اليقين .

وفرغ رسول الله ﷺ من عمرته وتأهب للرجوع إلى المدينة فحاء أبو سفيان بن حرب وصموال بن أمية وسهيل بن عمرو وشيبة بن عثمان ابن أبي طلحة وسادات بني النخيلة وحويطب بن عبد العري ليودعوه وقد تعلقت أفئدتهم به .

واستحلف عليه السلام عتّاب بن أسيد عن مكة وكان عمره عشرين سنة ، وحلف معه معاذ بن جبل يقره الناس ، ولما استعمل النبي ﷺ — عتّاب بن أسيد على مكة ررقة كل يوم درهما ، فقام فحطبت الناس فقال : — أيها الناس ، أجمع الله كيد من جاع على درهم ، فقد رزقني رسول الله ﷺ — درهما كل يوم فبيست لي حاجة إلى أحد .

وخرج عليه السلام من مكة ووقف أهلها يودعونه وفي القلوب لوعة وفي المآقي عبرات ، وخرج معه عمه العباس بن عبد المطلب فلم يعد هناك ما يقعه في أم قري عد أن هدى الله أهلها إلى الإسلام . وكانت أم سلمة في هودج وميمونة أم المؤمنين في هودج وانطلق الركب قاصدا المدينة فسلك عليه السلام في وادي الحمرانة حتى خرج على سرف فإذا بذكريات حبيبة تتراحم في رأس ميمونة آخر ساء رسول الله ﷺ — صلوات الله وسلامه عليه .

إن أحتيا أم الفضل روح العباس عم النبي كانت أول امرأة آمنت برسول

الله — <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> بعد حديجة ، ولطالما حدثتها عن رسول الله — صوات الله وسلامه عليه — فهما إليه فؤادها . ولم تكن أم الفصل وحدها هي التي ارتبطت بالإسلام من أهلها فأختها من أمها أسماء بنت عميس كانت روح جعفر بن أبي طالب وقد تزوجت من بعده أبا بكر الصديق ، وأختها سلمى بنت عميس كانت روح حمزة بن عبد المطلب ، وكانت مهن جميعا هديت عوف بن رهير . إنها أكرم عجور في مكة ، ولو أن الأسباب قد ارتبطت بين إحدى بناتها ورسول الله عليه السلام لأصبحت أكرم عجور في الأرض أصهارا .

كان اسمها برة وقد مات عنها زوجها أبو رهم بن عبد العزى العامري . إنها ما إن استمعت إلى حذاء عبد الله بن ربيعة يوم أن جاء أحدا بحطام باقة رسول الله عليه السلام بعد صلح الحديبية ليصوف المسمومين بالخرم ، وما إن ملأت عينيها من السبي — صلوات الله وسلامه عليه — حتى استولت عليها فكرة أن تنار شرف الرواح من سبي الله وأن تصيح أما للمؤمنين — وما يمنعها أن تحقق حلمها الذي طالما راودها في يقظتها وهي أخت أم عصل وأسماء بنت عميس وسلمى بنت عميس لأخوات المؤمنات ؟!

إنها همست بسر قلبها إلى أم الفضل وقصت أم الفضل على العباس سريرة ، فاطلق العباس إلى ابن أخيه عبيد السلام يعرض عليه الرواح من برة لتي وهت بمسها لسي . وعاد إليها العباس وقد تهلل باليشر فحقق قلبها سرورا امترح بخوف ، فقد قرأت في وجهه القبول ولكنها كانت متبهمة على أن تنقط أذناها الخبز السار الذي يخرج من بين شفتيه .

وقال عباس بن رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه — قد استجاب للعرض ، فإسأتها شوية وأحسنت أنها قد رفعت حتى كادت تلمس نجوم

السماء ، فإنه لشرف ما بعده شرف أن تصبح أم المؤمنين ولما تتجاوز السادسة والعشرين ، وإنه لشرف لأمتها العجور فتصبح بعد أن يتزوج عليه السلام ابنتها برة أكرم عجور في الأرض أصهارا .

وتذكرت ذلك اليوم الأغر الذي خرجت فيه من مكة في صحبة أبي رافع مولى رسول الله عليه السلام لتتحق بالمسلمين . إن قبعتها ضربت هنا في سرف وقد نبى بها رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه — في هذه البقعة المباركة وسماها هنا ميمونة ؟ فقد كان زواجه بها في المناسبة الميمونة التي دخل فيها مكة لأول مرة منذ أن خرج منها مهاجرا في سبيل الله .

وراحت ميمونة تدير عيها في المكان وهي في قمة الشوة . إن روحها قد هفت إلى سرف وإن قدرها قد حدد لها في سرف وإن مكاتها التي نانتها كانت بفض ما كان بين وبين الرسول عليه السلام في سرف . فأصبحت سرف هي مهوى القواد وإسها لثرحو أن تكون مثواها الأخير لما يحين الحين لتدس في التراب .

وأحد المسلمون الطريق إلى مر الطهران وراحوا يقلبون وجوههم في ملكوت الله ، يعمون بمشاهدة جماله وجلاله ويقطعون إليه ويتوكلون عليه ويلهجون بالثناء عليه أن بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتتو عليهم آياته ويركهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قتل لفي صلال مبين .  
وسار رسول الله — ﷺ — على ناقته القصواء متواصعا لله قد سنده الله لكل حمير ، ووهب له كل حيق كريم ، وجعل السكية لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى صميره ، والحكمة مقوله ، والصدق والوفاء ضيعته ، والعفو والمعروف حنقه ، ولعدل سيره ، والحق شريعته ، واهدى إمامه ، وإسلام ملته ، ونأه حكمة وعلمه ، وفتح به أعيا عميا ، وقلوب علف .



وَأَدَانَا صَماً ، وَجَعَلَهُ رَحِيماً بِالْمُؤْمِنِينَ ، رَحمةً لِلْعَالَمِينَ ، سَمَحاً سَهلاً بَرّاً طَلِقاً لَطِيفاً ، وَلَوْ كَانَ أَمَامَ الصَّادِقِينَ وَالصَّادِقِينَ فَمَا غَلِيطَ الْقَلْبَ لِانْقِصَ النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِ .

وَإِذَا خَلَعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَحَنَةِ فَسَاقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ — مَا بَقِيَ مِنَ الْفِئَةِ لِيُقَسِّمَهُ عَلَى فَقَرَاءِ الْمَدِينَةِ ، فَمَا خَطَرَ لَهُ عَلَى قَلْبِ أَنْ يَبْقِيَ لِنَفْسِهِ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ فَقَدْ اخْتَارَ حَوْجَ الدُّنْيَا عَلَى شَبْعِهَا وَفَقْرَ الدُّنْيَا عَلَى عِصَايَا وَحَزْنَ الدُّنْيَا عَلَى فَرَحِهَا ؛ فَالدُّنْيَا لَا تَتَّبِعِي مُحَمَّدَ وَلَا لَأَلَّ مُحَمَّدٍ ، إِنَّهُ لَمْ يَشْبِعْهُ وَلَا أَهْلَ بَيْتِهِ غَدْوَةٌ إِلَّا جَاعُوا عَشِيَةً ، وَلَا شَبْعُوا عَشِيَةً إِلَّا جَاعُوا غَدْوَةً ، وَإِنَّهُ لَمْ يَشْبِعْ مِنَ الْقَرِّ هُوَ وَأَهْلُهُ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَيْرَ

شُعَّةٍ وَحَوْجَتَانِ ، كَانَ هَذَا حَالَهُ وَحَالُ أَهْلِ بَيْتِهِ مَذْجَلُ أَمَانَةِ الْبَيَّةِ ، وَقَدْ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْخَيْرَ الْعَمِيمَ فَكَانَ لَهُ الْخُمْسُ مِنَ الْغَنَائِمِ وَمَا أَكْثَرُهَا ، وَكَانَ الْخُمْسُ مَرْدُوداً عَلَى النَّاسِ ، وَكَانَ نَصِيْبُهُ فِي فِئَةٍ هَوَازِنَ آلَافِ الرُّعُوسِ فَقَسَمَهَا عَلَى حَدِيثِي الْعَهْدِ بِالْإِسْلَامِ لِيُؤَلِّفَ قُلُوبَهُمْ ، وَسَاقَ مَا بَقِيَ مِنَ الْفِئَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُقَسِّمَهُ بَيْنَ الْمُحْتَاجِينَ ثُمَّ يَعُودُ سِرَّتَهُ الْأُولَى : شُعَّةٌ وَحَوْجَتَانِ . فَقَدْ آثَرَ أَنْ يَجُوعَ يَوْمًا وَيَشْبَعَ يَوْمًا ، فَأَمَّا الْيَوْمَ الَّذِي يَجُوعُ فِيهِ فَيَتَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ وَيَدْعُوهُ ، وَأَمَّا الْيَوْمَ الَّذِي يَشْبَعُ فِيهِ فَيُحَمِّدُهُ وَيُشِيْءُ عَلَيْهِ .

وَإِذَا طَلَّقَ رَجُلٌ عَلَى ظَهْرِ جَوَادِهِ يَنْهَبُ الْأَرْضَ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ — قَدْ أَقْبَلَ بَعْدَ أَنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ وَهَزَمَ هَوَارِنَ وَحِينَ ، فَانْطَلَقَ النَّاسُ فَرَحِينَ مُسْتَبْشِرِينَ لِيَسْتَقْبِلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ — صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، وَصَعِدَتْ السُّوَّةُ عَلَى أَسْطِجِ الدُّوْرِ لِيُشَاهِدَنَّ بَنِي اللَّهِ وَقَدْ عَادَ مَكْلَلًا بِالنَّصْرِ . وَتَقَدَّمَتْ حِيلُ اللَّهِ تَثِيرَ الْقَعِّ ، وَرَأَى الْمُسْلِمُونَ الرَّسُولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَاقَتِهِ الْقُصْوَاءِ وَقَدْ طَاطَأَ رَأْسُهُ تَوَاصَعًا لِلَّهِ ، فَحَفَّ الرِّحَالُ إِلَى

صاحب الحمل الأحمر يسلمون عليه وفي القلوب أشواق وفي الوجوه إشراق ، وارتفعت صيحات الترحيب من على جانبي الطريق ومن فوق الأشجار ومن الدور ، وعادت الذكريات إلى ذلك اليوم الذي أقبل رسول الله ﷺ — مهاجرا مع صديقه أبي بكر . أين هذا اليوم من ذلك اليوم ؟ فقد كانا وحيدين ولم يكن الناس يعرفون أيهما رسول الله ، أما انيومان فالأعين كلها قد تعلقت بنبي الله الذي بصره الله وقد ملأت أنواره جوارح الصدور ، وأخرج أقوامه من الظلمات إلى النور .

وكان عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين بين المستقبين قد اعتصب ابتسامة ترحيب بعد أن طوى نفسه على مرض قلبه ، إنه قد امتلأ حقدا على رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه — وعن المسلمين ، وقدراد في حقه ذلك الصبر المبين الذي توج هامات المؤمنين ، فمكة قد فتحت قلوبها قبل أبوابها للرجل الذي اغتصب منه المجد التليد ، فالأوس والخزرج كادوا أن يضعوا على رأسه التاج لولا أن جاء ابن عبد الله إلى يثرب بالدين الحديد الذي بهر الناس وجعلهم عنه يعرضون .

إنه لا يستطيع أن ينسى أن محمدا هو الذي حرمه التاج مهما مضت السنين ، وإنه يعيش على أمل واحد ، أن يرى هزيمة محمد قبل أن يموت . فإن كان محمد قد فتح مكة فإن الروم قد أحسوا خطره وإسهم ليجمعون الجموع ليقصوا على ذلك الذي وحد العرب قبل أن يصحوا بفضل تعاليم محمد أمة تهدد مصاح الروم في المنطقة .

وعانق عبد الله بن أبي بن سلول رسول الله ﷺ — وهما بالفتح وإن كان يترى به الدوائر وبالمسلمين . وانتهى الاستقبال احتار وانصرف الرجال إلى أهليهم ، وانطلق رسول الله ﷺ — إلى دار فاطمة ليرواها ويقبل الحسن والحسين قبل أن يدور على أرواحه ، فقد كان بيت الرهراء أو ما يبدأ به .

سار أبو العاص بن الربيع إلى داره وقد أمسك في يده ابنه علي ، وراح أبو العاص يتنفت بنظرات زائغة لا تستقر عيناه على شيء ، فلما دنا من الباب انقبص صدره وخفق قلبه أسى وترقرقت الدموع في مقلتيه ، ولولا ابنه الصغير الذي أرفده حلمه جده العظيم رسول الله ﷺ — يوم فتح مكة لأجهش بالبكاء .

ودخل الدار فإذا بها ساكنة سكون القبور ، وإذا بها مطلمة وإن فاضت فيها أشعة شمس النهار ، وإذا بها موحشة بلا حياة فقد ذهبت الحبيبة التي كانت نبض مبحثه وأنفاس سروره وروح أنسه وفؤاد دياه . واستشعر رغبة في أن يشم عبير ذكرها فانطلق إلى حيث كانت قلادتها ، تلك القلادة التي كانت لخالته حديجة والتي أدخلتها بها عليه حين بنى عليها فأخرجها وجعل ينظر إليها في وجد ورق لها رقة شديدة ، وبلغ انفعاله متناه فلم يستطع أن يحبس عبراته فحرت على خديه حتى بللت لحيته . فلما رأى على بكاء أبيه استعبر ، فضمه أبو العاص إليه في حنان وارتمى به على أول مقعد صادفه وهاجمته الذكريات . إنه يرى سادات قريش يمشون إليه يقولون :

— فارق صاحبك ونحن نروحك أي امرأة من قريش شئت .

— لا والله إنى لا أفارق صاحبتى وما أحب أنى بامرأتى امرأة من قريش .

ويرى نفسه وقد حرج صايد قريش إلى بدر وهو فهم ؛ إنه أصيب في الأسارى فكان في المدينة عند رسول الله ﷺ ، وبعث أهل مكة في فداء

أسرائهم فبعثت زيب في هدائه بقلادتها . إنه يرى بخياله رسول الله — ﷺ — وقد رق رقة شديدة ، وإنه ليسمع في أغوار نفسه صوت رسول الله — ﷺ — الجمهورى العذب يقول :  
— إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا .

وراح يمسح رأس ابنه في حنان ويشمه في حب فهو بضعة منها ، وهو الدوحة المباركة من رسول الله — ﷺ — ، فإن كانت ريب قد مضت فقد بقى له منها على وإنه يرجو أن يشب بطلا مثل على فارس الإسلام زوج خالته الزهراء .

وعادت إلى رأسه الذكريات ؛ إنه يرى نفسه وقد قفل راجعا إلى مكة فإذا بالحبيبة تهرع إليه لتضمه إلى صدرها في حب وفي عينيها دمعتان حائرتان ومن بين شفتيها تندفق عبارات الترحيب وشكر الله على أن أعاده إليها سالما . وإذا به ينسى في عمرة اللقاء الحار ما وعده رسول الله لحظات ، ولكن سرعان ما أفاق من نشوته وقص عيبها في أسى ما كان بينه وبين رسول الله عليه السلام ، فقد أخذ عليه أبوها أن يحلى سيل ريب إليه .

إنه كان يحبها من أعماق قلبه وقد كانت تحبه بكل حاسة من حواسها ، ولكها ما كانت تستطيع أن تعصى رعبات أبيها — صلوات الله وسلامه عليه ، فتجهرت وخرجت يصحبها أخوه كنانة بن الربيع في رائحة النهار . إنه أحس وهي تخرح بياط قلبه تنقطع وأن الأرض قد مادت تحت قدميه وأن الدنيا قد أصبحت ظلاما في ظلام .

وخرج رجال من قریش في طلبها حتى أدركوها بدى طوى ، فروعها هبار بن الأسود بن المطلب روج أم هانئ بنت أبي طالب عم أبيها بالرمح . فسمعا ريعت طرحت ذا بطنها وعادها أخوه وهى تهريق الدماء . لها م تزل تهريق

الدماء حتى ماتت ها في هذه الدار بين دراعيه .

وهب أبو العاص ثائرا وراح يصصر على أبيابه في غيظ ، فرسول الله ﷺ — قد أهدر دم هبار لما فتح مكة وقد انطلق هو حنقه يبحث عنه ليشفي عييل نفسه . ولكي هبارا قد فر ونجح إلى حين في أن يعلى من غصبه . فإن كان هبار قد فر مرعوبا في ذلك اليوم فلن يتركه طويلا يمشى على الأرض ، فلا بد أن يظهر به فيقنته لعل النار التي تتلظى في أحشائه تهدأ .

إنه ذهب إلى هند أم هانئ بنت أبي طالب بعد أن أسلمت يسأها عن زوجها فأخبرته أنه فر إلى بجران .

وقال حين بلغه إسلامها :

كذاك النوى أسبابها وانفتحتها	أشأقتك هند أم أتاك سؤلها
بنجران يسرى بعد ليل خيلها	وقد أرقى في رأس حصن ممنع
وتعدلى بالليل صل ضلها	وعادلة هبت بليل تلومنى
سأردى وهل يردى إلا زيها	وترعم أنى إن أطعت عشيرى
على أى حال أصبح اليوم حالها	فإى لمن قوم إذا جد جدُّهم
إذا كان من تحت العوالى <sup>(١)</sup> بجالها	وإنى لحام من وراء عشيرى
مخارق <sup>(٢)</sup> ولدان ومنها ظلالها	وصارت بأيديها لسيوف كأنها
على الله رزق نفسها وعيالها	وإنى لأقلى الحاسدين وفعلهم
لكالبل تهوى ليس فيها نصالها	وإن كلام المرء فى غير كنهه
وعطفت الأرحام منك حبالها	فإن كنت قد تابعت دين محمد

(١) العوالى : الرماح .

(٢) مخارق : الماديل تلف ليلعب بها .

فكوى على أعلى سحق بهصة مملمة<sup>(١)</sup> غبراء يبس بلالها  
إنه فكر في ذلك الحين أن يطلق حلفه إلى نجران . ولولا أنه لم يشأ أن يدع  
أبيه عليا الصغير بين يدي جده رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه —  
حتى لا يشغله به خرح يطبه يثار منه . وراح يدرع المكان صاعدا هابطا  
كأسد حبس في قفص وقد تأججت في صدره نار حقه وثار دماؤه حارة  
في عروقه وارتسمت على وجهه صراوة لم يكن لأحد لها عهد .

وحانت منه التفاتة نحو ابنه فألقاه بمد إليه عييه في قلق ، فذهب إليه  
واحتواه بين ذراعيه وراح يمسح رأسه بيده في حنان . وسرعان ما شرد  
واستسلم لتذكرات فقد ملأت رأسه صورته وقد أقبل قافلا من الشام ، إنه  
كان يحصى الأربع فإد بسرية لرسول الله — ﷺ — تمجأه فتصيب ما معه  
فيطلق ساقيه ليربح حتى يدخل المدينة ونحت حبح البيل يدخل على ربيب  
بست رسول الله — ﷺ — يستجير بها ، إنه لا يسي كيف استقبلته الزوجة  
الكريمة بعد عياب طال ست سنوات . إنها عمرته بعصفا حتى سكن روعه  
وكان الفجر وسرى صوت بلال بالأذان كأنه السحر إنه قد استشعر كأد  
قلبه قد انفتح لنداء السماء ولولا حشيتة من أن يقال أسلم رهبة لخرج إلى  
رسول الله — ﷺ — وأعلن إسلامه .

ومس أذنيه صوت رسول الله — ﷺ — وهو يكر والباس يكررون  
معه ، وحاء صوت زيب من أعماق الماضي وهي تصرح من صفة انساء .  
— أيها الناس إن قد أحرث أبا العاص بن الربيع

وهوته الدكرى من الرأس إلى القدم وأحدثه رقة فلم يستطع أن يمست

دموعه عن الحريان ، وأرهفت حواسه وأعار الفصاء أذنيه كأنما يحاول أن يلتقط ما قال رسول الله ﷺ :

— أيها الناس هل سمعتم ما سمعت ؟

نعم

— أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما

سمعت ، إنه يجير على المسلمين أديانهم .

وملأت صورة رسول الله ﷺ — وهو يدخل عليهما الأفق ، ورن صوته الجمهورى العذب فى أعماقه فهزه هزا :

أى بنية ، أكرمى مثواه ، ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له

وسمع طرقا حفيفا على الباب فأفاق من شروده وذهب ليرى من الطارق ، فوجد ابنته أمامة قد فتحت له دراعيهما وتبل وجهها بالفرح فاحتواها فى صدره ثم رفعها بين دراعيه وراح يغمرها بقلاته فرق قلبه وشفت نفسه حتى كاد يرى الراحة العريرة التى حلت منها الدار .

وانفلتت أمامة من بين دراعيه لما رأت أحاسها عليها فانطلقت إليه تروى له ما كانت تفعله فى دار حالتها فاطمة وأم كلثوم وتسمع منه ما فعله جدها العظيم لما فتح مكة وسار إلى هوارن والطائف . ولما رأى أبو العاص أنها قد شعلا عنه انسل إلى البقيع ليدرف على قبر ربيب بنت محمد دمعة .

وعاد أبو العاص إلى الدار مضطجع النفس كسير المؤاد لا يستطيع أن يهرب من الذكريات التى كانت تلح عليه ، إنه يرى ربيب مسحاة فى فراشها وقد فارقت الحياة وفاطمة الهرماء وأم كلثوم وساء السى ييكين حولها . ويرى نفسه وقد أكل عديا ييكى ويسحب وهو يستشعر أن قطعت الأساس ييه وبين لى لى فقد كانت ربيب كل دنياه ، ورأى رسول الله ﷺ —

يكنى ولا يقول إلا خيرا ، ورأى ابن خاله الزبير بن العوام وهو يرفعه عن الحبيبة التي تشبث بها ثم يواسيه وهو يخرج به إلى حيث كان صحابة رسول الله ﷺ

ورق رسول الله ﷺ — على فراشها يستودعها الله ثم قال للنساء : — اعسلنها وترا : ثلاثا أو خمسا واجعس في الآخرة كاهورا .

ورث في جنات الدار صحبة أمانة الصغيرة فالتفت إلى حيث كان على وأمانة وهما سعيدان بحديثهما ، فحاول أن يتزع من نفسه ابتسامة ولكن عر عليه الابتسام وسرى في جوفه قول أخيه كنانة :

عجبت لطار وأوباش<sup>(١)</sup> قومهم يريدون إحفاري<sup>(٢)</sup> بيت محمد ولست أبالي ما حيت ، عديدهم وما استجمعت قبضا يدي بالهند؟

فأحس كأن نارا تشوى كبده ولم يطق المكث في الدار ، فخرج كالعاصمة لا يوى على شيء يرجو أن يسقط هار ذات يوم في يده لبقته نائرا لزينب لعل ذلك يشفى غليل نفسه .

ومرت الأيام وتأهب رسول الله ﷺ — للخروج إلى المسجد وأنس ابن مالك بخدمه ، فقال له رسول الله ﷺ — :

— يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسى ليس في قلبك عثر لأحد فافعل . وصمت عليه السلام قليلا ثم قال :

— يا بني وذلك من ستي ، ومن آحي ستي فقد أحنى ، ومن أحنى كان معي في الجنة .

(١) الأوباش : الأحمال والسفله .

(٢) الإحفار : نقص العهد .



وحرر عليه اسلام إلى المسجد فحاء إليه الحسن والحسين فبش لهما وأجلسهما إلى جواره وقال :

— اللهم إني أحبهما فأحبهما .

وحاءت إليه أنامة بنت زيب فضمها إليه وأخذ يقبلها في حب ، إنها تذكره بريب وبأيام يتمه أيام أن كان في كعب جده عبد المطلب ثم عمه أبي طالب . ونظر أبو العاص بن الربيع إليهما فاستشعر راحة سرعان ما عاصت لما تذكر قول رسول الله ﷺ : « إن لقيتم هباراً فأحرقوه » . ثم قوله عليه السلام : « إنما يعذب بالار رب الار : إن ظفرت به فاقطعوا يده ورجله ثم اقتلوه » .

ودخل هبار مسجد رسول الله ﷺ — فإذا بأعين الناس تتعلق به ، وإذا بأبي العاص بن الربيع بهم بأن يهجم عليه ليقتله . فرفع هبار صوته وقال :

— يا محمد أنا جئت مقراً بالإسلام ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

وثبت الناس في أماكنهم وساد مكان صمت وقلق وتقدم هبار حتى بلغ النبي عليه السلام فقال :

— السلام عليك يا نبي الله .

إبه أعنى إسلامه وألقى السلام ، فرد عليه الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — السلام ، فاطمأن هبار على حياته فقال :

— لقد هربت منك في البلاد فأردت اللحق بالأعاجم ، ثم ذكرت عائدتك وفضلك في صمحت عمن جهل عليك . وكنا يا نبي الله أهل شرك فهدانا الله بك ، ونقدنا بك من الهكة ، فاصمح عن جهلي وعمي كان سي فرني مقر بسوء فعل ، معترف بدسبي .

فالتفت — ﷺ — إليه وقال في صوت جهورى عذب :  
 يا هار عقوت عث وقد أحسن الله إليك حيث هداك للإسلام .  
 الإسلام يحب ما قبله .  
 وصفح النبي الكريم عن قاتل ريب الغالبة ولكن الناس لم يصفحوا عنه  
 فجعلوا يسبونه . فذكر ذلك لسي — ﷺ — فقال :  
 — سب من سبك .  
 فأتوا عنه وحسن سلامه .  
 وأهديت إلى رسول الله — ﷺ — هدية فيها قلادة من حرع فقال :  
 — لأدفعها إلى أحب أهل إلي  
 فأطرقت النساء أسفا وقلن :  
 — ذهبت بها ابنة أبي قحافة .  
 واعتقدت عائشة أن القلادة من بصيبها فهي تعرف مكانها في قلبه . ولكن  
 رسول الله — ﷺ — دعا أمانة بنت ريب فأعقها في عقها .

كان رسول الله ﷺ — يعمل عمل البيت ما يرى فارغاً قط في بيته .  
وأكثر ما يعمل الخياطة إما يحصف نعلاً لرجل مسكين أو يخيط ثوباً لأرملة  
وحاءت فاطمة الرهراء بكسرة حمز إليه فقال :  
— ما هذه الكسرة يا فاطمة ؟

— قرص حرته فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة .  
— أما به أول طعام دخل هم أيث منذ ثلاثة أيام .  
وشرح رسول الله ﷺ — إلى العالية على بعد ثلاثة أميال من المدينة  
حيث كانت مارية في مشربتها إنه أنزها أول ما حاءت من وادي النيل تمرل  
لحارثة بن لعمان قرب المسجد ، فكان يكثر التردد عليها ويمكث لديها طويلاً  
مما أثار عائشة بنت الصديق . فحوطها إلى العالية وكان يختلف إليها هناك فكان  
ذلك أشد على نسائه — ﷺ .

ودات ليلة أفصت مارية إلى سيدها الحبيب أنها قد حملت فاستقبل النبي  
عليه السلام السأ بحمد الله ﷺ وذاع الخبر في المدينة فاشتت النفوس باليشري  
وقانتها نساء النبي بوحوم وحزن وألم ، فقد كانت كل منهن تعيش في دور  
النبي على أمل أن تأتيه بالولد وأن تكون صاحبة الحظ الأوفى . فمما صنت  
بطومس وجادت بص مارية الحعدة الحميمة هشت العيرة أفدة أمهات المؤمنين  
فتقاربت رعو س يا طائناً تباعدت ، وسرى همس ولز يتهم مارية في طهارتها ،  
بـ قصب قد حاء معها من مصر فيما أهذاه المقوقس إلى رسول الله ﷺ —

وأنه يأوى إليها ويأتيها بأداء والحطب فما الذى يحول بينه وبينها ؟ ومن ذا الذى يستطيع أن يجزم أنه لم يخلص إليها ؟

همس مسموم راح يرتفع حتى صار صاحبا ، وحديث إهك حديد يروج له المنافقون ويقولون :

— علق يدحل على علجة .

وبغ الاتهام مسامع رسول الله ﷺ — فحزن ، فالقادمة من مصر كانت تقبل عليه بنفس راضية تبدل كل شيء في سبيل مرضاته ، وما كان في تصرفاتها معه ما يريب . إنها كانت تعرف للرسالة وللرسول مكاتبتها وكانت تهمل بالفرح كلما ذكرت أنها أصبحت كساء الأنبياء اللاني تفيض بأحارهم التوراة ، وأنها ستب لم رسول عليه السلام قرة عين له . فقد كانت تلمس حذبه على أحفاده الحسن والحسين وعلى وأمامة وحبه لأطفال المسلمين ، فكانت تفعم بالسرور كلما حدثت رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه — عن ذلك الذى في بطنها الذى سيكون له عراء وسلوى عن أولاده وبناته الذين قيرهم .

أكان حديثها كديا وفرحها رياء ؟ إنه يحس أنها كانت صادقة في كل كلمة خرجت من بين شفيتها . ولكن أقوال السوء كانت تؤديه فراح يحس على ابن أوى طالب ويثبه شكركه ، فأخذ على سبفه واطلق عاصبا إلى حيث كان ذلك الرجل القبطى الذى أساء إلى رسوله وقائده وحببه .

ووجده على بخلة فاستل سيعه وهم بأن يتسلق ليطيح برأسه ، ونظر القبطى فرأى الشرى عيسى فارس الإسلام الذى كانت صرباته وترا فارتعدت فرائضه إن لممس كان قد سرى إلى أدبيه وإن أصابع الاتهام قد رفعت في وجهه فما شئت لحظة في أن ابن أوى طاب قد جاء ليقنته .

وأحد القطبي ينلت مرعوبا لا يدرى أين المفر ، وراح يتسلق ما بقى من  
 السحبة في فزع وألقى الرداء الذى كان يستتره فتعري فإذا به محبوب ، فأعاد  
 على كرم الله وجهه سبقه إلى غمده وانقلب إلى رسول الله — ﷺ — يخبره  
 بما رأى .

ما أبشع مرجى سوء خاصوا في حديث الإفك لما اتهموا عائشة بصموال وفد  
 برلت براءتها من فوق سبع سموات ، واتهموا مارية بنت شمعون في رجل  
 محبوب ، وما أقسى ما قاسى عليه السلام من آلام بعسه الرقيقة الشفافة  
 الحساسة التى جرحتها أقاويل مافقين ينعمون بالسرور لما تشيع الفاحشة بين  
 الناس .

وحاف عليه السلام على المصرية التى وعدت إلى أرض الحجاز كما وفدت  
 من قبل هاجر المصرية وليده أبيه إبراهيم حليل ارحم فمضت إلى العالیه على  
 ثلاثة أميال من المدينة ، وراح عليه السلام يعى ما حتى إذا عاد إلى دوره  
 تركها في رعاية أختها سيرين .

وبدع عليه السلام وادى القف واطبق إلى مشربة مارية ، فألقى مارية في  
 فراشها تتلوى من الألم وإلى جوارها سيرين ، فما إن سمعت صوته وهو يبقى  
 عبيها السلام حتى رقت على شفيتها ابتسامة وعص من وجهها كل جهد ،  
 فهي تستشعر سعادة عامرة كلما أشرق عليها ، وكان الأوس به يلسم الروح  
 وأنفاس الحياة .

وما أسرع الساعات التى مرت وهو إلى جوارها . إن المصرية البيضاء  
 الجمدة التى جمعت سحر مصر وجمال الرومان كانت تنمى بكل عواطفها أن  
 يبقى معها حتى تضع ما في بطها ، ولكنها تعلمت مد سعدت به أنه وإن كان  
 يحدث على سائته إلا أن واحدة من لم تستطع أن تستأثر به وأن تقعهده عن

تأدية رسالته . كن جميعا يعلّس أن هواه مع ربه وأن لو وضعت الشمس في يمينه والقمر في يساره على أن يترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو يهلك فيه ما تركه .

وقام عليه السلام وهو يدعو لمارية بالخير ، وركب حماره وسار ليعود إلى المدينة وهو يفكر في الحرج فقد كان الشهر ذا الحجة وكان الناس هناك في مكة يطوفون حول أول بيت وضع للناس وقد تطهر من الأصنام . إن حرم حياته قد تحقق فقد عادت منارة التوحيد كما كانت بيتا لله وحده لا شريك له ، فأصرق برأسه تواضعا لله رب الناس إله الناس .

ودخل داره ودعا سلمى مولاته امرأة أبي رافع . إنها كانت مولدة الحسن والحسين وبه عليه السلام يريد أن تكون قائلة مارية ، وأمرها أن تخرج إلى حبة لتكون إلى جوار فتاته البصرية . فاطنقت سعى وأبو رافع معها وهي تدعو الله أن يمس على رسوله بعلام تقر به عينه ، فهي ترى حبه الشديد لأحفاده وأبناء المسلمين

ووصعت مارية علاما ركيا فراح أبو رافع يشق حتى دخل مسجد الرسول فألقاه عليه السلام يتعدى في محرابه ، فانتظر وهو يتململ من الانفعال حتى إذا ما انتهى — صلوات الله وسلامه عليه — من صلاته هرع إليه أبو رافع وقال له وهو يتهلل بالفرح إن مارية قد وصعت علاما . فاشرح صدره عليه السلام واستطعت أساريره ووهب لمن جاءه بالبشرى عبدا ، ثم انطلق إلى العالية وهو مفعم بأسرور ، ودخل على مارية وقد رقت على شفثيه أعذب انتسامة . وبعد أن حمد الله على سلامتها ما على الوالدة والوليد وحمل الصغير في رفق وقد حاد المؤاد بأرق المشاعر ، ورفع بين يديه حتى أدناه من فيه وقبله قبله أو دعها حنان قلبه الكبير .

وعاد إلى مسجده ، فلما جاء إليه أصحابه قال :  
 — ولد لي الليلة علام فسميته بأسم ابني إبراهيم .  
 وعمر المدينة سرور ، ووجعت أمهات المسمين وأطبقت بعضهن لسانها  
 في مارية من العيرة ، فساورت رسول الله ﷺ — بعض الريب ، فحاده  
 جبريل فقال :

— السلام عليك يا أبا إبراهيم .  
 فاطمأن رسول الله ﷺ — وفرح برحمة ربه .  
 وتاهب رسول الله ﷺ — لذهاب إلى أم إبراهيم . وقال قاتل بن  
 رسول الله عليه السلام مطلق إلى مولاته ، فقال صلوات الله وسلامه عليه :  
 — أعتقها ولدها

وأطال عليه السلام أمكث في مشربة أم إبراهيم ، فهو يحس سعادة عارمة  
 كلما مد عيبيه إلى ولده ، فلما كان يوم سابعه عق<sup>(١)</sup> عنه ككش وحقق رأسه  
 وبصدق بورن شعره قصة على المساكين ، وأخذوا شعره ودموه في لأرض .  
 وتنافس الأتصار فيمن يرصعه ، فجاءت أم برده بنت أمدر بن ريد  
 الأنصاري روضة البراء بن أوس فكلمت رسول الله ﷺ — في أن ترصعه  
 بلبن ابها في ببي مازن بن الحجار وترجع به إلى أمه .

وأحدثته أم سيف لترصعه وكان روحها حدادا ، وفي ذات يوم انطلق  
 رسول الله ﷺ — وانطلق معه أس بن مالك فصدقا أبا سيف يفتح في  
 كبره وقد امتلأ البيت دحانا ، فأمرع أس في المشي بين يدي رسول الله ﷺ —  
 حتى انتهى إلى أم سيف فقال .

---

(١) عق . دبح عقيقة وهي شاة لثني تدبح يوم سبوع الولد . وقال عليه الصلاة  
 والسلام قولوا بسميكة ولا تقربوا عقبه .

— يا أبا سيف أمسك ، جاء رسول الله ﷺ .

فأمسك فدعا رسول الله ﷺ — بالصبي فضمه إليه ، ثم انطلق به إلى دوره فدخل به على ابنته الرهراء فاستقيته بالقلبات وهرع الحس والحسين يشاهدان الصغير ويناجيانه . إنه قد ملأ الدار حبورا وإد آل علي بن أبي طالب ليرون فيه قطعة حبيبة من حبيهم النبي — صلوات الله وسلامه عليه ، وعمرت رسول الله ﷺ — سعادة بددت إلى حين ذلك الحزن الدفين الذي لازمه طوال حياته .

وحمل إبراهيم الغالي بين يديه وهو مسرور ودخل به على عائشة ، إنها ما عارت على امرأة إلا دون ما عارت على مارية وذلك أنها كانت جميلة حعدة فأعجب بها الرسول ﷺ ، فكان عامة الليل والنهار عندها فجزعت ، فلما حول مارية إلى العاليه وكان يخنف إليها هناك كان ذلك أشد عيبا ، وزادت عيرتها ضراما لما ررق الله رسوله الولد وحرمها منه .  
وقدم عليه السلام إبراهيم إلى عائشة لترى مقدار ما يبهما من شبه ، فقالت :

— ما أرى بينك وبينه شبا !

وتوجت شعتي رسول الله عليه السلام بسمه هادئة لا يعكرها شك ، فقد قر له أمين الوحي ٥٠ : «سلام عيبك يا أبا إبراهيم » . فعرف فؤاده الطمأنينة مد ذلك اليوم . ولم يحقد على عائشة فإنه كان يعفر ضعف الإنسان فما بالك بعائشة التي كان يوسع لها العذر ويقول كلما اشتطت بها العيرة : « ويحها لو استطاعت ما فعلت » .

كان رسول الله ﷺ — يحبا وكان بساء رسول الله ﷺ —  
حربين . فحرب فيه عائشة وحمصة وصفية وسودة ، والحرب الآخر أم



سلمة وسائر نساء النبي — ﷺ . وكان المسلمون قد عزموا حب رسول الله — ﷺ — عائشة ، فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله — ﷺ — أحرها حتى إذا كان رسول الله — ﷺ — في بيت عائشة بعث صاحب الهدية إلى رسول الله — ﷺ — في بيت عائشة ، فكلّم حرب أم سلمة أم سلمة فقل لها :

— كلمي رسول الله — ﷺ — يكلّم الناس فيقول : من أراد أن يهدي إلى رسول الله — ﷺ — هدية فليهد إليه حيث كان من بيوت نسائه . فكلّمته أم سلمة بما قلّ فلم يقل لها شيئا ، فسألها فقالت :

— ما قال لي شيئا .

فقل لها :

— فكلّمه .

فكلّمته حين دار إليها أيضا فلم يقل لها شيئا ، فسألها فقالت :

— ما قال لي شيئا .

— كلمه حتى يكلّمك .

فدار إليها فكلّمته فقال لها :

— لا تؤدبي في عائشة ، فإن الوحي لم يأتني وأنا في نوب امرأه إلا عائشة .

— أتوب إلى الله من ذلك يا رسول الله .

ثم إسن دعون فاصمة بنت رسول الله — ﷺ — فأرسلت إلى رسول الله — ﷺ — تقول :

— إن ساءك يشدبك الله العدل في سب أبي بكر .

— أي بنية أتحيسي ؟

— نعم يا ألي .

— فأحييها .

كان يحب عائشة وكان يعزم أن العيرة كثيرا ما تستبد بها ، فكان  
يقول لها :

— أغرتي ؟

تقول دون مداراة :

— وما لي .. ألا يعار مثلي على مثلك ؟

كانت نعيم تدين بالهجوسية وكانت تطلق على أبنائها أسماء فارسية ، وكانت على صلة طيبة بالمادرة فكان أهلها يعتمدون أنهم أكثر حضارة من سائر قبائل العرب ، وكانوا كثيرا ما يروون أقاصيص عن مجدهم فكانت أُنديتهم تفيض بأحاديث ما وقع لرجالهم في بلاط ملوك الحِم . إنهم يروون أن المنذر بن المنذر ابن ماء السماء قال ذات يوم وعده وفود العرب ، ودعا يُرَدَى أبيه محرق بن المنذر :

— ليلبس هذين أعز العرب وأكرمهم حسبا .

فأحجم الناس ، فقال أحيمر بن حلف التميمي .

— أنا لهما .

قال الملك :

— بماذا ؟

— بأن مصر أكرم العرب وأعزها وأكثرها عديدا ، وأن نعيما كاهنها

( أعلاها ) وأكثرها ، وأن بيتها وعددها في بني سَهْدَةَ بن عوف وهو جدى

— هذا أنت في أصلك وعشيرتك ، فكيف أنت لى في عترتك وأدائك ؟

— أنا أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة .

فدفعها إليه .

وكانوا يمتحرون أن عتاب بن هرمى من رياح مهم ، كانت به ردافة الملوك

ملوك آل المنذر ، وردافة الملك أن يشئ به في الشرب وإداعاب الملك خلعه في

مجلسه ، وكانوا لا يطيقون أن يعتحر حتى آخر في أنديتهم ، قال بنو كلب بن وبرة :

— نحن لباب العرب وقلبها ، ونحن الذين لا يزارع حسا وكرما .  
فقال لهم شيخ مهم :

— إن العرب غير مفرة لكم بذلك .. إن لها أحسابا وإن لها لبايا وإن لها فعلا ، ولكن ابعثوا مائة مكم في أحسن هيئة وبزة يُقرون من مروا به من العرب ويسألونه عشر ديات ولا يتسبون له ، فمن قراهم وبدل لهم الديات فهو الكريم الذي لا يزارع فضلا .

فخرجوا حتى قدموا أرض تميم وأسد فنقروا لأحياء حافحا وماء فماء لا يحدون أحدا على ما يريدون ، حتى مروا على أكتف من صيفي فسألوه ذلك فقال :

— من هؤلاء القتل ؟ ومن أتم ؟ وما قصتكم ؟ فإن لكم لشأبا باختلافكم في كلامكم !

فعدلوا عنه ثم مروا بقتسة بن الحارث بن شهاب اليربوعي فسألوه عن ذلك فقال :

— من أتم ؟

— من كلب بن وبرة .

— إني لأبغى كلنا بدم ، فإن أسلح الأشهر الحرم وأنتم هذه الأرض وأدر ككم الخيل بكلت بكم وأثكلتكم أمهاتكم .

فخرجوا من عنده مرعوبين ، فمروا بعطارد بن حاجب بن ررارة فسألوه ذلك فقال :

— قولوا بيانا وحنوها .

فقلوا :

— من هذا فقد سألكم قبل أن يعطيكم .

فتركوه ومروا ببني محاشع بن دارم فأتوا على واد قد امتلأ إبلًا فيها غالب  
ابن صعصعة يصلى منها إبلًا بالقطران ، فسألوه القيرى والديآت فقال :

— هاكم البرل قبل البرول فابتروها من البرك وحوروا دياتكم ثم انزلوا .  
فنزّلوا وأخبروه بالحال وقالوا :

— أرشدك الله من سيد قوم ! لقد أرحتنا من طول النصب ، ولو علما  
لقصدنا إليك .

فقال ابنه الفرزدق مفتخرًا :

فله عينا من رأى مثل غالب	قرى مائة صيما ولم يتكلم
وإذا سحت كلبا على الناس إهم	أحق بتاج المجاهد المتكرم
فمن يحل عن أحسابها غير غالب	جری بعاني كل أبيع حضرم <sup>(١)</sup>

وكانوا يصغرون بأبى ياش بن ررارة أبا هالة كان روجا خديجة بنت حويلد  
قبل أن يتزوجها محمد بن عبد الله ، وأن منهم أحكم العرب في زمانه أكرم بن  
صيفي أكثر العرب حكما ومثلا وموعظة سائرة .

وكانوا يقولون إنهم وفي العرب لأن حاجب بن ررارة رهن قومه عن  
العرب كلها عند كسرى وأوى ، ولهم أحلم العرب لأن منهم الأحمف بن  
قيس وكان يضرب به المثل حلما ، وأسود العرب لأن قيس بن عاصم كان  
سيد أهل النوير وكان قيس هو الذي شرع وأد البسات حشية العار بعد أن كان  
الوآد فيهم حشية الإملاق ، فقد أعار النحميون على سى تميم وسبوا ساء كانت

(١) الأبيع : الواصح . والخصرم . الخواد المعطاء .

فبين ابنة قيس بن عاصم ، فاطلق قيس وبعض رجال بني تميم إلى ملك  
الحميين يطلبون ساءهم ، فحير الملك السوء بين أسرهم وأهلهم فاخترت  
ابنة قيس أسرها على زوجها ، فعاد قيس بن عاصم وقد أسود وجهه من العيظ  
وراح يدس البنات في التراب حشية أن يحسن به العار كما جلسته له ابنته من قبل ،  
وأصبح وأد البنات حشية العار مألوفاً في بني تميم .

كان بنو تميم يعتقدون أنهم أعظم قبائل العرب حصارة .

فلما طهر الإسلام في المدينة وانتشر في القبائل التي حولها أعرضوا عن ذلك  
الدين فهم يديون بدين فارس إحدى الإمبراطوريتين العظيمتين اللتين  
تنافسان على سيادة العالم فأين ذلك الدين الماشيء من دين تنتشر بيوت ناره  
في المشارق والمغرب ١٩

واعتنق سادات تميم الدين الجديد قبيل فتح مكة ، وخرج الأقرع بن  
حابس التميمي مع رسول الله ﷺ — ما يطلق إلى أم القرى وحارب معه  
هوازن يوم خنين وحصر حصار الطائف ، وأعطاه عليه السلام مائة من الإبل  
ما قسم نصيبه من الفداء على المؤلفة قلوبهم . وعلى الرعم من رول السور إلى  
أقعدة بعض بني تميم فإن الفيلة كلها ظلت تنيه بضلالها وتناصب المسلمين  
العداء ولم تكتم العداءة في القلوب بل بدت البعضاء من أفواههم واتسمت  
أفعاهم بالتحدى المكشوف .

كان رسول الله ﷺ — قد بعث بشر بن سفيان على صدقات بني  
كعب بن خزاعة ، فحاء وفد حل بواحيهم بنو عمرو بن جذب بن العسر بن  
عمرو بن تميم ، فجمعت خراعة مواشيها للصدقة فاستكرت ذلك بنو تميم  
وأبوا وابتدروا القسي وشهروا السيوف ، فقدم بشر على رسول الله  
ﷺ — فأحبره فقال :



— هذا سيد الوبر .

وجاء الحسن بن علي فاستقبله رسول الله ﷺ — بالبشر وقله ، فقال الأقرع بن حابس :

— إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا .

ف نظر إليه رسول الله ﷺ — ثم قال :

— من لا يرحم لا يرحم .

ورد عليهم الأسرى والسبي ، وتذكر قيس بن عاصم ما كان منه من وأد لبسات . إنه كان شريفا في قومه وكان ذا مال فما كان يذهب خشية إملاق بل خشية العار ، وقد سن هو هذه السنة فراح يسأل رسول الله ﷺ — عن حكم الإسلام فيما فعله فقال له — صلوات الله وسلامه عليه .

— الإسلام يجب ما قبله

فاستشر قيس وأمر رسول الله ﷺ — لهم بالخواتر كما كان يجير الوفد ، ثنتي عشرة أوقية رشاً<sup>(١)</sup> وهي خمسمائة درهم . وكان عمرو بن لأهم قد حلفه القوم في إبلهم وكان أصغرهم سناً ، فقال قيس بن عاصم وكان يكره عمرو بن الأهم :

— يا رسول الله إنه قد كان رجل ما في رجالنا وهو علام حدث وأررى

به .

فأعطاه رسول الله ﷺ — مثل ما أعطى القوم ، فبلغ عمرو بن الأهم ما قاله قيس فيه فقال :

(١) الش : نصف أوقية



طلبت مفترش الهباء<sup>(١)</sup> تشتبى      عبد السى فلم تصدق ولم تصب  
 إن تنصونا من الروم أصلكم      والروم لا تملك البغضاء للعرب  
 وإن سؤددا عود وسؤددم      مؤخر عند أصل المعج<sup>(٢)</sup> والدب  
 إنه سبه إلى الروم لأنه كان أحمر ، فهاء السى — صلواته — وقال :  
 — إن إسماعيل كان أحمر .

وقال الزبرقان يفتخر :  
 — يا رسول الله . أنا سيد تميم والمطاع فيهم والحجاب مهم ، آخذ لهم  
 حقوقهم وأسمعهم من الظلم وهذا يعلم ذلك .  
 وأشار إلى عمرو بن الأهم فقال عمرو :  
 — إنه شديد العارضة ، ماع لحابه ، مطاع في أدايه .  
 فقل الزبرقان :

— والله لقد كذب يا رسول الله ، وما معه من أن يتكلم إلا الحسد .  
 — أنا أحسدك ؟! والله إنك لثيم الخال ، حديث المال ، أحق الولد .  
 مععض في العشرة . والله ما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الثانية .  
 فقال رسول الله — صلواته :  
 — إن من البيان لسحرا .

وعاد وقد تميم بالأسرى ، وانتشر الإسلام في أحيى الذى كان يتبعه بأن ديه  
 الحوسية دين كسرى . ودات يوم فعد قيس بن عاصم ببناء داره محتيا حمائل  
 سيفه يحدث قومه ، فأثى برجل مكتوف وآحر مقتول فقبل له :

(١) هباء . يعنى إسماء

(٢) المعجب : أصل الدب .

— هذا ابن أخي قد قتل ابنتك .

فالتفت إلى ابن أخيه فقال :

— يا ابن أخي بئس ما فعلت ! أئمت بريك وقطعت رحمك وقتلت ابن

عمك ورميت نفسك بسهمك .

ثم قال لابن له آخر :

— قم يا سي موارأحاك وحل كتاب ابن عمك . وسق إلى أمك مائة مائة

دية ابنها .

مضى شهر ولم يستوفد آل محمد نارا ، إن هو إلا اتهم والماء . وما أكثر  
 الليالي لمتابعة النبي كان — ﷺ — بيتها هو وأهله طاووس لا يحدون عشاء .  
 ولم يمتنع خوف النبي — ﷺ — شيئا قط ولم يبت شكوى إلى أحد .  
 وكانت العاقبة أحب إليه من الغنى وإن كان ليطل جائعا يلتوى طول ليلته من  
 جوع فلا سمعه صميم يومه . ولو شاء لأبقى شيئا مما أهاء الله عليه من هوارن  
 ولكنه لم يحمل بالديار وكورها ، وكثيرا ما كان يقول :

— ما لي وسديا ؟ .. حسب من آدم لقيمات يفص صلبه .  
 وأرحى الليل أستاره وجمعت الكائنات فاستاك — ﷺ — ثم توصاً ثم  
 قام يصلي حتى انتفخت قدماه ، فقبل له :  
 — أتكلف هذا وقد عفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟  
 — أهلا أكون عبدا شكورا ؟

ودخل رسول الله عليه السلام داره فاستقبلته حفصة بالترحاب ، وهب  
 ليلام وكان فراشه مسح تشبه حفصة ثنتين فيام عليه فثته له تلك الليلة  
 بأربع فلما أصبح قال :  
 — ما فرشموه لي الليلة ؟

فذكرت له حفصة أنها ثنت اسبح بأربع . فقال عليه السلام .  
 — ردوه بحاله ، فإن وطأته سمعتي سبلة صلاتي .  
 وخرج — ﷺ — إلى المسجد ، وحس مطرقا إلى لأرض فهو متواصل

الأحران دائم المكرة ليست له راحة ، وحاءه على بن أبي طالب ليعترف من  
كبر علمه فسأله عن سته ، فقال عليه السلام :

— المعرفة رأس مالي ، والعقل أصل ديني ، وأحب أسامي ، والشوق  
مركبي ، وذكر الله أيسى ، والثقة كسرى ، والحزن رفيقي ، والعلم  
سلاحى ، والصبر ردائى ، والرصا غيمنى ، والعجز محرى ، والرهـد  
حرفتى ، واليقين قوتى ، والصدق شفعى ، والطاعة حسبى ، والجهاد  
حُبقى ، وقرعة عيـنى فى الصلاة .

جرأ — صلوات الله وسلامه عليه — بهاره ثلاثة أجزاء : جرء الله ،  
وجرء لأهله ، وجرء لنفسه ، ثم جرء حرءه بين الناس فكان يستعين  
بالخاصة على العامة ويقول :

— أسعوا حاحه من لا يستطيع إبلاعى ، وبه من منع حاحه من لا يستطيع  
إبلاعها آمنه الله يوم الفرع الأكبر .

وكان رسول الله — ﷺ — أوفر بأس فى محبسه ، كثير السكوت لا  
ينكم فى غير حاجة ، يعرض عن نكمت بعير حميل ، وكان ضحكة تبسما ،  
وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير ، وكان ضحك أصحابه عنده التسم  
توقير ، له واقده به ، وكان سكوه على أربع . على الخنم ونعدر ولتقدير  
والتفكر .

وتأهب رسول الله — ﷺ — ليطلق إلى السوق فهرع أبو هريرة إليه ،  
فقد انقص خدمة رسول الله — ﷺ — صبا للعلم ، وقد سأله رسول الله  
ذات يوم .

— ألا تسألنى من هذه عنائم بنى يسألى أصحابك ؟

فقال أبو هريرة :

— أسألك أن تعلمنى مما علمك الله .

وغادر رسول الله عليه السلام المسجد وأبو هريرة منهلك الأسارير لأنه في رفقة حبيبه رسول الله ، إنه يقول :

— ما رأيت شيئاً قط أحسن من رسول الله — ﷺ — كأش الشمس تجري في وجهه .

والتفت إلى النبي — ﷺ — وقال :

— يا رسول الله إنى إذا رأيتك طابت نفسى وقرت عيى ، فأبئى عن كل شئ .

— كل شئ خلق من ماء .

— يا رسول الله أبئى عن أمر إذا أحدث به دحيت الحجة ؟

— أفش السلام ، وأطعم الطعام ، وصل الأرحام ، وقم بالليل والناس نيام ، ثم ادخل الحجة بسلام .

ومر — صلوات الله وسلامه عليه — على صبرة ( كومة ) طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بدلاً فقال :

— ما هذا يا صاحب الطعام ؟

— أصابته السماء يا رسول الله .

— أفلا جعلته فوق الطعام حتى يره الناس ؟! من عشنا فليس منا .

وسار عليه السلام في السوق وأبو هريرة معه ، فاشترى سراويل وقال للوزان :

— رن ورجع .

ورأى الثوران من رسول الله — ﷺ — كرم خلق ور حابة صدر ولين حب ، أصدق الناس لهجة وما أحد أحسن خلق منه ، فوثب الرجل إلى يد

النبي — ﷺ — يقبدها ، فحذب يده وقال .

— هذا تفعله الأعاجم علوكها ولست بمملك . أما رجل منكم .

ثم أخذ السراويل فذهب أبو هريرة ليحمله ، فقال عليه السلام :

— صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله .

وعاد رسول الله — ﷺ — إلى مسجده ، فحاضت امرأة ببردة فقالت :

— يا رسول الله بئى نسجت هذه بيدي أكسوكها .

فأخذها النبي — ﷺ — محتاجا إليها ، فخرج إلى الناس وإنها إزاره ،

فقال رجل بين القوم :

— يا رسول الله اكسنيها .

— نعم .

فجلس النبي — ﷺ — في المجلس ، ثم رجع فطوها ثم أرسلها إليه ،

فقال له القوم :

— ما أحسنت . سألناها إياه لقد علمت أنه لا يرد سائلا .

— والله ما سألته إلا لتكون كفى يوم أموت .

وكان ثعلبة بن حاطب الأنصاري قد أتى رسول الله — ﷺ — فقال .

— يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا .

— ويحك يا ثعلبة ، قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه .

ثم قال مرة أخرى :

— أما ترضى أن تكون مثل نبي الله ٩ هو الذي يمسي بيده لو شئت أن

تسيل معي الخيال قصة وذها لسالت .

— واندى بعثك باحق نبي دعوت الله أن يرزقني مالا لأوتين كل دى حق

حقه .

فقال رسول الله ﷺ :

— اللهم ارقق ثعلبة مالا .

فأتخذ عما فتمت كما ينمو الدود ، فصاقت عليه المدينة فتحنى عنها .

ومرت الأيام وسأل رسول الله ﷺ :

— ما فعل ثعلبة ؟

— اتخذ عنها وصاقت عليه المدينة فتحنى عنها فرل واديا من أوديتها حتى

جعل يصلى الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ، ثم تمت وكثرت حتى

ترك الصلاة إلى الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة .

— يا ويح ثعلبة . يا ويح ثعلبة ، يا ويح ثعلبة .

وأزل الله تعالى : « حذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصل

عبيهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم »<sup>(١)</sup> . فعث رسول الله —

ﷺ — رجلين على الصدقة . رجلا من جهة ورجلا من بى سيم وكتب

لهما كيف يأخذان الصدقة وقال لهما :

— مرا ثعلبة وبفلان رجل من بى سيم ، فحذا صدقتهما .

فخرجتا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله عليه

الصلاة والسلام ، فقال :

— ما هذه الإجرية . ما هذه إلا أخت الجرية . ما أدري ما هذا ١٩ انطلقا

حتى تفرغا ثم تعودا إلى .

فانطلقا وأخبرا السلمى فطفر إلى حيار أسان إليه فعرفها للصدقة ثم

استقبلهم بها ، فلما رأوها قالوا :

— ما يحب هذا عليك . وما نريد أن نأخذه منك .

— بلى حدوه فإن نفسى بذلك طيبة ، وإما هى إلى

نأخذوها منه ، هما مرغا من صدقتهما رجعا حتى مرا بثعلبة ، فقال :  
— أروني كتابكما أنظر فيه .

فمظرفقان :

— ما هذه إلا أخت الحرية ، انطلقا حتى أرى رأيي .  
فانطلقا حتى أتيا النبي عليه الصلاة والسلام ، فلما رأهما قال :  
— يا ويح ثعلبة .

قبل أن يكلمهما ، ودعا للسلمي بالبركة ، وأخبروه بالذي صرع ثعلبة  
والذي صرع السلمي ، فأمر الله عز وجل في ثعلبة قرآنا وعند رسول الله ﷺ  
— رجل من أقربه فسمع ذلك ، فخرج حتى أتى ثعلبة فقال :

— ويحك يا ثعلبة قد أمرل الله فيك : « ومهم من عاهد الله لئن آتانا من  
فضله لصدق ول نكون من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بحوا به وتولوا  
وهم معرضون . فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقوه بما أحلفوا الله ما  
وعده و بما كانوا يكذبون » (١)

فخرج ثعلبة حتى أتى النبي عليه الصلاة والسلام فسأله أن يقلل منه  
صدقته ، فقال :

— إن الله قد منعني أن أقبل صدقتك .  
فجعل يحشو التراب على رأسه ، فقال رسول الله ﷺ :  
— هذا عملك ، قد أمرتك فلم تطعني .

فلما أتى أن يقلل منه شيئا رجع إلى منزله والديا في عينيه طلمات بعضها  
فوق بعض ، يلوم نفسه لأنه لم يطع الرسول لما قال له : « ويحك يا ثعلبة ،  
قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه » .



ارتفع صوت بلال يؤذن في عماية الصبح ففتحت النور في العالية  
والسافلة وحرص الرجال والنساء والولدان في ثياب جديدة ، فقد كان اليوم  
يوم عيد . وحرص رسول الله ﷺ إلى المصلى وخرج أهل بيته إلى  
المسجد ، فلما قصيت الصلاة وانتهى عليه السلام من خطبة العيد وقد وعظ  
الناس وأمرهم بالصدقة فقال :

— أيها الناس تصدقوا .

فمر على النساء فقال :

— تصدقن ولو من حليكن .

وكانت زيب امرأة عبد الله بن مسعود في المسجد ، وكانت ريب تنفق  
على عبد الله وأيتام في حجرها ، فقالت لعبد الله :

— سل رسول الله ﷺ — أيجزى عني أن أنفق عليك وعلى أيتام و  
حجرى من الصدقة ؟

— سلى أنت رسول الله ﷺ .

فانطلقت إلى النبي ﷺ — فوجدت امرأة من الأنصار على الباب  
حاجتها مثل حاجتها ، فمر عليهما بلال فقالت كل مهما :

— سل النبي ﷺ — أيجزى عني أن أنفق على زوجي وأيتام و  
حجرى ؟

وقائنا لبلال :

— لا تخبر بها .

كانتا تطمان منه إلا يعين أسماءهما ولا يقل السائلة فلانه . فدخل فسأله فقال عليه السلام :

— من هما ؟

— زينب .

— أى الزينب ؟

— امرأة عبد الله .

— نعم ولها أجران : أجر القرابة وأجر الصدقة .

وراح الناس يتصدقون فحاء هذا بتمره إلى رسول الله ﷺ — وهذا من تمره حتى صار عنده كوما من تمر ، فجعل الحسن والحسين يلعبان بذلك التمر ، فأخذ الحسن تمره فجعلها في فيه ، فقال النبي ﷺ :

— كخ كخ .

ليطرحها من فيه . ثم قال :

— أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة ؟

وجاء ناس من الأنصار يسألون رسول الله ﷺ — فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم حتى نفذ ما عنده فقال :

— ما يكون عندي من خير فليأدخره عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله ،

ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحدا عطاء خيرا وأوسع من الصبر .

وجاء إليه عليه السلام أناس يشكون قالوا :

— مع ابن حميل وخالد بن الوليد وعباس بن عبد المطلب .

فقال النبي ﷺ :

— ما يقيم ابن جميل إلا أنه كان فقيراً فأغناه الله ورسوله ، وأما خالد فإيكم تظلمون حالداً قد احتبس أذراعه وأعتدّه في سبيل الله . وأما العباس بن عبد المطلب فعم رسول الله — ﷺ — فهي عليه صدقة ومثلها معها .

كان أناس يسألون وأناس يسألون الخفاف وأناس يستعففون حتى عن العطاء ، فقد كان رسول الله — ﷺ — يعطي عمر العطاء فيقول :

— أعطه من هو أفقر إليه مني .

فيقول له رسول الله — ﷺ :

— حذّه ، إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذّه وما لا تُتبعه نفسك .

وراح الناس يمضون العيد في بيرحاء وكانت بستانا لئى طلحة وكانت أحب أمواله إليه ، وكانت بيرحاء مستقلة بالمسجد وكان رسول الله — ﷺ — يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ، فما أُنزلت آية . « لى تسألوا الر حتى تنفقوا مما تحبون » (١) . قام أبو طلحة إلى رسول الله — ﷺ — فقال :

— يا رسول الله إن الله تبارك يقول : « لى تسألوا الر حتى تنفقوا مما تحبون » . وإن أحب أموالى لئى بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو برها ودحرجها عند الله ، فصعها يا رسول الله حيث أراك الله . فقال رسول الله — ﷺ :

— يح ذلك مال رابع ، ذلك مال رابع ، وقد سمعت ما قلت ، وإنى أرى أن تجعلها في الأقربين .

فقال أبو طلحة .

— أفعل يا رسول الله .

فسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه .

وجاء الفقراء إلى النبي ﷺ — فقالوا :

— ذهب أهل الذنور ( الكثير ) من الأموال بالدرجات العلا والنعيم

المقيم ، يصلون كما نصلي ويصومون كما بصوم ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون ويجهدون ويتصدقون .

— ألا أحدثكم بما إن أحدثتم به أدركم من سيفكم ولم يدرككم أحد بعدكم

وكنتم خير من أنتم بين طهرين إلا من عمل مثله ؟ تسبحون وتحمدون وتكبرون حلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين

فاحتلموا بينهم فقال بعضهم :

— نسح ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وكبر أربعاً وثلاثين .

فرجع إليه أبو هريرة فقال عليه السلام :

— تقول : سبحان الله والحمد لله والله أكبر حتى يكون منهن ثلاثا

وثلاثين .

وكان رسول الله ﷺ — قد استعمل عاملاً ، فجاءه العامل حين فرغ

من عمله فقال :

— يا رسول الله هذا لكم وهذا أهدي لي

فقال له :

— أفلا أعدت في بيت أبيك وأمك فطرت أبيدي لك أم لا ؟

ثم قام رسول الله ﷺ — عشية بعد الصلاة فتشهد وأثنى على الله بما

هو أهله ثم قال

— أما بعد فما بال العامل نستعمله فيأتينا فيقول : هذا من عملكم وهذا أهدي لي ؟ أملا قعد في بيت أبيه وأمه فمظن هل يهدي له أم لا ؟ هو الذي نفس محمد بيده لا يغل أحدكم منها شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه إن كان بعيرا جاء به له رعاء ، وإن كانت بقرة جاء بها لها خوار وإن كانت شاة جاء بها لها تيعر ، فقد بلغت .

وجاءت امرأة معها ابتاد عائشة تسألها فلم تجد عندها غير تمر واحدة فأعطتها . فقصمتها الأم بين ابنتيها ثم قامت فخرجت . فدخل السي — ﷺ — فحدثته فقال :

— من بي من هذه البسات شيئا فأحس إليهن كن له سترا من النار .  
وتلقى عليه السلام هدية وهو في بيت عائشة ، فأرسل إلى كل راحة صلب منها ، فردت ريب بنت حنشل ما جاءها فقالت عائشة في شماتة ، فلم تكن واحدة من ساء السي — ﷺ — — ناصبها غير ريب :  
— لقد أقمت<sup>(١)</sup> وجهك حين ترد عليك هدية .

فقام عنها معصبا وهو يقول :  
— أئن أهون على الله من أن تقمئتي .  
كان عليه السلام يحبها وكان يعصب ويرضى وكانت تغضب وترضى ، وقد قال لها ذات يوم :

— إني لأعرف غصبتك ورضاك .  
— وكيف تعرف ذلك يا رسول الله ؟  
— إيتك إذا كنت راضية قلت : بلى ورب محمد . وإذا كنت ساحصة

(١) أقمت : صمرت وأدليت .

قلت : لا ورب إبراهيم .

— أحل . لست أهاجر إلا اسمك .

وكان عليه السلام يزور كل يوم ابنة فاطمة الزهراء ويسعد بمداعبة الحسن والحسين ومحسن وزينب وأم كلثوم ، وما كان يصرفه عنهم شاعل من شواغله الخسام . إنه كان سعيدا بابنه إبراهيم وكان يصمه إلى صدره ويقبله ، ولكن حبه لإبراهيم لم يطع على حبه الحسن والحسين ولم يؤثر في حبه لأمامة بنت زينب ، فقد كان يخرج على الناس وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه فيصلي ، فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها .

وحاءه أعرابي وهو يقلل أحفاده فقال :

— أتقبلون الصبيان ؟ فما نقبلهم .

فقال النبي ﷺ —

— أوأملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة ؟

وراح — ﷺ — يحدث أصحابه في المسجد ويقول :

— مثل ومثل ما بعثني الله كممثل رحل أقي قوما فقال : يا قوم إني رأيت

الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان والنجاء ، فأطاعه طائفة من قومه فأدخوا

فأطلقوا على مهلهم فجوا ، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكاهم فصيحهم

الجيش فأهيكهم وحتاحهم . فذلك مثل من أطاعني واتع ما حثت به ،

ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق .

ورأى عمر على رجل حلة من إسترق فأقنمها النبي ﷺ — فقال :

— يا رسول الله شتر هذه فالسها لو هداس إذا قدموا عليك

— إنما يلبس الحرير من لا حلاق له .

فمضى من ذلك ما مضى ثم إن أسي — ﷺ — بعث إلى عمر حلة .

فأتى بها السبي — ﷺ — فقال :

— بعثت إلى بهذه وقد قنت في مثلها ما قنت .

— إنما بعثت بها إليك لتصيب بها مالا .

ومرت الأيام وحلّس رسول الله — ﷺ — في المسجد ومعه أسامة بن

زيد وسعد بن أبي وقاص وأتى ، فأرسلت إليه ابنة له :

— إن ابني قد احتصر فاشهدنا .

فأرسل يقرأ السلام ويقول :

— إن لله ما أحد وما أعطى ، وكل شيء عنده مسمى فلتصبر وتحتسب .

فأرسلت إليه تقسم عليه فقام وقام معه أسامة وسعد وأتى ، فلما رجع إليه

فأقعدته في حجرة ونفس الصبي تقعقع ، فاضت عينا رسول الله — ﷺ —

فقال سعد :

— ما هذا يا رسول الله ؟!

— هذا رحمة يصعبها الله في قلوب من يشاء من عباده .

وإنما يرحم الله من عباده الرحماء .

كان زهير بن أبى سلمى يجالس أهل الكتاب ويسمع منهم أنه قد آن بعث  
حاتم الأنبياء ، ودخل زهير ذات ليلة وبام فرأى أنه قد مد بسبب من السماء  
وأنه مد يده يتناول ففاته ، فأول رؤياه بالسبي عليه السلام الذى يبعث فى آخر  
الزمان وأنه لا يدركه .

وأحس زهير أن حيرا كثيرا قد فاته ، فرأى أن لا يفوت بنيه جميعهم  
وأحبرهم بحلمه وأوصاهم إن أدر كوا السى — ﷺ — أن يسلموا وأن يتبعوا  
النور الذى يأتى به ، فقد كان يريد لسيه هياة الدنيا وسعادة الأبد .

ودهب زهير بن أبى سسمى وقام رسول الله — ﷺ — يدعو الناس إلى  
عبادة الله وحده لا شريك له فآمن له من شرح الله قلوبهم للإسلام وناصبه  
العداء من عميت قلوبهم التى فى الصدور . وخرج يوما بحير بن زهير وكعب  
بن زهير فى غم لهما ، وبلغهما أن رسول الله — ﷺ — يدعو الناس إلى ديه  
الحديد ، فقال بحير لأخيه كعب وقد تذكر وصية أبيه :

— اثبت فى الغم حتى آتى هذا الرجل فأسمع كلامه وأعرف ما عنده .  
فأقام كعب ومضى بحير ، فأتى رسول الله — ﷺ — وسمع كلامه  
فأحس نشوة عارمة وكان عشاوة قد رفعت عن عييه وأنه ارتفع حتى كاد  
يعاين ملكوت الله ، واستسكنت أنوار اليقين فى فؤاده فإذا به يرى الوجود كله  
قد تألق بصياء ربانى بيده بصيرته ، فقال وهو متعرج فى الله  
— أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله :



وعاد إلى حيث كان أخوه كعب وهو يستشعر كأنما ولد من جديد إنه ذهب ليلقي سمعه إلى السبي — ﷺ — وهو لا يدري سر وجوده ، فعاد من عنده وهو يحس أن حياته أصبحت لها معنى وأن له رسالة وسُعت أمامه آفاق دنياه ، فقد صار خيفة الله في الأرض .

وأخذ يحير يروى لأخيه كعب ما مره من أمر رسول الله — ﷺ — وهو يطمع في إسلام أخيه ، ولكن كعباً أصم أدنيه عن النصح وأعرض في استنكار وسار في طريق الضلال .

وانتقل الإسلام من نصر إلى نصر وفتح رسول الله — ﷺ — مكة ودانت له قريش وانطلق لحرب هوازن وصرب الحصار على الطائف ، واستمر كعب ينظم الهجاء في سبي الإسلام — صلوات الله وسلامه عليه — وأخوه بحير في صفوت المسلمين يتألم لتردى كعب في الظلمات . فلما كان مصرفه عليه السلام من الطائف كتب بحير إلى أخيه كعب بن رهير يحبره بفتح مكة وأنه — ﷺ — قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجووه ويؤديه ، وأن من بقي من شعراء قريش ابن الربيعي وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه ، « فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله — ﷺ — فإنه لا يقتل أحداً حياءً تائباً ، وإن أنت لم تفعل فاع إلى بحالك من الأرض .

فلما بلغ كعباً الكتاب صاقت به الأرض وأشفق على نفسه ، واهتبل أعدؤه هذه الفرصة فخاصوا في أمره عما أمره فقاتلوا :

— هو مقتول .

فلما لم يجد من شيء بدا خرج حتى قدم المدينة فمر على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة ، فعدا به إلى رسول الله — ﷺ — حين صلى الصبح ، فصرى مع رسول الله — ﷺ — ثم أشار له إلى رسول الله —

صلوات الله وسلامه عليه — فقال :

— هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه .

فقام إلى رسول الله — ﷺ — حتى جلس إليه فوضع يده في يده ، وكان رسول الله — ﷺ — لا يعرفه فقال :

— يا رسول الله إن كعب بن رهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟

— نعم .

— أنا يا رسول الله كعب بن رهير .

فوثب عليه رجل من الأنصار فقال :

— يا رسول الله دعى وعدو الله أصرب عقه .

— دعه عث فإنه قد جاء تائباً بارعاً عما كان عنه .

فعصب كعب على هذا الخي من الأنصار لما صعب به صاحبهم ، ودلت أنه لم يكن فيه رحل من المهاجرين إلا خير ، فراح يشد

بانت سعاد<sup>(١)</sup> فقلبي اليوم متبول

مستقيم إثرها لم يُفقد مكبول

وما سعاد غداة السين إذ رحلوا

إلا أغن<sup>(٢)</sup> عصيص الطرف مكحول

(١) بانت : دارقت فراقاً بعيداً وسعاد اسم امرأة ، وقبل هي امرأته وبنت عمه ، حصها بالذكر لظول عيته عنها ، هروبه من النبي ﷺ

(٢) الأغن : الطيب الصغير الذي في صوته عنة عصيص الطرف : فاتره ، مكحول : من الكحل ( بتحريك الحاء المهملة ) وهو سواد يعبر حفر العين من غير كتحال .

هيفاء<sup>(١)</sup> مقللة عجزاء مدبسة  
 لا يُشْتَكى قصر منها ولا طول  
 تجلو<sup>(٢)</sup> عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت  
 كأنه مُنهَل بالراح معلول  
 شُحْتُ<sup>(٣)</sup> بدى شيم من ماء عنية  
 صاف بأبطح أضحى وهو مشمول  
 نفى الريح القذى<sup>(٤)</sup> عنه وأفرطه  
 من صوب غادية يبيض يعاليل  
 فيا لها خلعة<sup>(٥)</sup> لو أنها صدقت  
 بوعدا أو لو ان النصح مقبول  
 لكنها حُلّة قد سيط<sup>(٦)</sup> من دمها  
 فنجع وولع وإحلاف وتديل

---

(١) هيفاء . دقيقة لخاصرة مقبنة : حال . عجزاء : كبيرة العجز .  
 (٢) تجلو : تكشف العوارض الأسناد الطلم : ماء الأسناد ويريقها المهل :  
 المسقى الراح : الخمر معلول . من العهل ( بالفتح ) ، وهو الشرب الثانى  
 (٣) شحنت : مرحت حتى انكسرت سورتها وشم : ماء شديد البرد المحية :  
 معطف الودى الأبطح . المسيل الواسع اندى فيه دقائق اخصى ، انشمول الذى  
 صرته شمال حتى برد  
 (٤) القذى : ما يقع فى الماء من تراب أو عود أو غيره . أفرطه : سقى إليه وملاؤه .  
 الصوب : انظر العادية \* السحابة تمطر عدوة : يعاليل . الحجاب الذى يعلو وجه  
 الماء .

(٥) الخلعة ( بالصم ) : الصدقة .  
 (٦) سيط أى حبط بلحمها ودمها هذه الصفات المذكورة فى البيت الفجع :  
 الإصانة مكروه النوع لكذب لإحلاف . حلف الوعد

فما تدوم على حال تكون بها  
 كما تلوّن في أثوابها الغول (١)  
 وما تمسك بالعهد الذى زعمت  
 إلا كما يمسك الماء الغرابيل  
 فلا يغرّنك ما منّت وما وعدت  
 إن الأماني والأحلام تضليل  
 كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً  
 وما مواعيدها إلا الأباطيل  
 أرجو وآمل أن تدنو مودتها  
 وما إحال لدينا منك تنويل (٢)  
 أمست سعاد بأرض لا يُبلغها  
 إلا العتاق (٣) النحيات المراسيل  
 ولن يلمها إلا غُذافرة (٤)  
 لها على الأين إرقال وتبغيل  
 من كل بصّاحة (٥) الدفري إذا عرقت  
 عُرضتها طامس الأعلام مجهول

- 
- (١) العول : ساحرة الجن . (٢) التنويل : الوصل .  
 (٣) العتاق . الكرام الحيات : جمع حية ، وهى القوة الحفيمة المراسيل . الإيل  
 الكرام الأصول ، القوة السريعة .  
 (٤) العذافره . الباقه الصبة العظيمة . الأين الإعياء والتعب . الإرقال والتبغيل  
 ضربان من السير السريع .  
 (٥) البصّاحة : الكثيرة رشح العرق . الدفري . البقرة التى خيف أدب الباقه .  
 عرضتها همتها طامس الأعلام . الدارس المتعب من المعلومات التى تكون فى الطريق ليهتدى بها

ترمى الغيوب<sup>(١)</sup> بعينى مفرد لهُق  
 إذا تَوَقَّضت الحَزَان والمِيل  
 ضخم مُقَلِّدها<sup>(٢)</sup> فعم مقَّدها  
 وَ خَلَفَهَا عن بات الفحل تفصيل  
 غَلَاء<sup>(٣)</sup> وَجَنَاء عُدْكُمْ مُذْكَرَة  
 فِي دَفْهَا سَعَة قُدَّامَهَا مِيل  
 وَجَلْدَهَا من أَطُوم<sup>(٤)</sup> مَا يُؤَيَّسَة  
 طِلْج بِصَاحِيَة المَتِين مَهْزُول  
 حَرْق<sup>(٥)</sup> أَحْوَهَا أَبْوَهَا من مُهْجَة  
 وَ عَمَهَا خَالَهَا قُرْدَاء شِمِيل

- 
- (١) الغيوب : آثار الطريق التي غابت معجب عن عيوب مفرد الثور الوحشي الذي تمرّد في مكان . للهق : لأبيض . الحزان : لأمكنة العبيطة الحصة تكثر فيها الحصاء . الميل : العقد الصخمة من الرمن .
- (٢) نقصد موضع لقلادة في العنق معمم مملوء قد بات محض لبات من الإبل المسوية للمحل المعد للصواب .
- (٣) غلاء : غليظة العنق . وجناء : عظيمة لوجنتين علكوم . شديدة مذكرة عظيمة الخلقة تشبه الذكران من الأفاعي في دَفْهَا سَعَة أي هي وسعة الجبين . قدامها ميل : كناية عن صور عفتها أو سعة حظوها .
- (٤) الأطوم : سحمة بحرية غليظة الحد يؤيسه يده ولا يؤثر فيه الصبح ( بالكسر ) القرداء . الصاحية من كل شيء ناحيته البارزة للشمس هناك ما يكشف صلب عن يمين وشمال ، من عصب وحجم مهروب صفة صبح ، أي قرداء مهروب .
- (٥) الحرف الناقصة صامرة أَحْوَهَا أَبْوَهَا طِلْج م يدخل في سبأ غير أقاربها بهجة كريمة لأنوس من إبل قرداء الصوبية صهرو علق شمس خضعة سريعة

يمشي القُرادُ عليها ثم يُزلقه<sup>(١)</sup>  
 منها إبان وأقرب زهاليسل  
 غير انه<sup>(٢)</sup> قدفت بالحصى عن غرض  
 مرفقها عن بات الزور مفتول  
 كأما فات عينيها ومدبّحها  
 من خطمها<sup>(٣)</sup> ومن اللّحين برطيل  
 تمر مثل عسيب<sup>(٤)</sup> الحل ذا حُصل  
 في غارز لم تحوّه الأحاليل  
 قواء<sup>(٥)</sup> في حُرّتها للبصر بها  
 عتق مبيى وفي الخديس تسهيل  
 تحدى<sup>(٦)</sup> على يسرات وهي لاحقة  
 دوابل مشهّن الأرض تحليل

(١) يزلقه يسقطه لبس الصدر لأقرب الخواصر ارماليل لبس  
 (٢) يُغيره اساقفة المشبهة غير الوحش في سرعته وبشاعه وصلابته . لحصى  
 اللحم عرص . جاب . الزور . لصدر . بات الزور ما يتصل به مما حوله من  
 الأصلاخ وغيرها .

(٣) خطم . الألف . اللحياب . لعظام اللدان تثبت عليهما الأسناب لسمي من  
 الإنسان وغيره . البرطيل حمر مستطيل

(٤) عسيب الحل حريده ادى م بيت عليه الخوص ، ذا حصل . يريده ديلاله  
 عائف من لشعر في عرر أى على صرع م تحوّه لم تنقصه . الأحاليل : محارج  
 لبس .

(٥) القواء : محدودية الألف . الحرناب لأدنان عتق لكره مبيى

اصهر تسهيل سهوة وبت

(٦) تحدى تسرع اليسرات : القوائم الخفاف . الدوابل . جمع دال وهو البرح

حصب لبس عيب قليل لم يباع فيه

سُمِرَ الْعُجَايَاتُ (١) يَتْرَكُنَ الْحَصَى زَيْمًا  
 لَمْ يَقْهَمْنَ رَعَوْسَ الْأَكَمِّ تَنْعِيمًا  
 كَأَنَّ أَوْبَ (٢) دَرَاعِيهَا وَقَدْ عَرِقَتْ  
 وَقَدْ تَلْفَعُ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ  
 يَوْمًا يَظَلُّ بِهِ الْجِرْبَاءُ (٣) مُصْطَخِدًا  
 كَسَأَنَ صَاحِبِيَّةً بِالشَّمْسِ مَمْلُولُ  
 وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيهِمْ (٤) وَقَدْ جَعَلْتُ  
 وَرُقَ الْجَنَادِبِ يَرْكُضُنَ الْحَصَى قَبْلُوهَا  
 شَدَّ النَّهَارَ (٥) ذِرَاعًا عَيْطَلُ نَصَفَ  
 قَامَتْ فَجَاوَبَهَا تُكَدُّ مَثَاكِيلُ

- 
- (١) العجائيات : الأعصاب المتصلة بالحمار . ربما . متفرقا . الأكَم : الأراضي المرتفعة . التنعيم : شد البعل على ظهر الدابة ليقيها الحجارة .  
 (٢) الأوب : سرعه الثقب والرجوع . تلفع . اشتعل والتحف . القور : جمع قارة ، وهي الحبل الصغير . العساقيل : السراب .  
 (٣) الجرباء : صرب من العطاء ، يستقبل الشمس حيثما دارت ، ويتمون بأنوار الأمكة التي يحل فيها . مصطخدا : محترقا بحر الشمس . صاحبه : ما برر للشمس منه مملول : موضوع في الملة ، وهي الرماد الحار .  
 (٤) الحادى : السائق للإبل . الورق . الأحصر السدى يصرب إلى السواد . الجنادب : صرب من الحراد . يركض الحصى : يحركه بأرجلهن لقصد الروول ، سب الإعياء عن الطيران من شدة الحر . قبوا : استريحوا  
 (٥) شد النهار : وقت ارتفاعه العيطل : الطويلة النصف - المتوسطة في الس ، السكد : التي لا يعيش لها ولد . المثاكيل : الكثيرة الثكل

نواحة رخوة الضيعين<sup>(١)</sup> ليس لها  
لما نعى بكرها الناعون معقول  
تفرى<sup>(٢)</sup> اللان بكفها ومدرعها  
مشقق عن تراقبها رعايل  
تسعى العواة<sup>(٣)</sup> جنايبها وقولهم  
إلك يا بن أئى سلمى لمقتول  
وقال كل صديق كنت آمله<sup>(٤)</sup>  
لا ألهيئك إنى عنك مشغول  
فقلت تحذوا سبيل<sup>(٥)</sup> لا أبأ لكم  
مكل ما قلر الرحمن مفعول  
كل ابن أنشى وإن طالت سلامته  
يوما على آلة حدباء<sup>(٦)</sup> محمول  
نُبت أن رسول الله أوعدنى  
والعفو عند رسول الله مأمول

- 
- (١) رخوة الضيعين : مستريحة المصدين . البكر : أول الأولاد . الناعون :  
المخبرون بالموت ، البادبون له . المعقول ها . العقل .  
(٢) تفرى : تقطع . اللان : الصدر . المدرع : التقيص . رعايل : قطع متفرقة .  
(٣) العواة . المصنوع ، حايبها . حوالها . مقول : أى متوعد بالقتل . لأن السى  
صلواته كان قد أهدر دمه  
(٤) آمله : أؤمل حيره وأترجى إعاقته فى الملمات .  
(٥) تحذوا سبيل : اتركوه . لا أبأ لكم . مدح لهم على سبيل التهكم والاستهزاء  
(٦) الآلة الحدباء : العش الذى يحمل عليه الميت .



مهلاً هداك الذى أعطاك نافـ  
 لمة القرآن فيها مواعظ وتفصيل  
 لا تخذلى بأقوال الوشاة وم  
 أذنب ولو كثرت فى الأقاويل<sup>(١)</sup>  
 لقد أقوم<sup>(٢)</sup> مقاما لو يقوم به  
 أرى وأسمع ما لو يسمع القيل  
 لظّل يرعد إلا أن يكون له  
 من الرسول بإذن الله تنويع  
 حتى وضعت يمينى ما نازعه  
 فى كف ذى نعمات قبله القيل  
 فلهو أخوف عندى إذ أكلمه  
 وقيل إنك منسوب<sup>(٣)</sup> ومسئول  
 من ضيغم<sup>(٤)</sup> بضراء الأرض مخدرة  
 فى بطن عثر عيل دوسه غيل

---

(١) هذا البيت من تمة الاستعصاف والتلطّف فى القول . فلا وإن كانت باهية بحسب وضعها . لكن المراد منها التصريح والدليل ، والمعنى لا تسمح دوى بسبب أقول الوشاة الساعين يسي ويبت بالإنفساد والكذب والبهتان .

(٢) لقد أقوم معناه . والله قد أقوم مقاما ، فهو حبيب منقسم عذوف . ويروى : أنى أقوم مقاما ، والأولى أنبع للقسمة وإتقانها مجلس لى . والمراد بالقيام فيه حصوره والمعنى على المعنى أى لقد حصرت مجلس

(٣) منسوب أى إلى أمور صدرت منك مسئول أى عن سببها

(٤) ضيغم . أسد . ضراء الأرض لأرض التى فيها شجر ضدر عانة الأسد

عثر . اسم مكان مشهور بكثرة السباع عيل شجر كثير شفع

( فتح مكة )

يغدو<sup>(١)</sup> ويلحم ضرعامين عيشهما  
لحم من الناس قعمور خراذيل  
إذا يساور<sup>(٢)</sup> قرنا لا يحل له  
أن يترك القرد إلا وهو مفلول  
منه تظل سباع الجو<sup>(٣)</sup> نافرة  
ولا تمشي بوادييه الأراجيل  
ولا يزال بوادييه أخو ثقة<sup>(٤)</sup>  
مُصرج البز والدرسان مأكول  
إن الرسول لنور يُستضاء به  
مُهتد من سيوف الله مسلول  
في عصابة<sup>(٥)</sup> من قريش قال قائلهم  
يطن مكة لما أسلموا زولوا  
رأوا فما زال أنكاس<sup>(٦)</sup> ولا كُشف  
عند البقاء ولا ميل معازيل

- 
- (١) يلحم : يطعمها اللحم الصرعام : الأسد ويريد بالصرعامين شبيهه .  
قعمور : منقى في القفر ، وهو التراب . خراذيل : قطع صغار .  
(٢) يساور : يواظب . القرد : الخقوم في شجاعه . المعنور : المكسور المهروم  
(٣) نافرة : بعيدة . الأراجيل : الجماعات من الرجال .  
(٤) مصرح : محصب بالدماء البز السلاح . الدرسان : أخلاق شيا .  
(٥) رولو : تحولوا وانتقلوا من مكة إلى المدينة .  
(٦) الأنكاس : جمع بكس وهو الرجل لصعيف لكشف جمع أكشف ، وهو  
الذى لا ترس معه أحل جمع أميل وهو الذى لا سيف له المعازيل الذين لا  
سلاح معهم .

شَمْ<sup>(١)</sup> العرائين أبطال لبوسهم  
 من كسج داود في الهيجا سرايل  
 بيض<sup>(٢)</sup> سوايع قد شُكَّت لها خلق  
 كأنها خلق القفعاء مجدول  
 ليسوا مفاريج<sup>(٣)</sup> إن نالت رماحهم  
 قوما وليسوا مجاريعا إذا نيلوا  
 يمشون مشى الجمال الزهر<sup>(٤)</sup> يعصمهم  
 صرب إذا عسرد السود التنايل  
 لا يقع الطمس<sup>(٥)</sup> إلا في غورهم  
 وما لهم عن حياض الموت تهليل  
 ولما أنشده :

إن الرسول لنور يُستضاء به  
 مُهَّد من سيوف الله مسلول

(١) شَمْ : جمع أشم . وهو الذي في قصة أنفه علو . مع استواء أعلاه . لعرايين :  
 جمع عربين ، وهو الأنف . اللبوس : ما يلبس من السلاح . كسج داود : أي مسوجه  
 وهو الدروع . الهيجا : الحرب . السرايل : جمع سريان . وهو القميص أو الدرع .  
 (٢) السوايع : الطوال السوايل . شُكَّت : أدهن بعضها في بعض . القفعاء :  
 ضرب من الحسك . مجدول : محكم الصنعة .

(٣) مفاريج . كثيرو المرح . نالوا : أصابوا . مجاريع : كثيرو الخرع .  
 (٤) الزهر الأبيض يعصمهم يحمهم . عرد : فر . التنايل . جمع نبال ، وهو  
 القصير .

(٥) وقوع الطمس في غورهم : دليل على أنهم لا يهرمون حتى يقع الطمس في  
 ظهورهم . حياض الموت : موارد الختف . تهليل : تآخر .

ألقى عليه بردة كانت عليه . ولما قال كعب ، « إذا عرّدت السرد التنايل »  
قال الأنصار :

— إنما يريدنا معشر الأنصار لما كان صاحبنا صعب به ما صعب  
وأحسن رسول الله ﷺ — أن كعبا حص المهاجرين من قريش من  
أصحابه بمدحته ، وأن الأنصار عصت عليه فقال له .  
— لولا ذكرت الأنصار بخير فإنهم لذلك أهل .

فقال يمدح الأنصار :

من سره كرم الحياة فلا يزل  
في مقب مسر صالحى الأنصار<sup>(١)</sup>  
ورثوا المكارم كاسرا عن كاسر  
إن أخیار هم بنو الأخیار  
المكرهين السّمهرى بأذرع  
كسوالف اهدى غير قصار<sup>(٢)</sup>  
والناظرين بأعين محصرة  
كالخمر غير كيلة<sup>(٣)</sup> الأنصار  
والباثعين نفوسهم لسيوفهم  
للموت يوم تعاقب وكرار

(١) انقلب الجماعة من الخيل .

(٢) السّمهرى : الرمح . سوالف اهدى : حواشي السيوف .

(٣) كيلة : صعيمة .

والفائدين الناس عن أديانهم  
 بالمشرف<sup>(١)</sup> وبالقسا الخطار  
 يتطهرون يرونه نسكاً هم  
 بدماء من عقوا من الكفار  
 دربووا كما دربت بيطن حفية  
 علب الرقاب من الأسود ضواري  
 وإذا حلت ليمسوك إليهم  
 أصبحت عد معاقل الأعفار  
 ضربوا علياً<sup>(٢)</sup> يوم بدر صريرة  
 دانت لوقعتها جميع سرار  
 لا يعلم الأقوام على كُله  
 فيهم لصدقى الدين أمارى<sup>(٣)</sup>  
 قوم إذا خوت<sup>(٤)</sup> الحوم فإهم  
 لطارقين السارلين مقارى<sup>(٥)</sup>  
 في العر من غسان من جرثومة<sup>(٦)</sup>  
 أعيت محارها على المقار

---

(١) الأعفار : جمع عمرو وهو ولد البوعلى . ويصرب مثل سمع ولاد البوعلى .  
 على الحال

(٢) علياً : يريد على بن مسعود بن حرب العسافى

(٣) أمارى : أحماد

(٤) خوت : حصص ونصب

(٥) مقارى : مكرمين  
 (٦) جرثومة : لأصل

استقبل رسول الله ﷺ — الصباح فأخذ يدعو :

— أصبحنا وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والحلال والحلق والأمر  
والليل والنهار وما يسكن فيها لله عز وجل وحده لا شريك له .

اللهم اجعل أول يومي هذا صلاحاً وأوسطه فلاحاً وآخره نجاحاً . اللهم  
إني أسألك خير الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين . اللهم اقسم لنا من خشيتك  
ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتنا ما تبعدنا به رحمتك ، ومن اليقين  
ما تهون به علينا مصيبات الدنيا . اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا واجعله  
الوارث منا ، وانصرنا على من ظلمنا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل  
الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا .

وخرج رسول الله ﷺ — إلى أصحابه مشرح الصدر فرأى صهيياً  
يأكل رطباً وكان بإحدى عيبيه رمد ، فقال له الرسول عليه السلام مداعباً :  
— أتناكل الرطب وفي عيينك رمد .

فقال صهيبي :

— وأى بأس ! إني آكله بعيني الأخرى .

ولقى — صلوات الله وسلامه عليه — معاذ بن جبل . فقال له :

— كيف أصبحت ؟

— أصبحت مؤمناً حقاً يا رسول الله .

— إن لكل حق حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟

— ما أصبحت صباحاً قط إلا ظننت أني لا أمسي ، ولا أمسيت مساءً إلا ظننت أنني لا أصبح ، ولا خطوت خطوة إلا ظننت أني لا أتبعها غيرها ، وكأني أنظر إلى كل أمة جانية يدعى إلى كتابها ، وكأني أرى أهل أمة يعمون وأهل النار في النار يعذبون .  
— عرفت فالزم .

كان معاذ شديد الأدمة<sup>(١)</sup> ، حلو المنطق وصيء ، يهبل العلم من رسول الله ﷺ . إذا تكلم كأنما يخرج من فمه نور ولؤلؤ ، تعمق في العقدة حتى إن رسول الله ﷺ — قال عنه :

— أعلم أمتي بالحلل والحرام معاذ بن جبل .  
ودنا أبو در من رسول الله ﷺ — يهبل من علمه ، فقال عليه السلام :

— يا أبا در كيف أنت إذا أدركت أمراء يستأثرون بالقيء ؟  
— إداً والدي بعثك بالحق لأضربن بسمي .  
— أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ اصبر حتى تلقاني .  
واستأثر معاوية بالقيء وراح أبو در يقود ثورة تنادي بتوزيع المال على المسلمين كافة ، ثورة عارمة لم يمتشق فيها سلاح امتثالاً لوصية بيه بأن يصبر حتى ينقاه .  
وأتى إلى رسول الله ﷺ — صوات الله وسلامه عليه — رجل من الأنصار يسأله ، فقال :

— أما في بيتك شيء ؟

(١) الأدمة : لون مشرب سواداً .

— بلى ، جلس<sup>(١)</sup> نلبس بعضه وبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه الماء .

— ائتنى بهما .

فأتاه بهما فأخذهما — ﷺ — بيده وقال :

— من يشتري هذين ؟

قال رجل :

— أنا أحدهما بدرهم .

قال رسول الله — ﷺ — :

— من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثا ؟

قال رجل :

— أنا أحدهما بدرهمين .

فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأعمى وقال :

— اشتر يا أحدهما طعاما فابذله إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوما فأنتى به .

فأتاه به فشده فيه رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه — عودا بيده

وقال :

— اذهب فاحتطب وبع . هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة<sup>(١)</sup> في

وجهك يوم القيامة .

وجاء أبو الدرداء إلى حبيبه الرسول وراح يروى له ما كان يسمعه ويبين سلمان

الفارسي في أمسه ، وكانا ممن آخى بينهما — صلوات الله وسلامه عليه . قال

أبو الدرداء :

(١) المجلس : فراش يبسط في البيت أو يوضع على الرجل ، وكان العرب يتحتمون به

أحيانا .

(٢) نكتة : وصمة .



— دخل سلمان بيتي فوجد امرأتى أهملت نفسها فقارها : « ما شأنك ؟ » قالت : « أحوك أبو الدرداء لس له حاجة في الدنيا » ، فجاءني فصنع لي طعاما : فقال : « كل » . فقت : « في صائم » . قال : « ما أنا بأكل حتى تأكل » . فأكلت . فلما كان الليل ذهبت أقوم قال : « سم » . فممت . ثم ذهبت أقوم قال : « نم » . فلما كان آخر الليل قال : « قم الآن » . فصلينا فقال : « إن لربك عليك حقا ، ولنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فأعط كل ذي حق حقه » .

فقال رسول الله ﷺ :

— صدق سلمان .

وراح حسان بن ثابت يشد رسول الله ﷺ — شعره والرسول عليه السلام يحس استماعه ولا يشتغل عنه بشيء ، وعمرو بن العاص وأبو سفيان بن حرب ومن كانوا يبارلونه تألستهم من شعراء قريش قبل أن يشرح الله قلوبهم للإسلام يصعرون إليه ويتمسون في قرارة أنفسهم لو أنهم كانوا المنافحين عن دين الله مذأول يوم وقع فيه محمد عليه السلام على الصف يدعوا قومه إلى الإسلام .

كان عمرو بن العاص مطرقالا يرفع عييه إلى رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه — هبة وحجلا لما كان في سالف الزمان ، وكان ابن عمه أبو سفيان بن الحارث يكثر من إيشاد الشعر في مدح رسول الله عليه السلام لعله يكفر عما كان من هجوه ويرجو من كل قبله لو أن ما قاله من قدح تمحوه يد النسيان » .

وكان أبو بكر وعمر وعثمان وعند الرحمن بن عوف في مكن الصق ، إهم من تحار قريش وإهم ليعرفوا كيف يكتسون الأموال ولم يكن نذهب

والفضة غرضهم بل كانوا على يقين أن دعوة الله في حاجة إلى إنفاق وأن إخوانهم الفقراء في حاجة إلى ما يمسك لرمق<sup>(١)</sup> ، فكانوا ينفقون ما يربحون في سبيل الله وتصدقون على المساكين ثم ينامون على الصلوى ، يعيشون على خبر الشعير أو التمر فقد كان لهم في رسول الله أسوة حسنة ، وإن الرسول عليه السلام قد علمهم حقيقة الزهد لما قال :

— ليست الرهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا إصاعة المال ، ولكن الرهادة أن تكون بما في يد الله تعالى أوثق منك بما في يدك ، وأن تكون في ثواب المصصة إذا أصبت بها أرعب منك فيها لو أنها بقيت لك ، لأن الله تعالى يقول :

« لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم »<sup>(٢)</sup> .

وقام رسول الله عليه السلام ليذهب لزيارة إبراهيم الحبيب فركب حمارة ، وقبل أن يطلق رأى عبد الله بن عباس فأردفه حلقة وسار إلى العالية ، وأخذ يرجي نصائحه إلى ابن العباس قال :

— يا علام احفظ الله يحفظك . احفظ الله تحده تحاهدك . تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة . إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله . فإن العباد لو اجتمعوا على أن يمهوك بشيء لم يمهوك إلا بشيء كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يصروك بشيء لم يصروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك . حفت الأقلام وطويت الصحف . فإن استطعت أن تعمل لله بارصا في اليقين فافعل ، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا . واعلم أن الحر مع الحر ، أن الفرح مع الكرب ، أن مع العسر يسرا . ولين يعسر عسر يسرا<sup>(٣)</sup> .

ودخل رسول الله ﷺ — مشربة أم إبراهيم فألقى إبراهيم عندها وهي تناجيه في فرح ، فقد جاءت به مرضعته أم سيف لبعضى سبحانه نهاره عند مارية ، فأحس الرسول عليه السلام رقة وحنانا فذهب إلى إبراهيم وحمله في حب وأحد يقبله والرحمة تتدفق من كوز قلبه الكبير . وداعب عبد الله بن عباس إبراهيم ، وراح الوقت يمر ورسول الله ﷺ — صدوات الله وسلامه عليه — يستشعر سعادة تبدد ما ألفه من حزن .

وعاد رسول الله ﷺ — إلى مسجده ، به لا يملك يذكر الله ويدعوه ويستعمره .

— رب اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري كله وما أنت أعلم به —  
مسي .

اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي وجهلي وهولي وكل ذلك عندي .  
اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت . أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير .

وقصيت صلاة العشاء وذهب الناس إلى دورهم . ودخل رسول الله ﷺ — حباءه وراح يصلي في خشوع حتى إذا ما تعبت قدماءه أحد يباحي ربه ويتضرع إليه :

— اللهم لك الحمد ، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد . أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد . أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد . أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك الحق وقولك الحق . وأخية حق والدار حق واليوم حق ومحمد حق وسأعه حق . اللهم لك أسلمت ولك آمنت ، وعليك توكلت وإليك أنسيت ، وبك حسمت وإليك حاكمت . فاعفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت . أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله .

كان الحارث بن أبي الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق ، وكان يرى  
 بروج نجم الإسلام فيحس كمدًا فاشتداد ساعد الدين الجديد يهدد آلهة القوم  
 ويسفه معتقدات الآباء ويسر باصواء القائل الحرية التي تعيش بلا قيود تحت لواء  
 يثرب ، وخاف الحارث على رعايته فجمع بني المصطلق لحرب رسول الله —  
 ﷺ ، فلما سمع رسول الله — ﷺ — بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء  
 لهم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل .

وتزاحف الناس ، المسلمون يقاتنون لإعلاء كلمة الله ، وسو المصطلق  
 يندفعون عن محمّد الأرض وعصية القبيلة وإن كانوا يخدعون أنفسهم ويوهومها  
 أنهم إنما يقاتلون لتكون كلمة مائة هي العليا وليستمر سلطان بات الله على  
 الأرض

وهرم الله بنى المصطلق وقتل من قتل منهم ، ونقل الله رسول الله —  
 ﷺ — أباءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءهم عليه ، فلما قسم رسول الله —  
 ﷺ — سباياهم وقعت حويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن  
 الشماس فكاتبه عن نفسها وكانت امرأة حلوة ملاحه لا يراها أحد إلا  
 أخذت بنفسه ، فأنت رسول الله — ﷺ — تستعيه في كتابتها ، فوالله ما  
 هو إلا أن رأتها عائشة على باب حجرتها فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها —  
 ﷺ — ما رأته ، فحدثت عليه فقالت :

— يا رسول الله أنا حويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه ، وقد

أصاى من ابلاء ما لم يخف عليك فووقت فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس فكاتبته على نفسى ، فحقتك أستعيتك على كتابتى .

إها كانت بنت سيد بنى المصطلق وقد أصاب منهم سببا كثيرا ، وكان عبه السلام يبدل كل جهد لملك الرقاب وتحرير العبيد . إنه لو تزوج جويرة فسيطلق المسلمون ما فى أيديهم من سبايا إكراما لها ، فقال لجويرة .

— مهل لك فى خير من ذلك ؟

— وما هو يا رسول الله ؟

— أقضى عنك كتابتك وأتزوجك .

— نعم يا رسول الله .

— قد فعلت .

وخرج الخبر إلى ناس أن رسول الله — ﷺ — تزوج جويرة بنت الحارث بن أبى صرار فقال الناس :

— أصهار رسول الله — ﷺ — .

وأرسلوا ما بأيديهم فأعتق بتروجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، وانشرح صدر رسول الله — ﷺ — فقد تحررت رقاب رجال ونساء وولدان ، وإن أحب شيء إليه كان عتق الأرقاء فما بالك بأحرار عادت إليهم حريتهم بعد أن كادوا فى ذل ارق يرسفون ؟ وتهللت جويرة بالفرح فما كانت امرأة أعظم على قومها بركة مها .

وما انصرف رسول الله — ﷺ — من غزوة بنى المصطلق ومعه جويرة بنت الحارث وكان بذات جيش ، دفع جويرة بن رجل من الأنصار وديعة : أمره بالاحتفاظ بها .

وقدم رسول الله — ﷺ — المدينة فقل الحارث بن أبى صرار بعداء سه .

فما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاءها للعداء فرعب في بعيرين منها فغيبهما في شعب من شعاب العقيق . ثم أتى إلى السبي — ﷺ — وقال :  
— يا محمد أصبتم ابتني وهذا فداؤهما .  
فقال رسول الله — ﷺ — :

— فأين البعيران اللذان عيبتهما بالعقيق ؟

فما الحارث إلى رسول الله — ﷺ — روة كنهادهش ، وأحس كأن أنوارا تعمر قلبه وانشرح صدره للإسلام فقال :  
— أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله ، فوالله ما أطلع على ذلك إلا الله .

فأسلم الحارث وأسلم معه إيمان له وبأس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين فحذاء بهما فدهع الإبل إلى السبي . وما كان لنسي — صلوات الله وسلامه عليه — في حاجة إلى الإبل وهو الذي يرد على الفقراء كل ما يقىء الله عليه ، إنه يصع تسعين ألف درهم على حصر أمامه فيفقهها كلها ثم يمر هلال ثم هلال ولا يوقد في بيت من بيوته نار . إنه يعيش على الأسودين الماء والتمر .

وأصبحت جويرة بنت الحارث أما للمؤمنين وهو شرف تنبيه به سوء المصطلق على القائل ، ودخل الحارث من أبي صرار في الإسلام وأصبح متراحا في الله معجبا بفصاحة رسول الله — ﷺ — ، إنه يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من يحسن إليه ، وإنه يتحدث حديثا لو عدّه العاد لأحصاه .

وكان إعجاب الحارث بفصاحة رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه — لا يقل عن إعجاب أبي بكر لصديق رفيق صباه وأول من آمن به من الرجال وثاني اثنين إدهما في العار ، فقد قال به أبو بكر ذات يوم :

— لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك . فمن

أدبك ؟

— أذهبني ربي فأحسن تأديبي .

وظل الحارث يفتى سمعه إلى نصائح الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — فلا يزيده ذلك إلا إيمانا وسليما :

— اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالف الناس بخلق حسن .

شر ما في الرجل شح هالغ ، وحس حائع . اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة . واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم .

كان الحارث سعيدا بقربه من النبي عليه السلام ، إنه ليروى طمأنا إلى المعرفة من سبب الرسول الصاق الرقراق . وقد سمعه يوما يحطب :

— إن الدنيا حصرة حلوة ، وإن الله مستخلفكم فيها فاحضروا كسفا تعمسون ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء . ألا لا يجمع رجلا هبة الناس أن يقول بخي إذا علمه . ألا إنه ينصب لكل عادر لواء يوم القيامة بقدر عدرته ، ولا عذرة أعظم من عذرة إمام عاق . ألا وإن العصب جمرة في قلب ابن آدم ، أما رأيتم حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه ؟ فمن أحسن بشيء من ذلك فببصن بالأرض .

كان حديثه حكمة وكان الحارث يتنسى أن يبقى ما بقى من دهره إلى حواره . ولكنه كان سيد قومه وإنه ليريد لهم الهداية والرشد . إن رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه — دعاه إلى الإسلام فدخل في الإسلام وأقر ، ودعاه إلى الركة فأقر بها فقال :

— يا رسول الله أرجع إلى قومي فدعهم إلى إسلام وأداء لركة ، فمن

استجابني جمعت زكاته .

واتفق مع رسول الله ﷺ — على ميعة يبعث فيه رسوله ليقبض ركاة  
بني المصطلق . ومرت الأيام وجمع الحارث بن أبي صرار الركاة من قومه .  
ووافق الموعد الذي حدده مع رسول الله ﷺ — صلوات الله وسلامه عليه —  
ليبعث رسوله ليأخذ صدقات قومه ولكن الرسول احتسب عليه فدم يأت .  
فطن الحارث أن قد حدث فيه سحطة من الله ورسوله . فدعا سروات قومه  
فقال لهم :

— إن رسول الله ﷺ — قد كان وقت لي وقتا ليرسل إلي ليقبض ما  
كان عندي من الركاة ، وليس من رسول الله ﷺ — حيف ، ولا أرى  
حسب رسوبه إلا سحطة فانطقوا بما في رسول الله ﷺ :

وبعث رسول الله ﷺ — لوليد بن عفة إلى الحارث ليقبض ما كان  
عنده مما جمع من الركاة ، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق تذكر أن  
بيته وبين بني المصطلق عداوة في جاهلية ، وراح الشيطان يوسوس له أنهم  
قاتلوه فهاهم مرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ — فقال :

— يا رسول الله ﷺ — الحارث معي الركاة وأراد قتلي  
فعصب رسول الله ﷺ — وبعث رجلا من المسلمين لقتل بني  
المصطلق . وأقبل الحارث بأصحابه فاستقبل البعث وقد فصل من المدينة  
فلقبهم الحارث فقالوا :

— هذا الحارث .

فلما لقبهم قال لهم :

— إلى من بعثتم ؟

— إليكم .



فطهر الدهش في وجهه وقال :

— ولم ؟

— إن رسول الله ﷺ — كان بعث إليك الوليد بن عتبة ، ورجع إليه فزعم أنك منعت الزكاة وأردت قتله .

— والدى بعث محمد باحق ما رأيت ولا أتاني

فَمَا أَنْ دَخَلَ الْحَارِثُ عَمْرًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ — قَالَ فِي عَصَب

— منعت الزكاة وأردت قتل رسولي ؟

فقار الحارث في صدق :

— لا والدى بعثك ما رأيت رسولك ولا أتى ولا أقبلت إلا حين احسن

على رسولك خشية أن يكون سخط من الله ورسوله

فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنُصِيصٍ أَنْ تَتَّبِعُوهُمَا بِحَالَةٍ فَتُصَحِّحُوا عَلَى مَا فَتَحَ بَابُكُمْ . وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ نُوِّطَ بِطَاعَتِكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنَ اللَّهُ حَيْبَ إِلَيْكُمْ . إِيْمَانٌ وَرَبِّهِ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَتُفْسِقُ الْعَصِيانُ أَوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ . فَصَلَا مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ (١) .

كان عروة بن مسعود سيد ثقيف ، وكان أمية بن أبي الصلت شاعرهم . وقد تنصر أمية قبل أن يوحى إلى رسول الله ﷺ — وقرأ التوراة والإنجيل وألقى سمعه إلى الرهبان الذين كان يمر بهم كلما حرج إلى الشام في تجارة قريش . فقد كانت ثقيف حلقة قريش ، ولا عرو فأمر عروة بن مسعود سبعة بست عبد شمس ، وأم أمية بن أبي الصلت رقية بنت عبد شمس وسمع أمية من الأحبار والرهبان أن نيا قد أظلم زمانه فكان يحدث عروة وساء ثقيف أنه ذلك السى الذي بشرت به الأنبياء .

واصطفى الله محمدا ليكون رسوله الأمين ، فمما دعا قومه إلى الإسلام هشت العيرة أفدة سادات قريش وقالوا : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم »<sup>(١)</sup> . كابوا يرون وقد مشوا حسدا أن عتبة بن ربيعة أو عروة بن مسعود أحق بأنرسالة من فقير قريش وإن كان أميا وإن كان على خلق عصم .

ودخل أمية بن أبي الصلت ما يدخل الناس من البصرة وبقي عروة بن مسعود على دين قومه ، واصطهدت قريش اسميين وعديوهم ليقنوههم عن دينهم وكسر المسلمين صمدوا للاصطهاد ، وأراد الله أن يظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون ففتح بأقرآن قلوب الأصهار فهاجر المسمون إلى

إخوان لهم في الدين ، وكانت عروة بدر وقتل رجل من الفريسيين عظيم ، وبقي عروة بن مسعود يرصد بروع نجم محمد — صلوات الله وسلامه عليه — وهو يتأرجح بين الشك واليقين ، ومال إلى التكذيب لما رأى أن زعامته لثقيف ستترعرع لو أنه اتبع النور الذي أشرق في يثرب .

وكان أمية بن أبي الصلت قد حرح إلى الشام وعكف على قراءة الأسفار ، فإذ بصوت صميره يقول في إصرار كلما فكر في محمد بن عبد الله : « إن صفته هي » فشد أنرحال إلى المدينة ليشهد شهادة الحق فعلم أن رسول الله هناك في بدر . فامتطى راحلته حتى برل بدرا ثم ترجل يريد رسول الله — ﷺ — فقال قائل :

— يا أبا الصلت ما تريد ؟

— أريد محمدا .

— وما تصنع ؟

— أؤمسه به وألقى إليه مقاليد هذا الأمر .

— أتدري من في القلب ؟

— لا .

— فيه عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة

وكانا ابني حنيفة ، فجدع أدنى ناقته وقطع دبرها ثم وقف على القليب يرنى من فيه ، ثم رجع إلى مكة والطائف ومالئ أن مات هم يشاء الله له الهداية ولحق بابي حنيفة عتبة بن ربيعة وبقي على قيد الحياة عروة بن مسعود لتكون مشيئة الله فيه .

ومرت الأحداث وحرّح رسول الله — ﷺ — واندس معه إلى الحديبية معتمرا لا يريد حربا ، وبعثت قريش الرسل إلى نبي الإسلام عليه السلام .

فلما عاد الرسل عما لا يحبون أعلظوا لهم القول . ثم أرادوا أن يبعثوا إلى رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه — عروة بن مسعود فقال :

— يا معشر قريش إني قد رأيت ما يلقي منكم من بعثتموه إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أكنم والدواؤى ولد . وقد سمعت بالدى ناكم فجمعت من أطاعنى من قومى ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسى . — صدقت ما أنت عبدنا عنهم .

فخرج حتى أتى رسول الله — صلوات الله عليه — فجلس بين يديه ثم حدثه وهو مهوّر بما يرى ، لا يتوصاً إلا ابتدروا وصوءه ، ولا يسقط من شعره شىء إلا أخذوه . فرجع إلى قريش فقال :

— يا معشر قريش إني قد جئت كسرى فى مكة وقىصر فى مكة والجائنى فى ملكه ، وإنى والله ما رأيت منكاً فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه ، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشىء أبداً

وحقر ما رآه عروة من أصحاب رسول الله من تسجيل لرسول العظيم فى ذاكرته ؛ إبه يدكر ما كان من أصحابه عند الحديدية فيمكر فى ذلك الأمر ائدى جاءهم به فألف بين قلوبهم وبث فيهم روجاً جديدة لكأنا قد خلقوا من حديد ٩

ولم يشهد عروة بن مسعود حيباً ولا حصار الطائف ، كان بمدينة جُرش يتعلم صفة الديانات والمخاييق فقد كانت أحدث وسائل القتال ، وكان سيد ثقيب يريد ألا يموتة من من هون الحصار وذلك الحصون .

وانصرف رسول الله — صلوات الله عليه — عن ثقيب وقد قتل بعض أصحابه عند حصونها . فلما عاد عروة بن مسعود وسمع مما كان من قتال بين المسلمين وبين ثقيب أحس بدماء فلو كان بالصفائف لأعلن سلامه ولكفى لله مؤميين اقتل

فقد اشرح صدره للإسلام وبرل فؤاده أنوار اليقين .

ولم يشأ عروة بن مسعود أن يستريح بل راح يعد السير ليدرك رسول الله ﷺ — قبل أن يصل إلى المدينة ، فراح يسرى في معبد الله يرى في شروق الشمس وغروبها وبروع القمر وتألق النجوم آيات قد عميت عنها بصيرته من قبل ، وكان القرآن المحيد قد فتح قلبه فإذا بصوت رفيق يرتل في أعماق نفسه . « أفلا يظرون إلى الإبل كيف حلفت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الخيال كيف نصت . وإلى الأرض كيف سطحت » فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم معصيط . لا من تولى وكفر . فيعذبه الله العذاب الأكبر . إنا إلينا إياهم . ثم إن علينا حسابهم <sup>(١)</sup> فأحس بدموع تطهر إلى مآقيه ثم تسيل لتبيل لحيته .

وذكر عروة بن مسعود رسول الله ﷺ — قبل أن يصل إلى المدينة فأعلن إسلامه وهو متفرج في الله . كل ما حواه يتفلس بذكر الله ، فحفيف الشجر تسبيح ، وهبوب السيم ابتهالات . وشروق الشمس صلاة . به أصبح يستشعر أن الله يسرى فيه مسرى الدم ، وأنه تختلئ بفرح قدس وهو إلى حوار رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه .

وشارك عروة بن مسعود المسلمين عظة نصلاة حبيب رسول الله — ﷺ — ولإصغاء إليه والهلل من سع علمه وصحته التي ملأت فؤاده بالأنوار . ووجد عروة أن عليه أن يدعو قومه إلى الإسلام فسأ رسول الله ﷺ — أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله ﷺ — وقد عرف فيهم نخوة الامتاع :

— إنهم فأتلوك .

— يا رسول الله . أنا أحب إليهم من أبصارهم .

فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء ألا يخالفوه لمركته فيهم ، فلما أشرف على عتبة له وقد دعاهم إلى الإسلام وأطهر لهم دينه رموه بالحيل من كل وجه فأصابه سهم ، فحمن وهو يحود بأنفاسه الطاهرة فقيل له :

— ما ترى في دمك ؟

— كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها لله إني ، فليس في إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله — ﷺ — قبل أن يرذل عكم ، فادفوني معهم

واسشهد رجل من القريتين عصي

كان الهدوء يرفرف على المدينة ومكة بعد أن ساد الإسلام والسلام ، وعرفت تجارة قريش طريقها إلى الشام في اطمئنان ، وكان بين الوقت والآخر تخرج من المدينة سرية لتأديب من يكيّدون للإسلام من اقباطل المحاورة أو هدم صنم من الأصنام ليعبد الله وحده في أرض العرب .

لما قُتل وقاص بن محرز المدلحي يوم ذي قرد سأل علقمة بن مجرر رسول الله - ﷺ - أن يعثه في آثار القوم ليدرك ثاره فيهم ، فبعث رسول الله - ﷺ - علقمة وبعض المسلمين ليأثروا لوقاص ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق أدن لطائفة من الحيش واستعمل عليهم عبد الله بن حذافة السهمي ، وكان من أصحاب رسول الله - ﷺ - وكانت فيه دعاية ، فلما كان ببعض الطريق أوقد ناراً ثم قال للقوم :

— أليس لي عليكم السمع والطاعة ؟

— بلى .

— أفما أنا آمركم بشيء إلا فعثموه ؟

— نعم .

— فإني أعزم عليكم بحقي وطاعتي إلا توائمت في هذه النار

فقام بعض القوم يحتجر حتى طس بهم والنار فيها ، فقال لهم

— اجلسوا فإنما كتب أصحابكم معكم .

فذكر ذلك لرسول الله - ﷺ - بعد أن قدموا عليه ، فقال - ﷺ -

— من أمركم معصية منهم فلا تطيعوه .

وبعث رسول الله ﷺ — على بن أبى طالب فى خمسين ومائة من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرسا هدم صم طيء ، فحرج على كرم الله وجهه ومعه راية سوداء ولواء أبيض . وفى عمارة الصبح شن المسلمون العارة على طيء فهزموا الفرس وأحرقوه واستاقوا النعم والشاة والسبي . وكان فى السبي سقانة بنت حاتم الطائى وأخت عدى بن حاتم ، ووجدوا فى خزانة الصم ثلاثة أسياف معروفة عند العرب وهى رسوب والمخدم واليماني ، وثلاثة أدرع . وجعل على بن أبى طالب ارسوب والمخدم صفيا لرسول الله ﷺ — ثم صار إليه الثالث الذى هو اليماني . وعاد على بالنعم والشاة والسبي المدينة ، وجاء السبي — بطر فمر سقانة بنت حاتم فقامت إليه وكانت امرأة ذات وقار وعقل فقالت له — ﷺ :

— يا محمد أريت أن تحبى عما ولا تشمت بها أحياء العرب وفى ابنة سيد قومي ، وإن أبى كان يحبى الدمار ويفك العاني ويشيع الخائف ويكسو العاري ويرى الصيف ويطعم ويمشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط ، أما ابنة حاتم طيء .

فقال لها النبي ﷺ :

— يا حاربة هذه صفات المؤمنين حقا . لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه .  
 نحو عنها وإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق  
 وأسلمت سقانة وأرادت أن تعود إلى بلادها ، فقال لها رسول الله ﷺ —

— لا تعصى حتى يحبى من قومك من يكون لك ثقة يبعث إلى بلادك فأديسى .



فصرت حتى قدم عليها من ثقي به ، فجاءت رسول الله ﷺ — فقالت :

— قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة .

فكساها رسول الله ﷺ — وحبها وأعطاهها نفقة ، فخرجت وهي معتبطة لأن الله قد هدّها إلى الإسلام . ولم تعد إلى طييء بل انطلقت إلى الشام لتلقى أباها عدى بن حاتم الذي مر إلى هناك ما رأى جيش المسلمين . إنها تحب عدى وإنها تحب له الهداية والرشاد .

كان عدى بن حاتم رجلا شريفا في قومه يأخذ ربع العيمة كما هو عادة العرب في الجاهلية . فلما سمع برسول الله ﷺ — كرهه . ما من رجل من العرب كان أشد كراهة لرسول الله ﷺ — حين سمع به منه ، فقال لعلام كان راعيا لإبله .

— لا أبالك أعرب من إبلي أجمالا دلتا سمدا فاحتسها قريبا مسي ، فإذا سمعت بجيش محمد قد وطىء هذه البلاد فأدى ففعل ، ثم إنه أتاه ذات يوم فقال :

— يا عدى ما كنت صابعا إذا عشتك محمد فاصعه الآن ، فإن قد رأيت رايات سألت عنها قالوا : هذه جيوش محمد . قال له :

— قرب لي جمالي .

فقرها فاحتمل أهله وولده والتحق بأهل ديه من النصاري في الشام وترك سماعة أخته لتقع أسيرة في أيدي المسلمين . وإنه لقاعد في أهله إذ نظر إلى امرأة تؤمهم فقال :

— أبة حاتم ؟!

فيذا هي ، فلما وقعت عيناها عليه قالت :  
 — القاطع الطالم . احتملت بأهلك ووندك وبركت بقية والسديك  
 وعورتك .

— أي أحية لا تقولي إلا حيرا ، فوالله ما لي من عذر  
 ونزلت سمانة عليه وأقامت عنده ، فقال لها وكأب امرأة حارمة .  
 — ماذا تريين في أمر هذا الرجل ؟  
 — أرى والله أن تلحق به سريرا ، فإن يكن نيا فلنسايق إليه فصله ، وإن  
 يكن ملكا فأنت أنت .

ولم تظهر له إسلامها لئلا يعرف من قولها ، كان كل ما تبعه أن يطبق عدى  
 إلى رسول الله — ﷺ — وكانت على ثقة من أنه ما أن يجلس بين يديه حتى  
 يصدقه .

فخرج عدى حتى جاءه — ﷺ — بالمدية . فدخل عليه فقال عليه  
 السلام :

— من الرجل ؟

— عدى بن حاتم .

فقام رسول الله — ﷺ — وانطلق به إلى بيته ، فوالله إنه لقائده إليه إذ  
 لقيته امرأة كبيرة صعبة فاستوقفته — ﷺ — فوقف لها صويلا تكلمه في  
 حاجتها ، فقال عدى في نفسه :

— ما هو بملث .

ثم مضى رسول الله — ﷺ — حتى إذا دخل بيته تناول وسادة بيده من  
 آدم محشوة ليفا ، فقدمها إليه وقال  
 — اجلس على هذه .

— بل أنت فاجلس عليها .

— بل أنت .

فجلس عدى عليها وحلّس رسول الله عليه السلام بالأرض ، فقال عدى

في نفسه -

— والله ما هذا بأمر ملك .

— يا عدى بن حاتم أسلم تسلم . أسلم تسلم . أسلم تسلم .

— إني على دين .

— أنا أعلم بدينك منك .

— أب أعلم بديني ؟!

— نعم ، أنت من الركونية ؟ أأنت من القوم الذين هم دين ؟

— بلى .

— أم تكن تسير في قومك بامر باع ؟ ( أخذ الربع من النعيمة ) ؟

— بلى .

— فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك .

— أجل والله .

وعرف أنه سي مرسل يعصم ما يُجهل . ثم قال — ﷺ :

— لعنك يا عدى إنما يجمعك من الدحول في هذا الدين ما ترى . تقول إنما

تبعه صيغة الناس ومن لا قوة له ، وقد رمتهم العرب مع حاجتهم ، فوالله

ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، وإنما يجمعك من

الدحول به ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم . تعرف خيرة ؟

— لم أرها وقد سمعت بها .

— هو الذى يصسى بيده ليطمس هذا الأمر حتى تخرج الطعينة ( المرأة ) من  
الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار أحد .  
وألقي عدى بن حاتم سمعه إلى رسول الله — ﷺ — فإذا بأشوار اليقين  
تنزل قلبه وقد شرح الله صدره للإسلام . فلم يقم من عنده حتى شهد أن لا  
إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

كانت المعارك طاحنة بين العرس والروم ، وقد انتهت تلك المعارك بانتصار الروم وعودة هرقل إلى بيت المقدس وإعادة الصليب المقدس إلى كيسة القيامة . وقد جاءت أنباء انتصارات الروم إلى المسلمين يوم انتصارهم في بدر فتهنأوا بالفرح ، فقد تنبأ القرآن المجيد بذلك النصر في وقت كانت فيه هزيمة الروم ساحقة وقد وقف العرس يقرعون أبواب قسطنطينية وهم ينصرونهم مزهزون .

ومرت الأيام وبعث رسول الله ﷺ — دحية الكلبي برسالة إلى هرقل عظيم الروم يدعوهم فيها إلى الإسلام ، فاستقبل هرقل دحية استقبالاً حسناً وقال قولاً سيديداً ، وأرسل معه هدايا لسي الأُمي الذي يجده مكتوباً عنده في التوراة والإنجيل .

وفتح رسول الله ﷺ — مكة ففارت بلاد العرب بالوحدة السياسية لأول مرة في تاريخها مد أقام إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ، وسرى الإلهام الديني في سرائر المسلمين فإذا برعاة الإبل الخامسين أصبحت هم رسالة يتطعمون إلى بشرها في العالمين .

إن رسول الله ﷺ — ليعد أتباعه بمدائن كسرى وقصور الخيرة والشام ، وإن هذه الأنباء تتصل إلى هرقل من أعداء محمد عليه السلام فيستحلف بها في أول الأمر ثم يتناهى قلق كلما اشتد مساعد الإسلام . حتى إذا ما فتح الله على المسلمين مكة ودانت قبائل العرب المحيطة بالمدينة بالولاء للدين

الحديد يذكر هرقل السوءة التي أحرته عقب أن وضع على رأسه تاج الإمبراطورية الرومانية ، فقد نساأ المحمول أن ملكه سيروا على يد شعب محنن ، فما حطر له العرب على قلب في ذلك الوقت فقد كانوا أهون من أن يعكر فيهم ، وحسب أن اليهود هم ذلك الشعب فصب عليهم سوط عذاب . وانلحت لعيبه حقيقة السوءة ، فكل الدلائل تشير إلى أن ذلك الشعب الذي يهدد ملكه هم هؤلاء المؤمنون الذين انصووا تحت لواء محمد ، وإبه ليعرف خطورة الانقاص الروحية التي حققت في قلب حريرة العرب . إنها لو تركت حتى تستقر في سويداء قلوب أتباع الدين الحديد فلي تستطيع دولة أن تقف رافع المؤمنين ، فوطد النفس على أن يسحق هذه البهضة قبل أن يشتد عودها

وبلع رسول الله — ﷺ — أن روم قد جمعت جموعا كثيرة في شاء وأهم قدموا مقدماتهم إلى السقاء فسم يتصر حتى يداخه لروم في مدينة من أمر ساس بخهار على ارفع من شدة الحر وعسرة في ساس وحدث في بلاد ، فلو تفاعس — صبرت الله وسلامه عنه — عن الخروح لصوت جحافل<sup>(١)</sup> الرومان الصحراء ولدهمت السمين في مدينة وقصت عن الإسلام .

وكان رسول الله — ﷺ — قدما يخرج في عروة لا كنى عنها وأحر أنه يريد غير الوحه الذي يقص له ، لا ما كان من هذه العروة فإنه فيها ساس بعد الشقة وشدة ارماء وكثرة العدم يتأهب الناس لذلك أهته وأحبرهم أنه يريد الروم .

(١) جحافل عبيد صالحة

وبعث إلى مكة وفبائل العرب ليسمرهم وحصى أهل العنى على النفقة والحمل في سبيل الله ، فحضر عثمان بن عفان عشرة آلاف ألقى عليها عشرة آلاف دينار غير الإبل والحيل وهى تسعمائة بعير ومائة فرس والراد وما يتعقب بذلك حتى ما تربط به الأسقية . و سر رسول الله ﷺ — ما فعل عثمان فوقف من أول الليل إلى أن طبع الفجر رفعا يديه يدعو لعثمان بن عفان يقول :

— اللهم عثمان رضيت عنه فارص عنه .

وكان أول من جاء بالنفقة أبو بكر الصديق ، جاء بجميع ماله أربعة آلاف درهم ، فقال له رسول الله ﷺ :

— هل أبقيت لأهلك شيئا ؟

— أبقيت هم الله ورسوله .

وجاء عمر بن الخطاب بصف منه ، فقال له رسول الله ﷺ :

— هل أبقيت لأهلك شيئا ؟

— الصف الثاني .

وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائة أوقية فقال الناس :

— عثمان بن عفان وعد الرحمن بن عوف حررتان من حرائن الأرض

يفقان في طاعة الله .

وجاء العباس بن علي وكذا طلحة . وبعثت أساء بكل ما يفسدون عليه

من حنبلهم ، وتصدق عاصم بن عدى بسبعين وسقا من ثمر .

ودات يوم ورسول الله ﷺ — في جهده يعزو الروم قال لخذ بن

قيس أحد بنى سلمة .

— يا جد هل لك في جلاد بنى الأصغر ؟

به عبه السلام يدعوه يعزو حين صابت اثمار والناس يحبون المقام في

نمازهم وصلاتهم ويكرهون الشحوص على الخال من الزمان الذي هم عليه .  
فقال الجدل :

— يا رسول الله أوتأذن لي ولا تفتي ؟ هو الله لقد عرف قومي أنه ما من  
رجل بأشدُّ عُجا بالنساء مني ، وإني أحشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا  
أصبر .

فأعرض عنه رسول الله ﷺ — وراح يدعو الناس للتأهب للخروج  
فإذا بهم لا يفرون حفاها فأُنزل الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ  
لَكُمْ امْكُرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقُمْ إِلَى الْأَرْضِ أُرَضِّبَكُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا  
مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ \* إِلَّا تَصْرَوُا يَعْذِبُكُمُ عَذَابًا أَنَّهُمْ وَيَسْتَبَدِّلُ  
فَوْمًا غيرَكم ولا تَصْرُوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* إِلَّا تَصْرُوهُ فَقَدْ بَصَرَهُ  
اللَّهُ إِذْ أَحْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْرُجْ  
إِنَّ اللَّهَ مَعَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ  
كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ \* امْكُرُوا حَفَاً وَثِقَلًا  
وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ لَكُمْ حَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \*  
لَوْ كَانَ عَرَصًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ  
وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا مَخْرَجًا مَعَكُمْ يَهْجُوكَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْمَهُمْ  
لِكَادِبِينَ \* عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لَمْ آدُبْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ  
الْكَاذِبِينَ \* لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ  
وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ مُتَّقٍ \* إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ هُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ \* وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً  
وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ لِعَثَّتِهِمْ فَغَطَّوهُمْ وَقِيلَ لَكُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْفَاسِقِينَ \* لَوْ حَرَّحُوا فِيكُمْ  
مَا رَادُّوكُمْ إِلَّا حَالًا وَلَا أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْعَوَكُمُ الْعِتَّةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ



والله عليم بالظالمين \* لقد ابتعوا الفضة من قبل وقلوبك الأمور حتى جاء الحق  
وظهر أمر الله وهم كارهون \* ومنهم من يقول ائدنى ولا تعتنى لأى الفضة  
سقطوا وإن جهنم محيط بالكاغرين \* إن تصيبك حسنة تسؤهم وإن تصيبك  
مصيبة يقولوا قد أهدأ أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون \* قل لى يصيبنا إلا  
ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون \* قل هل تربصون بنا إلا  
إحدى الحسنيين ونحز نتربص بكم أن يصيبكم الله بعداب من عنده أو بأيدىنا  
فتربصوا إنا معكم متربصون \* قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل مكم إنكم  
كنتم قوما فاسقين \* وما معهم أن تقبل منهم نفقاتهم ، لا أهم كفروا بالله  
وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون \* فلا  
تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وترهق  
أنفسهم وهم كاهرون \* ويحملون بالله إسم لمكم وما هم مكم ولكنهم قوم  
يقرقون \* لو يحدون ملحا أو معارات أو مدحلا ولوا إليه وهم  
يجمعون ﴿١﴾ .

## التذيل

يعتقد اليهود أن التوراة هي الكتاب المقدس الوحيد . وأنه لم يزل هداية  
الشريعة جمعاء بل لشعب الله المختار . فقد قسموا بني آدم إلى بني إسرائيل  
وأُمم . فبني إسرائيل هم وحدهم الناس ومن عداهم أُمم ، كلاب الشريعة ،  
ولم يعترف اليهود برسالة المسيح عليه السلام ولا برسالة محمد ﷺ ، فالمسيح  
وإن كان يهوديا إلا أنه جاء ليسفه أحلام المتحريين بالدين والمحتكرين ببركة  
وتقويض الهيكل ، لأن اليهود انقلبوا من عبادة الله وحده إلى عبادة الذهب  
لدى كان في الهيكل . ولم يعترفوا برسالة محمد — صلوات الله عليه  
وسلامه — لأنه كان من الأُمم وكانوا يعتقدون أن الله لا يعث رسولا إلا من  
بني إسرائيل . وقد كدسهم الله في هذه الدعوى بقوله سبحانه وتعالى : « هو  
الذي بعث في الأميين رسولا منهم » (١) ووجدوا أنهم لو اعترفوا برسالة  
محمد — ﷺ — فإنهم يسيئون إلى آبائهم الذين لم يعترفوا برسالة السيد  
المسيح وقلوموها أشد المقاومة ؛ لأن نبي الإسلام — صلوات الله وسلامه  
عليه — اعترف بالحمل الصاهر للسيدة مريم العذراء برسالة عيسى بن مريم  
عليه السلام

أما أن الرسالة ونسوة كانت في بني إسرائيل وحدهم فإن  
اقرآن الكريم بدحض هذا الزعم ، ونكسُ ثمة

رسول» (١). وهذا الرعم يرح إبراهيم الخليل من عداد الأبياء ثمسين فقد كان خليل الرحمن من العراق وقد أرسنه الله قبل أن يولد يعقوب (إسرائيل). والقرآن الكريم يسحر من ذلك القول الباطل ويسفهه: «يأهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإصحاح إلا من بعده أفلا تعقبن ها أنته هؤلاء حاححتهم فيما لكم به علم فله تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون، ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين. إدا أولى الناس بإبراهيم للدين اتبعوه وهذا النبي والدين آمنوا والله ولي المؤمنين» (٢).

ونزلت التوراة على موسى عليه السلام، «وقد أتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون» (٣). وبناء على هذه الحقيقة التي تقرها اليهودية والمسيحية وإسلامهم إبراهيم خليل الرحمن «يقرب حرم من التوراة فقد قرب منه عليه صحف كما أنزل على موسى» «إدا هداني صحف لأولى صحف إبراهيم وموسى» (٤). ومير إسحاق ويعقوب (إسرائيل) التوراة، فقد رت على موسى عليه السلام من بعدهم، وإدا فاصت صحف سورة لسي كنت في اسمي بأخبارهما، وقد حدث يهود محمدا — ﷺ — في مدينة فيما أحسن سي إسرائيل من الضعاف وفيما حرم عليه، فعاء تقراب ليقرر مره أخرى أن التوراة قد نزلت بعد إسرائيل وإدا حوون يهود أن يسكروا هذه حقيقة واضحة وصوح الشمس: «كل الضعاف كال حلا سي إسرائيل، لا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تراب سورة قبل فأنه بآية فأنبوا إن كنتم صدقين» (٥).

(١) يونس ٤٧ (٢) البقرة ١٢٥ — ١٢٦

(٣) قصص ٤٣ (٤) البقرة ١٨ — ٩ (٥) البقرة ١٢٥

برلت التوراة على موسى عليه السلام ، فلما طال على سى إسرائيل الأمد  
اعتبروا التوراة كتاب تاريخ يسجل أيامهم وحروبهم وقصص أنبيائهم ،  
فأضافوا إليه أسفاراً وقالوا هذا من عند الله ولما حارب بوحد مصر  
( مختصر ) سى إسرائيل وهمهم شر هزيمة حرق التوراة وحمل اليهود إلى  
بابل ، وهناك أعيدت كتابة التوراة وأضيفت إليها أسفار جديدة . وقد  
ظهرت بوضوح أساطير بابل وآداب مصر الفرعونية في التوراة الجديدة التي  
كتبها أبحار اليهود بأيديهم : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون  
هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم مما  
يكسبون » (١) .

« وإن منهم لفريقاً يبورون ألسنتهم بالكتاب لتحسوه من اكتب وما هو  
من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على لغة  
الكذب وهم يعلمون » (٢) .

كتبت التوراة في المعنى وكان اليهود في بابل مصطفدين ، رجاهم عبيد  
ونسأؤهم إمء ومحصات ، بعوسهم مليئة بالأحقاد على الشرية جمعاء هم يح  
من حقدهم الأسود الرسل والأنبياء ، فركة الآباء للأباء تسرق ، وأنبياء سى  
إسرائيل يتردوون في حماة الردئ يعاقرون الخمر ويرتكبون الفواحش ما ظهر  
منها وما بطن ، ثم يرعمون بعد ذلك أنهم شعب الله المختار ، أنهم وحدهم الناس  
ومن عداهم أئم ليس لهم عليهم حقوق ، سرقتهم حلال . « ومنهم من إن تأمه  
نديار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قبوا ليس علينا في

(١) البقرة ٧٩

(٢) آل عمران ٧٨

الأميين سيل ويقولون على الله الكذب وهم يعمون<sup>(١)</sup> . بل وقتلهم  
 حلال فهو قرين إى إله إسرائيل المتعطش إلى الدماء على الدوام .  
 وقد سحر القرآن الكريم من رعمهم أنهم وحدهم أساس وأن مدار الآخرة  
 حالصة هم من دون الناس<sup>٢</sup> . قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة  
 من دون الناس فتمسوا بموت إن كنتم صادقين . ولن يتموه أبدا بما قدمت  
 أيديهم والله عليم بالظالمين<sup>(٣)</sup> .

والدار الآخرة في التوراة التي كتبت في المسمي عامصة كل العموص ،  
 فحة بالسنة يهودى هي اليوم في حصص إبراهيم . وقد استبدلت الدار  
 بالمكرة البابية التي تعبر عن العام الآخر بالأرض التي لا رجعة بها . ولا  
 عرو فقد ترك اليهود التوراة التي برئت على موسى وسلوا أساطير الشعوب  
 التي عاشوا بين صهيون وسوها إلى أشياء يبي إسرائيل

إب اعدام بريسند راح يقرب في كتبه « فخر تاريخ » بين أقوال موسى  
 الواردة في التوراة التي كتبت في المسمي وأقوال إحياتون وبين أقوال إحياتون  
 ومراير داود ، وحلص ستيحة مؤداها أن أقوال أشياء يبي إسرائيل قد اقتست  
 من أشياء قدماء المصريين وهذا حق ، فبعد أن حرق ختصر توراة الله كتبت  
 أحذر اليهود في المسمي التوراة الجديدة على متون دياناب قدماء المصريين  
 والآشوريين والسانيين وأساطير الشعوب

وقد انقسم اليهود أنفسهم حول التوراة التي كتبت في أرض السبي ، فقال  
 السامريون إذا كانت التوراة قد برت على موسى فمن أين جاءت الأسعار التي  
 تروى أحداث يبي إسرائيل بعد موسى<sup>٤</sup> . ولم يؤمن السامريون إلا بالأسفار

(١) آل عمران ٧٥

(٢) نوره ٩١ — ٩٥

الخمسة الأولى وهى . المتكوين والحروج واللاويين والعدد ونشئة ، وهى الأسفار التى تروى خلق الله سموات والأرض ، وخلق آدم وحواء ، وقصة قابيل وهابيل ، وقصة نوح وأسائه ، وقصة إبراهيم الخليل ولوط ، ثم قصة موسى وخروجه من مصر ، ثم قصة اللاويين وهم موسى وهارون وبني هارون ، فموسى وهارون لم يكونا يهوديين فهما من نسل لاوى أحدى يهودا لئلا يمسب إليه يهود ، وإصحاحات عدد وفيها ذكر عشائر بني إسرائيل ، وإصحاحات النشئة وفيها شريعة بني إسرائيل على نسان موسى

ولو أن سامريين لم يعترفوا إلا بهذه الأسفار الخمسة إلا أنهم لم يخفوا أن يعصوا بين الريف والصحيح من الأخبار التى وردت فى تلك الأسفار فأن الله سبحانه وتعالى فى الإصحاح الثانى من سفر اسكوبين يستريح فى يوم السابع بعد أن خلق السموات والأرض . « فأكملت السموات والأرض وكل جدها ، وفرغ الله فى يوم السابع من عمله الذى عمله . فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل . وبورك الله اليوم السابع وقدره لأنه فيه سترج من جميع عمله الذى عمل الله خالقاً » . وم بعض سامريين إلى أن النعب لا يجوز على الله ، وظل ديث نوبهم يسيطر على عقول كل الذين يتبعونهم . « التى كتبها أحد يهودى يسمى إرنا جاء محمد — ﷺ — وتلا ما أنزل عليه من ربه » . ولقد حققنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من غوب » (١)

ويذكر لتوراة خلق آدم « وخلق الرب الإله آدم تراباً من الأرض ووضعه فى نفة سمعة حياة فصار آدم عصب حيا . وعرس الرب الإله جنة فى عدن شرقاً

ووضع هناك آدم الذى حبلىه . أما لقرآن الكريم فيذكر خلق آدم و آيات أكثر وصوحا وتفصيلا : « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون » (١) .

« وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أسجدت لربى حقن طيما » (٢) . « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » (٣) . « الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين . ثم جعل نسبه من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون » (٤) .

وتذكر التوراة في تعديم آدم . « وجعل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها . فدعا آدم بأسماء جميع بهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية » . أما القرآن المحيد فيقول بعد أن قال للملائكة رب العزة : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعدم آدم الأسماء كلها ثم عرصهم على الملائكة فقال أيسئرون بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك عني لنا إلا ما عسى أن يكون أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنشئهم بأسمائهم فما أنشأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تدرون وما كنتم تكتمون » (٥) .

(١) البقرة ٣٠ (٢) الأسراء ٦١

(٣) المؤمنون ١٢ (٤) السجدة ٧ — ٩

(٥) البقرة ٣٠ — ٢٣

وتذكر التوراة كيف حققت حواء : « فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم هام ، فأخذ واحدة من أصلاعه وملأ مكانها خماً وبسى الرب الإله الصنع التي أخذها من آدم امرأة وأحصنها إلى آدم ، فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي وخم من لحمي هذه تدعى امرأة لأشها من امرئ أحدت ، لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً ، وكانا كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لا يحلان » .

ولإن دارس هذا النص يقف عند ملاحظتين : الأولى أن آدم على علم بكل شيء دون أن توضح التوراة من أين جاءه ذلك العلم ، والثانية أن هناك حمدة اعتراضية لا بدري من أين جاءت ومن قائلها ، الله هو القائل ؟ : لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونون جسداً واحداً . أم أن قائل ذلك الأحيار الذين أعادوا كتابة التوراة في المعنى ؟

ولم يرد اسم حواء في القرآن الكريم فكان الخطاب بعد خلق حواء لآدم وروحه : « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلاهما رعدا حيث شئتما » (١) « وإدقلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ، فقلنا يا آدم هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى \* إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنت لا تطعمها فيها ولا تصحبى » (٢) .

وتصور التوراة حطيئة آدم تصويراً بشرياً صريحاً ، فالله سبحانه وتعالى عما يصفون يمشى في الجنة ويجهل ما يجري خلف ظهره ، وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عندها الرب الإله . فقالت للمرأة : أحقا قال الله لا تأكل من كل شجرة الجنة ؟ فقالت المرأة للحية . من ثمر شجرة الجنة نأكل ،

(١) البقرة ٣٥

(٢) طه ١١٦ — ١١٩



وأما ثمر الشجرة التي في وسط الحة فقال الله لا تأكلوا منه ولا تمسوا له لئلا تموتا .  
فقالته الحية للمرأة . لن تموتا . بل الله عالم أنه يوم تأكلون منه تنفتح أعينكما  
وتكونان كالله عارفين الخير والشر . فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها  
سهلة للعيون ، وأن الشجرة شهية للظفر ، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت  
رجلها أيضا معها فأكل ، فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فحاطا أوراق  
تين وصعنا لأنفسهما مآزر .

وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الحة عند هبوب ريح النهار ، فاحتيا آدم  
وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الحة . فنادى الرب الإله آدم وقال  
له ، أين أنت ؟ فقال . سمعت صوتك في الحة فخشيت لأني عريان  
فاختأيت . فقال من أعينك أكلت عريان ؟! هل أكلت من الشجرة التي  
أوصيتك ألا تأكل منها ؟ فقال آدم . المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من  
الشجرة فأكلت . فقال الرب الإله للمرأة ما هذا الذي فعلت ؟ فقالت  
امرأة : الحية عرتني فأكلت . فقال الرب الإله للحية : لأني فعلت هذا  
ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين  
وتربا تأكبين كل أيام حياتك . وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين  
وسلها ، هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه ، وقال للمرأة تكثير  
أكثر أتعاب حبلك بالوحي تلدين أولادا وإلى رحلت يكون اشتباقتك وهو  
يسود عليك . وقال لآدم . لأني سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة  
التي أوصيتك قائلا لا تأكل منها ، ملعونة الأرض بسببك . بالتعب تأكل منها  
كل أيام حياتك ، وشوكا وحسكا<sup>(١)</sup> نبت لك وتأكل عشب الحقل تعرق

(١) حسك . نبات تعص ثمرته بصوف الغنم

وجهك تأكل حبرا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها ، لأنت تراب وإلى تراب تعود » . « وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر ، والآن لعنه يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد . فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها » . من هذه النصوص يتضح أن الله سبحانه وتعالى عما يصفون لم يكن يعرف أين آدم ، فقال له : أين أنت ؟ ولم يكن يدري أن آدم قد أكل من الشجرة قبل أن يقول له آدم إنه عريان ، وأن حواء هي المسئولة عن هذه المصيبة ، وأن الله قد طرد الإنسان من الجنة لأنه خاف أن يتناول من شجرة الحياة فيصبح هو الآخر إلها يحيا إلى الأبد .

والفكرة عن الإله في هذا الإصحاح لا تختلف في كثير ولا قليل عن فكرة البابيين عن الآلهة الذين يمشون على الأرض ويحشون مفاصة البشر في سبطاتهم ، وخوفهم من أن يصل الإنسان إلى الخلود فيصبح إلها مثلهم ، وقد حنط أحرار اليهود حقائق بـ « ساطير عجاء » قصة طرد آدم وروحه من الجنة في أسلوب مشوق إلا أنها حسدت الإله الذي ليس دونه متبى ، ولا وراءه مرمى .

إن القرآن الكريم يقرر منذ بدأ الله في خلق آدم أنه جاعل في الأرض خليفة ، فمن البدء خلق الله آدم ليكون حقيقته في الأرض . ولم يرد لنحية ذكر في القرآن ولم يذكر أن حواء هي التي أعرت آدم على الأكل من شجرة الخلد ، بل إن الشيطان هو الذي وسوس إليه : « فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ومليك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفق يخصف عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه

فغوى» (١). «وَيَا أَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ . فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لَيْدِيهِمَا مَا يَورِي عَيْنُهُمَا مِنْ سُوءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ . وَقَا سَمِعَهُمَا إِلَى لَكُمَا مِنَ الْبَاصِحِينَ فَدَلَاهُمَا يَعْزُرُونَ فَلَمَّا دَاقَا الشَّجَرَةَ يَدَّتْ لُهُمَا سُوءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَحْصَصُونَ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَبَادَاهُمَا رَهْمَا أَلَمْ أَهْكُمَا عَنْ سَكَمِ الشَّجَرَةِ وَأَقْلَلْ لَكُمَا مِنَ الشَّيْطَانِ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ . فَلَا رَيْبَ أَنْ تَطْمَئِنَّا وَإِنْ لَمْ تَعْرِ لَنَا وَتَرْجُمَا لِسُكُونِ مِنَ الْخَاسِرِينَ . قَالَ أَهْطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ . قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ» (٢) .

ويلاحظ أن عبارة التوراة اكتفت بالعودة إلى الأرض التي أُخذ منها الإنسان لأنه تراب وإلى التراب يعود ، أما عبارة القرآن فلم تكنف بالحياة في الأرض واموت فيها بل صعدت اخروج منها لأن هَرَاءَ الْكَرِيمِ يَذْكُرُ بَعَثَ دَائِمًا ، أما اليهود الذين عاشوا في أرض السبي فقد نسوا ببعث وم يذكروا عنه شيئاً عندما أعادوا كتابة التوراة في أرض بابل .

ومرت حضيئة آدم في استراحة دون أن نقى عليها ضوء تخيم من شدة غمها ، ولم يتحمل أحد من البشر وزرها . فاستأى الإلهي بعدل يقرر ألا يرد وزرها وزر أخرى ، وأن الأبناء لا يسألون عن حضيئة آباء ، وأن الآباء لا يسألون عن حضيئة الأبناء كل عن حضيئته سأل . ولكن لما قام السيد المسيح بدعوته لإصلاح فساد اليهودية ، ولما صلب في الصلحام رحل رعمه بعض الرامعين أنه السيد المسيح ، ولم يستوى يوحى على مكان لسيد المسيح أراد

(١) طه ١٢٠ — ١٢١

(٢) الأعراف ١٩ — ٢٥

أن يفلسف الصب فرغم أن البشرية قد ورثت خطيئة آدم ، وأن المسيح قد جاد بروحه على الصليب ليخلص البشرية من خطيئة آدم . وبما على هذا الرعم يكون البشر جميعا قد جاءوا من الخطيئة قبل عملية التطهير التي تمت بالصليب ، ويكون الرسل والأنبياء جميعا الذين جاءوا قبل الصليب مبشرين بخطيئة آدم .

و م يترك القرآن الكريم هذه الدعوى الخائرة دون نقاش ، فقال إن الأمر كان أهون من أن تحمل البشرية جمعاء خطيئة آدم . « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم » <sup>(١)</sup> ، « وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى » <sup>(٢)</sup> .

وجاء في أول الإصحاح الخامس من سفر التكوين : « هذا كتاب موليد آدم يوم خلق الله الإنسان على شبه الله عمله » . وقد انتشر هذه امرية حتى في بعض كتب المسلمين بعد أن ترجمت التوراة إلى انجليزية في القرن ثاى هجرة الهى — <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> — سبحانه وتعالى عما يفوقون علوا كبيرا

وجاء في الإصحاح سادس من نفس السفر « ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم ، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته . الإنسان مع بهائم وديابات وطيور السماء ، لأنى حرست أنى عمنهم . وأما نوح فوجد نعمة فى عنى الرب » . وهذا يقرب تصور أن لله م يكن يعلم يوم جعل فى لأرض حييفة أن البشر سير تكون المعاصى . ويصور أن الشر قد تمردوا على الله . وقد أثر هذا القول

(١) ايمرة ٣٧

(٢) طه ١٢١ ، ١٢٢

الخاطيء في أعمال كثير من المكريين اليهود والمسيحيين فحابت أعمالهم الأدبية تصوير الدلتك العصيان ، وكان مثل هذه الأقوال التي تفيض بها توراة المصى أكبر الأثر في كفران كثير من مفكريهم بالدين ، وإن هم كل العذر لو كفروا بأساطير الوثنيين . أما القرآن الكريم فتم يقل إن الله قد حرب لما رى سوء أعمال الناس . فانه يوم خلق آدم كان على علم بما حق ويسوك ما خلق ومارك فيه من عرائر ١٠ . ولو شاء الله لحدكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون » (١) . « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيما عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومهاجا ولو شاء الله لحدكم أمة واحدة ولكن ليلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فيسئكم بما كنتم تحتفون » (٢) .

ولسطر الآن كيف يصورون نوحا ادى وحد عمة في عيسى الرب . « وتند نوح يكون فلاحا وعرس كرما وشرب من الخمر فسكر وتعري داخل حائه . فابصر حاء أبو كنعان عورة أبيه وأحبر بأخويه حارحا . فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وستر عورة أبيهما ووحاهما إلى الوراء فم يبصر عورة أبيهما . فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به انه اصغير فقال : ملعون كنعان ، عبد العبد يكون لإخوته ، وقال : مبارك الرب إنه سام وليكن كنعان عبد هم ، سفتح لله ليافث فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبدا لهم » .

(١) الفصل ٩٣

(٢) المائدة ٤٨

ولو نعمنا في هذ الكلام لوجدنا أن كُتّاب انتورا في المهي لم يكونوا حريصين على تدوين حقيقة قد وقعت ، فمن الاستحفاف بالعقول أن يكون نوح الذي وجد نعمة في عيسى الرب شريخ خمر وأن يصل به السكر إلى أن يتمر . ولكن الدافع الحقيقي لرد هذه الفرية في كتاب من المفروض أنه مقدس هو دافع سياسي . فالكنعانيون كانوا أطوال تاريخ اليهودية أعدى أعداء اليهود ، كانوا أصحاب فلسطين وقد قاوموا بكل السبل استقرار اليهود في أرض كنعان . لذلك لعوهم على لسان نوح وجعلوهم ثلاث مرات عبيدا لإخوانهم .

إن أدى رأى عورة أبيه في ذلك الرعم هو حام أبو كنعان ، فما دس كنعان مادام اسدا في انتورا هو أن الاس لا يسأ عن حرية الأب . إن عطلة كنعان الحقيقية ليس أنه ابن حام ولكنه أبو الكنعانيين الذين حاربوا بني إسرائيل واليهود على مر السنين

وحاء في الإصحاح الحادى عشر من سفر التكوين . « وكانت الأرض كلها لسانا واحدة ولسان واحد ، وحدث في ارتخائهم ( قبائل بني نوح ) شرقا أنهم وجدوا بقعة في أرض شعار وسكنوا هناك ، وقال بعضهم لبعض هلم نبضع لبا ونشويه شي ، فكان هم الذين مكان الحجر وكان هم لحمر مكان طين ، وقلوا هلم بنا لأعصب مدينة بر حارأه نسماء ونضع لأعصا اسما لئلا يتبدد على وجه كل الأرض . فمر الرب ليظفر المدينة والبرح الذين كان بنو آدم يسوهم ، وقال الرب هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتدأهم لعمل . ولأن لا تمتنع عليهم كل ما يهوى أن يعملوه ، هم سرل وينزل هذ سسهم حتى لا يسمع بعضهم سسا بعض . فمدهم الرب من هذك على وجه الأرض فكفوا عن سسب انفسه ، لذلك دعى اسمها بابل لأن

الرب هناك ببيل لسان كل الأرض ، ومن هناك يدهم الرب عل وجه الأرض .

في هذا الإصحاح نجد إلها يرثف مرقا من عمل عباده ولا عرو فإن قلبه امتلأ حزنا لأنه خلق الإنسان كما جاء في الإصحاح السادس من هذا السفر . إنه ينزل من عليائه كما ينزل الملك عن عرشه ليعرق جماعة من العصاة لكيلا تتحد كلمتهم فيشقوا عصا الطاعة ويخلعوه عن عرشه . وإن دارس أساطير البابليين يجد مثل ذلك الصراع بين الآلهة والبشر واضح كل الوضوح ، وقد تأثر كتاب التوراة في المفى بكل الآراء التي جاءت في تلك الأساطير .

وحاء في هذا الإصحاح أن بابل إنما سميت بهذا الاسم لأن الرب قد نزل هناك وببيل ألسة البشر أعدائه حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض ، والحقيقة أن الله كان يعرف بالإيل وأن اسم المدينة كان باب إيل أى باب الرب : وأن برج بابل إنما بنى كجميع الأبراج التي سبت لعبادة القمر ، وكان في مدينة أور التي ولد فيها حنبل الرحمن إبراهيم يعرف سانا ويعرف في جميع بلاد ما بين النهرين بسرى ، وقد انتشرت هذه العادة في بلاد اشرق الأوسط وكانت سياء من أهم مراكزها وهي نسب إلى الإله سين .

ويقول القرآن الكريم : « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأرسل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البيات بما بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » (١) « يا أيها الناس إنما حقيقاكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل تتعارفون إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم

حبر (١).

ثم تروى الإصحاحات الثانی عشر والثالث عشر والرابع عشر قصة إبراهيم الخليل ولوط وكيف أن الأرض لم تحتلها أن يسكنها معا إذ كانت أملا كهما كثيرة ، فسكن إبراهيم أرض كنعان وسكن لوط أرض الأردن ونقل حيامه إلى سدوم ، وكيف قامت الحرب في هذه المنطقة بين أربعة ملوك وخمسة ملوك ، وكيف وقع لوط أسيرا وكيف أتى من محامن الأسر إلى إبراهيم وأخبره بأمر لوط ، فخرج إبراهيم في غلمانه حتى حلص لوطا من الأمر . ويروى الإصحاح التاسع عشر قصة الملكين اللذين جاءا إلى لوط وكيف أن رجال المدينة أرادوا أن يأتوا هما العاحشة ، وكيف أمر الملكان لوطا بالخروج بأهله ، وكيف نظرت امرأته خلفها عندما كان الله يرل بالمدينة عذابه ، وكيف تحولت إلى عمود منج وفي الإصحاح التاسع عشر نقرا : « وصعد لوط من صوعر وسكن في الحبل وابتاه معه ، لأنه حاف أن يسكن في صوعر فسكن في لمعارة هو وابناه . وقالت البكر للصغيرة . أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض . هل نسقى أبانا حمرا ويصطحع معه فحشى من أيبا سلا . فسقتا أباهما حمرا في تلك ، الليلة ، ودخلت البكر واصطحعت مع أيبا ولم يعلم باصطحعها ولا بقيامها . وحدث في العدا أن البكر قالت للصغيرة إلى قد اضطجعت النارحة مع أبى نقيه حمرا الليلة أيضا فادخل اضطجعى معه فحشى من أيبا سلا . فسقتا أباهما حمرا في تلك الليلة أيضا وقامت الصغيرة واضطحعت معه ولم يعلم باصطحعها ولا بقيامها . فحلت بنتا لوط من أيبا ، فوددت البكر ابنا ودعت اسمه مؤاب وهو أبو أموابين إلى اليوم ، والصغيرة أيضا ولدت ابنا



ودعت اسمه بن عمى وهو أبو بى عمون إلى اليوم .

هذه هي صورة لوط في التوراة التي كتبت في أرض المنفى لما كانت اليهود أذلاء وكانت نساؤهم محظيات فعكسوا صورة الاخطاط الذى كانوا متعمسين فيه على الأنبياء لعل يكون في ذلك تعرية عما هم فيه من انحلال . ومن العريب أن لوطا لما وقع في الأسر وجد من يطير إلى إبراهيم في أرض كنعان فيأتى فيخلصه من أسره ، أما بيتا لوط فلم يجد من يرسلانه إلى إبراهيم ليبعث لهما رجلين يتزوجانها عوضا عن الاضطجاع مع أبيهما السكران ! إنها صورة بشعة تهبط بالشرية إلى الحضيض لو أنها صدرت عن رجل عادى وبنتيه ابنتين عر عليهما الرواح ، فما بالك وقد جعلتها التوراة تصدر عن نبي وبنتيه وعلى بعد أميال منهم رجال مؤمنون يتهللون بالفرح بمصاهرة نبي من أنبياء الله !

وشتان بين لوط في التوراة ولوط في القرآن . ﴿ ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين . إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون . وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من فريقتكم إنهم أناس يتطهرون . فأخيناه وأهله إلا امرأته كانت من العابرين . وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ (١) .

﴿ ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تصرون . أنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون . فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من فريقتكم إنهم أناس يتطهرون . فأخيناه وأهله إلا امرأته قدرنا بها من العابرين . وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ﴾ (٢) .

(١) الأعراف ٨٠ — ٨٤

(٢) النمل ٥٤ — ٥٨

« ولما جاءت رسلا لوطا سبيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب . وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أظهر لكم فاقنوا الله ولا تحرون في صيبي أليس منكم رجل رشيد . قالوا لقد علمت ما لنا في بياتك من حق وإنك لتعلم ما تريد . قال لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد . قالوا يا لوط إنا أرسل ربك لن يصوننا إليك فأسرنا هلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبتها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب . فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود . مسومة عند ربك وما هي من الظالمين يبعيد »<sup>(١)</sup> .

« ولوطا إذ قال قومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سفكم بها من أحد من العالين أنكم لتأتون الرجال وتقطعون السيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائنا بعذاب الله إذ كنت من الصادقين . قال رب انصرني على القوم المفسدين . ولما جاءت رسلا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين . قال إن فيها لوطا . قالوا نحن أعلم بمن فيها لسجينه وأهله إلا امرأته كانت من العابرين . ولما جاءت رسلا لوطا سبيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا مسحوك وأهلك إلا امرأتك كانت من العابرين . إنا مزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون . ولقد تركنا منها آية نية لقوم يعقلون »<sup>(٢)</sup> .

« كذبت قوم لوط المرسلين . إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون . إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا

(١) هود ٧٧ — ٨٣

(٢) العنكبوت ٢٨ — ٣٥

على رب العالمين . أتأتون الذكرا من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أرواحكم بل أنتم قوم عدوان . قالوا لئن لم تنته يا لوط تتكوس من المخرجين . قال إني لعملكم من القالين . رب نجني وأهلي مما يعملون . فنجياه وأهله أجمعين . إلا عجورا في الغابرين . ثم دمرنا الآخرين . وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين . إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك هو العزيز الرحيم (١) .

« وإن لوطا لمن المرسلين . إذ نجياه وأهله أجمعين . إلا عجوزا في الغابرين ، ثم دمرنا الآخرين . وإنكم تكفرون عليهم مصحين . وبالليل لولا تعقلون » (٢) .

« ولو لوطا أتياه حكما وعلمنا ونجياه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إياهم كانوا قوم سوء فاسقين . وأدحلناه في رحمتنا من الصالحين » (٣)

وذكر في الإصحاح السادس عشر من سفر التكوين مولد إسماعيل :  
« وأما ساراي امرأة إبراهيم فلم تلد له . وكانت ها جارية مصرية اسمها هاجر فقالت ساراي لإبراهيم : هو ذا الرب قد أمسكني عن الولادة . ادخل على جاريته لعل أررق منها بين . فسمع إبراهيم لقول ساراي ، فأخذت ساراي امرأة إبراهيم هاجر المصرية جاريته بعد عشر سنين لإقامة إبراهيم في أرض كنعان وأعطاها لإبراهيم رجلها روجة له . فدخل على هاجر فحبلت ، وما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينيها فقالت ساراي لإبراهيم ظلمي عيبك ، أنا دفعت جاريته إلى حصنك . يقضي الرب يسي ويسك . فقال إبراهيم

(١) الشعراء ١٦٠ — ١٧٥

(٢) الصافات ١٣٢ — ١٣٨

(٣) الأنبياء ٧٤ ، ٧٥

لساراي : هو ذا جاريته في يدك . افعلي بها ما يحسن في عيبك ، فأدلتها  
ساراي ففهربت من وجهها .

فوجدتها ملاك الرب على عين الماء في البرية ، على العين التي في طريق  
شور ، وقال يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت وإلى أين تذهين ؟ فقالت  
أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي . فقال لها ملاك الرب ارجعي إلى مولاتك  
واحضعي تحت يديها . وقال لها ملاك الرب تكثيرا أكثر سلك فلا يعد من  
الكثرة . وقال لها ملاك الرب ها أنت حلي فتلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل  
لأن الرب قد سمع لمذلتك ، وبه يكون إنسانا وحشيا ، يده على كل واحد ويد  
كل واحد عليه وأمام جميع إخوته يسكن . فدعت اسم الرب الذي تكلم معها  
أنت إيل رى . لأنها قالت أهها أيضا رأيت بعد رؤية ، لذلك دعيت ابتر لحي  
رئي ها هي بين قاذش وبارد .

فولدت هاجر لإبرام ابنا ودعا إبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل  
وكان إبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لإبرام .  
وتسكت التوراة التي كتبت في المضي عن هاجر وإسماعيل ولا تروى لنا  
كيف تحقق وعد الله بأن يكثر نسلها كثيرا ، ولا كيف حقق الله وعده لهاجر  
الذي جاء في الإصحاح الحادى والعشرين من نفس السفر : « . وبادى  
ملاك الله هاجر من اسماء وقال لها : مالك يا هاجر ؟ . لا تحي لأن الله قد  
سمع بصوت العلام حيث هو ، قومي احمي العلام وشدى يدك به لأنى  
سأحمله أمة عظيمة . وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء هبت وملأت القربة  
ماء وسقت العلام وكان الله مع العلام فكر وسكن البرية . وكان يسورامى  
قوس وسكن في بركة فاران وأحدث له أمه روحة من أرض مصر »  
تسكت توراة مسمى متعمدة عن إسماعيل وعن نبوءة إسماعيل وعن ذهب

إبراهيم إلى مكة وعن تعاون إبراهيم وإسماعيل في إقامة القواعد من البيت ، لأن  
بنى إسماعيل كانوا يحمون بنى إسرائيل حتى وقعت العداوة بينهم ففسد بنو  
إسرائيل على بنى إسماعيل فأرادوا أن يسلبوهم كل محد .  
ولما كان كتاب التوراة في المنفى أرادوا أن يحضروا الرسالة والنبوة في بنى  
إسرائيل فإبهم رأوا أن الحديث عن نبوة إسماعيل سيقوض دعواهم لأن إسماعيل  
لم يكن من بنى إسرائيل . فسكتوا عن كل سوء ظهرت في العرب فلم يذكروا  
صالحا الذي بعث إلى قوم ثمود ، ولم يذكروا هودا الذي بعث إلى قوم عاد ،  
ولم يذكروا شعيبا الذي بعث إلى مدين ؛ لأن هؤلاء الرسل كانوا من العرب  
ولم يكونوا من بنى إسرائيل .

وليس من المعقول أن بنى إسرائيل لم يسمعو شمود وعباد وتمدين وقد ذكر  
بصليموس هذه المدن في أطلسه واليهود كانوا أقرب من بطليموس إلى هذه  
البلاد ، ولكنها الأعراض أسكتتهم عن حقائق تضر بدعوتهم بل تقوصها من  
أساسها .

إبهم وذكروا أن إبراهيم قام القواعد من أرض بيت وضع للناس وإسماعيل  
لذهب ذلك بحلال هيكل سليمان فحذروا أن يطمسوا تلك الحقائق ؛ ولكن  
القرآن الكريم جاء يكذبهم في دعواهم أنهم وحدهم الناس وأن الرسالة والنبوة  
فيهم وحدهم دون العالمين . قال الله تعالى ﴿ ما كان إبراهيم يهوديا ولا  
نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ﴾ <sup>(١)</sup> . وهذه  
الحقيقة تؤكد أن رسالة كل بنى إسرائيل ﴿ يا أهل الكتاب لم  
تحجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة وإلخيل لا من بعده أملا

تعقلون ﴿١﴾ .

﴿١﴾ وإذ ابنتي إبراهيم ربه كلمات فأتتهن قال إني جاعلك ناسا إما ما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين \* وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأما واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود \* وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار ونس المصير \* وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم \* ربنا واحسنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا ما سكتنا وتب علينا إنك أنت التوب الرحيم \* ربنا وبعث فيهم رسولا منهم يتدو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويركهم إنك أنت العزيز الحكيم \* ومن يرعب عن ملة إبراهيم إلا من سمه نفسه ولقد اصطفيه في الدنيا وإياه في الآخرة لمن الصالحين \* إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ﴿٢﴾

﴿٢﴾ إذ أوامر بيت وضع للناس للذي بسكة مباركا وهدى للعالمين ﴿٣﴾

﴿٣﴾ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ﴿٤﴾

وقص القرآن الكريم قصة هود وقد أعصتها بوراة المسمى : ﴿٥﴾ وإذ عاد أحاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أهلا تتقون . قال الملأ الذين كفروا من قومه إبالراك في سفاهه وإبالططك من الكاديين \* قال يا قوم

(١) - عمر - ٦٥

(٢) - لقره ١٢٤ - ١٣١

(٣) - عمر - ٩٠

(٤) - حج - ٣٦

ليس في سعاة ولكي رسول من رب العالمين \* أتلعكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين \* أو عجنم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم ليدركم وادكروا إدا جعلكم خلعاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فادكروا آلاء الله لعلكم تفلحون \* قالوا أجتنا لعبد الله وحده ونترك ما كان يعبد آباؤنا فأنتما ما تعبدان إنا كنت من الصادقين . قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وعصب أنجاد لوسى في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إنا معكم من المنتظرين \* فأخينا والذين معه برحمة ما وقطعا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين ﴿١﴾ \*

وقص القرآن الكريم قصة صالح لأن القرآن المجيد لا يفرق بين رسل من الأمم ورسول من بني إسرائيل : ﴿٢﴾ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر من خلق يعمر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير ﴿٣﴾ .

لم يكن إدريس من بني إسرائيل ، ولم يكن نوح من بني إسرائيل ، ولم يكن إبراهيم من بني إسرائيل ، ولم يكن إسماعيل من بني إسرائيل ، ولم يكن هود من بني إسرائيل ، ولم يكن صالح من بني إسرائيل ، فإن كان الذين كتبوا التوراة في الماضي قد ذكروا برحما وإبراهيم فقد كانوا إلى ذلك مصطرين لتستقيم قصة البشرية التي وضعوها مدحوق الله آدم إلى أن اصطفى يعقوب ( إسرائيل ) \* ولم يكن هناك ضروره لسرد قصة صالح وهود وشعيب بل كان هناك ضرورة لعدم ذكر قصص هؤلاء الأنبياء حتى لا تتفوض نظريتهم القائلة بأن الرسل والسوة كانت فيهم وحدهم وحتى يرسوا عروهم الذي

(١) الأعراف ٦٥ — ٧٢

(٢) المائدة ١٨

صور لهم أنهم وحدهم الناس وأن من سواهم أمم ، كلاب البشرية .  
 ﴿ وإلى ثمود أحاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد  
 جاءكم بينة من ربكم هده ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا  
 تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم \* واذكروا إذ جعلكم خلعا من بعد عاذ  
 وبوأكم في الأرض تتحدون من سهوها قصورا وتحتون أحبال بيوتا فاذكروا  
 آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين \* قال الملأ الذين استكبروا من قومه  
 ليس استضعفوا لم آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما  
 أرسل به مؤمنون \* قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون \* فعقروا  
 الباقع وعثوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح اتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين \*  
 فأخذتهم الرحفة فأصبحوا في دارهم جاثمين \* فتولى عنهم وقال يا قوم لقد  
 أئبعتكم رسالة ربي وصححت لكم ولكم لا تحبون الماصحين ﴿ (١) \*

﴿ وإلى مدين أحاهم شعيب قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا  
 تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم خير وإلى أحاف عليكم عذاب يوم محيط .  
 ويا قوم أوفوا المكيال واميران بالقسط ولا تنحسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في  
 الأرض مفسدين \* نقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم  
 بمحيط \* قالوا يا شعيب أصلحت تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا أو أن نعمل في  
 أموالنا ما نشاء إنك لأت الحليم الرشيد \* قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بنة  
 من ربي ورزقي منه رزقا حسبا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد  
 إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أئيب \* ويا  
 قوم لا يجرمكم شقاق أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم



صالح وما قوم لوط منكم ببعيد\* واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربى رحيم ودود\* قالوا يا شعب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت عبيد بعير\* قال يا قوم أرهطى أعر عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربى مما تعلمون محيط\* ويا قوم اعمدوا على مكاتكم إلى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارثوا إلى معكم رقيب\* ولما جاء أمرنا نجيا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأحدثت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين\* كأن لم يعتنوا فيها ألا بعدا للذين كما بعدت ثمود<sup>(١)</sup>.

وجاء في الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين : « ولما كان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لإبراهيم وقال له . أنا الله القدير . سر أمامى وكس كاملا فأجعل عهدي بينى وبينك وأكثر كثيرا جدا . مسقط إبراهيم على وجهه وتكلم الله معه قائلا . أما أنا فهو دا عهدي وتكون أبيا لجمهور من الأمم فلا يدعى اسمك إبراهيم بل يكون اسمك إبراهيم . لأننى أحضرت أنا لجمهور من الأمم . وأثرك كثيرا جدا وأحضرتك أما . وملوك مث يرحوب ، وأقيم عهدي بينى وبينك وبين سسك من بعدك فى أحياءهم عهدا أبديا لأكون إلهائكم وليسلك من بعدك وأعطى لك وليسلك من بعدك أرض عريثك كل أرض كعان ملكا أبديا وأكون إلههم

وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي أنت وسسك من بعدك فى أحياءهم . هذا هو عهدي الذى يحفظونه بينى وبينكم وبين سسك من بعدك .

يختصمكم كل ذكر فتحتسرون في لحم عرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم . ابن ثمانية أيام يختصمكم كل ذكر في أجبالكم . وليد البيت والمبتاع بقصة من كل ابن عرب ليس من سلتك . يختصم حنانيا وليد بيتك والمبتاع بقصتك . فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً . وأما ابدكر الأعف الذي لا يختصم في لحم عرلته فتقطع تلك النفس من شعبها . إنه قد بكت عهدي . وقال الله لإبراهيم : ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي بل اسمها سارة وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابناً . فأباركها فتكون أمماً وملوك شعوب منها يكونون . فسقط إبراهيم على وجهه وصحى وقال في قلبه هل يولد لاس مائة وهل تند سارة وهي بنت تسعين سنة ؟

وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك . فقال الله بل سارة امرأتك تند لك أما تدعو اسمه إسحاق وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لسنه من بعده . وأما إسماعيل فقد سمعت بك فيه . هذا أن أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً . اثني عشر رئيساً يندو تحبه أمة كبيرة ، وكفى عهدي أقيمته مع إسحاق الذي تند لك سارة في هذا الوقت في نسبه الآتية . فلما فرغ من كلام معه صعد الله عن إبراهيم .

فأخذ إبراهيم وإسماعيل اسمه وجميع ولدان بيته وجميع مستاعين بقصته كل ذكر من أهل بيت إبراهيم وحسن لهم عرسهم في ذلك اليوم عرسه كما كلمه الله . وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين حنن في لحم عرلته ، وكان إسماعيل به بن ثلاث عشرة سنة حين حنن في لحم عرلته . في ذلك اليوم عرسه حنن إبراهيم وإسماعيل اسمه وكل رجال بيته وأبناء بيت وبناتهن بالقصة من بين عرب حننوا معه

وهذا الإصحاح يحتاج إلى ورقة طويلة ، فقد ذكر فيه عهد الله بأن يعطي لإبراهيم ونسله من بعده أرض غربته كل أرض كنعان ممكنا أبديا ، وجعل الله اختان علامة عهد يسه وبين نسل إبراهيم حليل الرحم .

إن الذين كتبوا التوراة بأيديهم في المعنى كانوا مشردين وكانوا يتوقون للعودة إلى أرض كنعان أرض فلسطين ، وما كان لهم حق في تلك الأرض فأرادوا أن يسدوا ذلك الحق بوعد إلهي ، فكتبوا بأيديهم أن الله سيكون إلهها لإبراهيم ونسله من بعده ، أما باقي البشر — إن كان اليهود يسمحون بأن يكون غيرهم بشرا — فقد تركوا بلا إله ، فأصبح رب الناس إله الناس رب العالمين إله لنسل إبراهيم وحده وإسماعيل ما نصه من هذا الوعد ؟ إنه من نسل إبراهيم فهو يشارك هو وبوه في هذا الوعد . وما كان ذلك لا يرضى اليهود الذين أعادوا كتابة التوراة في بابل على هواهم فقد أخرجوا إسماعيل وبنيه من ذلك الوعد ، ففعلوا حليل الرحم يقول لبنت إسماعيل يعيش أمانك ، فلا يعجب ذلك القول رب إسرائيل الذي لم يكن قد ولد بعد فيقول منلهما : « بل سارة امرأتك لتلد لك ابنا وتدعو اسمه إسحاق ، وأقيم عهدي معه عهدا أبديا لنسله من بعده . وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أماركه وأؤمركه وأؤكركه كثيرا جدا . اثني عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة . ولكن عهدي أقيم مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية » .

وهكذا وضع أول حكماء صهيون أول بذرة في مشكبه فلسطين . جعلوا الله بلا سب معقول يختار إسحاق الذي لم يكن قد ولد بعد ليقم له عهدا أبديا لنسله من بعده ويخرج إسماعيل من ذلك العهد .

ولم ترو التوراة كيف تحقق وعد الله بأن يبارك إسماعيل وجعله أمة كبيرة ، وقد يكون لكتاب التوراة عذر فقد تحقق ذلك بعد عهدهم . المهم أنهم

وضعوا على لسان الله كلاما يخدم قضيتهم ويجعل لهم حفا إلهيا في أرض فلسطين .

وقد ذكر أنبياء بني إسرائيل الذين كتبوا التوراة في المنفى أن الختان هو علامة العهد بين الله وبين إبراهيم ونسله . وقد يكون ذلك الكلام صحيحا لو أن الختان لم يكن معروفا قبل ذلك العصر ولكن قدماء المصريين كانوا يختنون ، فهل كان الختان علامة عهد بينهم وبين الله ؟! وكان البابليون يختنون وقد يكون إبراهيم قد احتس قبل ذلك على عادة أهله ، ولكن كتاب التوراة في المنفى لم يخفوا بشيء من ذلك فجمعوا حليل الرحم يختن في ذلك اليوم عينه وجمعوا إسماعيل يختن وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، أما إسحاق الموعود فقد احتس ابن ثمانية أيام فهو أول من بعده أمر الله امتثالا لأمره : ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم ، وهي بركة كبرى لإسحاق أبي إسرائيل . ولما كانت التوراة قد أصبحت الكتاب الأول والعهد القديم للدين اعتنقوا الديانة المسيحية ، فإن المسيحيين الذين يقرعون التوراة يؤمنون بهذه الأفكار التي دسها الذين كتبوا التوراة في أرض السبي ، ومن أسف أن كتاب المسلمين بعد صدر الإسلام قد مهلوا من هذه التوراة بعد أن ترجمت إلى العربية ففاضت كتبهم بتلك الأفكار الرائفة . وقد وصفت أحاديث كثيرة عن أبي — ﷺ — لتطبيق ما جاء في التوراة . فحديث يقرر أن إبراهيم قد كذب على ربه ثلاث كذبات ، وآخر يروى كيف احتس إبراهيم بالقدوم ، وثالث يؤكد أن حنان ذكور المسلمين يسعى أن يحرق عندما يبلغ العلام ثلاث عشرة سنة أسوة بأبيهم إسماعيل . وماجت كتب المؤرخين الإسلاميين بوعد الله لسي إسرائيل بأرض انعاد ، وانتشرت الإسرائيليات بين دفتي كتب الكتاب المسلمين الذين حسبوا أنهم يهود من كتاب مقدس .

كانت العداوة مشبوبة بين الكنعانيين أصحاب الأرض الحقيقيين وبين بني إسرائيل واليهود الذين أرادوا اعتصاب الأرض منهم ، ولم يسد الدين أعادوا كتابة التوراة في المسمى تلك العداوة أبدا ، وأرادوا أن يؤكدوا وعد الله بإعطاء أرض فلسطين إلى نسل إسحاق فجعلوا إبراهيم وهو موجود بأنفاسه بقول لعبد كبير بيته المستولى على كل ما كان له ٥٠ ضع يدك تحت مخدتي . فأستحلفك بالرب إله السماء والأرض أن لا تأخذ روحه لأبني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم . بل في أرضي وإلى عشيرتي نذهب وتأخذ روحه لسي إسحاق . فقل له العبد : ربما لا تشاء امرأة أن تنعني إلى هذه الأرض . هل أرجع بابيك إلى الأرض التي حرحت بها ( أور بالعراق ) ؟ فقال له إبراهيم : احترق من أن ترجع ناسي إلى هناك . الرب إله اسماء الذي أخذني من بيت أبي ومن أرض ميلادي والذي كلمني والذي أقسم لي قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض . هو يرسل ملاكته أمامك فتأخذ روحه لأبني من هناك . وإن لم تشأ المرأة أن تتبعك تراءت من حلمي هذا ، أما بنيتي فلا ترجع به إلى هناك . فوضع العبد يده تحت مخدتي إبراهيم مولاه وحلف به على هذا الأمر .

ويثور في الفكر سؤال : إذا كان وعد الله بإعطاء أرض فلسطين لإسحاق ولنسله معروفا فكيف خطر على قلب كبير بيت إبراهيم أن يعود بإسحاق إلى أور ؟ إلى الأرض التي حرج منها إبراهيم ؟ لقد كان وعدا وكان حثا وكانت انتباهات بنو إبراهيم وإسماعيل ولعبيد ثم إسحاق بعد كل ذلك فكيف عابت كل تلك الانتباهات عن كبير بيت إبراهيم ؟ هل الدين كتبوا التوراة في المسمى حثوا أن يكون قارئ قدسى الوعد فأرادوا أن يؤكدوه كما يفعل معصم القصص الذين يتألمون القلق على قرائهم فيعيدوا سرد بعض الأحداث لتذكروا والتأكيد .

وتروح إسحاق رقيقة : « فلما كملت أيامها لتلد إذا في بطنها ثورأمان ، فخرج الأول كله كمروة شعر فدعوا اسمه عيسو (العيص) ، وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو فدعى اسمه يعقوب . وكان إسحاق ابن ستين سنة لما ولدتهما » .

كان الدين كتبوا التوراة في المنفى في دل الأسر يطرون نظرة كبار إلى كل عمل يقومون به غير مشروع ، حتى السرقة كانوا يربونها في أعينهم ، وقد انعكس ذلك السوء على ما يكتبون فلم يروا في سرقة البركة — إن كانت البركات تسرق — أي عيب ، بل وجدوا في الخداع مادة يفخرون بها ويبدوونها فرحين دون حزن وما دامت تلك السرقة تعود بالبركة على يعقوب (إسرائيل) . والآل يروى ما كتبه كتاب التوراة في المنفى دون تدخل منا ولبدع لتقارير قياس ذلك الفعل على مقاييس الأخلاق في أي عصر من العصور . « فكر العلامان » . وكان عيسو إسماعيل يعرف الصيد ، إسماعيلية ، ويعقوب إسماعيل كاملاً يسكن الخيام . فأحب إسحاق عيسو لأن في فمه صيدا ، وأما رقيقة فكانت تحب يعقوب ..

وحدث لما شاح إسحاق وكلت عيابه عن النظر أنه دعا عيسو إليه الأكبر وقال له يا بني ، فقال له هاندا . فقال إسماعيل قد شحنت ولست أعرف يوم وفاتي . فالآن حذ عدتك جمعتك وفوسك واحرج إلى البرية وتصيد لي صيدا . واصنع لي أطعمة كما أحب أوأثني بها لأكل حتى تبارك نفسي قبل أن أموت .

وكانت رقيقة سامعة إذ تكلم إسحاق مع عيسو إليه ، فذهب عيسو إلى البرية كي يصطاد صيدا يأتي به ، وأما رقيقة فكلمت يعقوب ابها قائلة إن قد سمعت أباك يكلم عيسو أحاك قائلاً أنتي بصيد واصنع لي أطعمة لأكل

أمام الرب قل وفاني ، فالآن يا بني اسمع لقولي في ما أنا آمرك به . اذهب إلى العم وخذ لي من هناك حديين جديين من المعرى ، فاصعهما أطعمة لأبيك كما يحب فتحصرها إلى أبيك لياكل حتى يباركك قل وفاته . فقال يعقوب لرفقة أمه : هو دا عيسو أخى رجل أشعر وأنا رجل أمدس . ربما يحسنى أنى فأكون في عيبه كمنهاون وأجيب على نفسى لئلا بركة . فقالت له أمه لعنتك على يا بني . اسمع لقولي فقط وادهب وادهب وحدي . عذب وأحد وأحصر لأمه . فصنعت أمه أطعمة كما كان أبوه يحب . وأحدث رفقة ثياب عيسو ابنا الأكبر العاحرة التي كانت عندها في البيت وألبست يعقوب ابنا الصغير وألبست يديه وملاسه عقه جنود المعرة . وأعطت الأطعمة والخبز التي صنعت في يد يعقوب ابنا .

فدخل إلى أبيه وقال يا أبى فقال له : هاأنداس أنت يا سى ؟ فقال يعقوب لأبيه : أنا عيسو بركك قد فعلت كما كلمتني . قم احلس وكل من صيدى لكى تباركك نفسك ، فقال إسحاق لأبيه ما هذا يدى أسرع لتجد يا بني . فقال إن الرب إلهك قد يسرى . فقال إسحاق ليعقوب تقدم لأحسبك يا بنى . أنت هو أبى عيسو أم لا ؟ فتقدم يعقوب إلى إسحاق أبيه فحسه وقال : الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو . ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو أخيه . فباركه وقال : هل أنت هو أبى عيسو ؟ فقال : أنا هو . فقال . قدم لي أكل من صيد أبى حتى تباركك نفسى فقدم له فأكل وأحصر له خمر فشرب . فقال له إسحاق أبوه : تقدم وقبلى يا بني . فتقدم وقبله ، فشم رائحة ثيابه وباركه وقال : اطرب ، رائحة انى كرائحة حقيل قد باركه الرب فبعطك الله من يدى السماء ومن دس الأرض وكثرة حطة وخمر . ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قائل . كن

سيداً لإخوته وليسجد لك هو أمك . ليكن لأخوتك ملعوبين ، ومباركوك مباركين .

وحدث عندما فرغ إسحاق من بركة يعقوب ، ويعقوب قد خرج من لدن إسحاق أبيه أن عيسو أحياه أنى من صيده . فصنع هو أيضاً أطعمة ودخل بها إلى أبيه وقال لأبيه : ليقيم أنى ويأكل من صيد أبيه حتى تبارك نفسك . فقال له إسحاق أبوه : من أنت ؟ فقال : أنا ابنك بكر عيسو . فارتعد إسحاق ارتعاداً عظيماً جداً وقال : فمن هو الذى اصطاد صيداً وأنى به إلى فأكلت من الكل قبل أن تجيء وباركته ، نعم ويكون مباركاً . فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومرة جداً وقال لأبيه : باركنى أنا أيضاً يا أبى . فقال قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك . فقال : ألا أب اسمه دعى يعقوب فقد تعقبى الآن مرتين . أحد بكوريتى وه هو دا دا قد أخذ بركتى . ثم قال : أم أبقيت لى بركة ؟ فأجاب إسحاق وقال لعيسو : إلى قد جعلته سيداً لك ودفعت إليه جميع إخوته عبيداً وعصده تحت خطة وخمر . فماداً أصنع إليك يابى ؟ فقال عيسو لأبيه : ألك بركة واحدة فقط يا أبى ؟ باركنى أيضاً يا أبى . ورفع عيسو صوته وبكى . فأجاب إسحاق أبوه وقال له : هو ذابلاً دسم الأرض يكون مسكك وبلا لى السماء من فوق وبسيفك تعيش ولأحيث تستعبد ، ولكن يكون حيناً تحب أنك تكسر يره عن عقتك . وهكذا صاقت رحمة الله عن أن تسع ليعقوب ( إسرائيل ) وأحبه عيسو ، وهكذا سرفت البركة . فإن كان إسحاق كلت عيناه فأين كان الله ؟ إهم جعلوه يطلق بوعده مع أرض كنعان لسل إسحاق ثم سرقوا البركة من عيسو فى عفة من لله سبحانه وتعالى عما يصفون . إهم جمعوا إسرائيل سارق بركة ومخادعاً وكذاباً دون ححل ، فما كانوا فى أرض المنهى يحبون



من السرقة والكذب والخداع ، ولننظر الآن كيف يتحدث القرآن عن إسحاق الذى لم يذكر الآخرة مرة واحدة فى التوراة ، والذى كان حبه لابنه عيسو لأنه يجلب له ما لذ وطاب من الطعام ، فلم يكن حبه لمكارم أخلاقه وتقواه بل لأن فى فمه صيد مادية طاعية صيغ بها اليهود بدورهم المعجيين بهم من الناس .

﴿ أولئك الذين أوعى الله عليهم من السيئ من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدي واجتنبنا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا \* فحلف من بعدهم حلف أصاعوا الصلاة وابعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ﴾ (١) .

﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون \* أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تصدون من بعدى قنوا بعبدة إلهك وإله آبائكم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهها واحدا ونحن له مسلمون ﴾ (٢) .

﴿ أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أنتم أعينم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون ﴾ (٣) .

ولم يكن الغش والخداع فى سرقة البركة فحسب . بل كان سمة أفعال كل الناس كما تصورهم الدين كتبوا التوراة فى اسمي . يعقوب قد ذهب إلى حاران ليتزوج فى بيت حاله لآبان بن ناحور ، فمادا كان من الحال ؟ :

(١) مريم ٥٨ — ٥٩ .

(٢) البقرة ١٣٢ — ١٣٣ .

(٣) البقرة ١٤٠ .

« فكأن حين سمع لابان حبر يعقوب ابن أخته أنه ركض للاقائه وعانقه وقبله وأتى به إلى بيته . فحدث لابان بجميع هذه الأمور : ( حدم يعقوب . رؤية سلم مصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء . ملائكة الله صاعدة نازلة عليها والرب واقف عليها يقول : أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإنه إسحاق . الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيتها لك ولسلك . من هنا اسمي لإسرائيل ) .

فقال له لابان : إنما أنت عظمى ولحمى . فأقام عنده شهرين من الرمان . ثم قال لابان ليعقوب : لأنت أحيى تخدمنى مجانا ! أخبرنى ما أحررتك ؟ وكان للابان ابنتان سم الكرى لثة واسم الصعري راحيل . وكانت عينا لثة ضعيفتين . وأما راحيل فكانت حسنة الصورة وحسنة المطر . وأحب يعقوب راحيل فقال : أحدمك سبع سنين براحيل ابنتك الصعري . فقال لابان : أن أعطيتك إياها أحسن من أن أعطيتها لرجل آخر . أقم عدى . فحدم يعقوب براحيل سبع سنين وكانت في غبه كأيام فلبه بسبب محنته لها .

ثم قال يعقوب لابان : أعطنى امرأتى لأن أيامى قد كملت فادخل عليها . فجمع لابان جميع أهل مكان وصنع وليمة ، وكان له في المساء أنه أحديثة وأتى بها إليه فدخل عليها . وأعطى لابان لفته حاريتها للثة ابنته حارية . وفي الصباح إذا هي لثة . فقال للابان . ما هذا الذى صنعت لى ؟ أليس براحيل خدمت عندك . فلماذا خدعتنى ؟ فقال لابان لا يفعل هكذا في مكانا أن يعطى الصغيرة قبل ابكر . أكمل أسبوع هذه فنعطيك تلك بالخدمة التي تخدمنى أيضا سبع سنين آخر .

فعمل يعقوب هكذا فأكمل أسبوع هذه . فأعطاه راحيل ابنته زوجة له ، وأعطى لابان راحيل ابنته بلهة حاريتها لها . فدخل على راحيل أيضا

وأحب أيضا راحيل أكثر من لئة ، وعاد فخدم عبده سبع سنين آخر .  
وهكذا جمع نبي الله يعقوب بين الأختين في توراة المسمى ، وخدعه حاله  
كما حذع هو أباه . فالخيانة في توراة المسمى كلها عش وكذب وحداغ وأسياء  
لا يطلبون من الله إلا أن يطعمهم ويكسوهم . ولسمع إلى نذر يعقوب وهو  
في طريقه من بئر سبع إلى حاران : « ونذر يعقوب ندرا قائلا : إن كان الله  
معى وحفظنى في هذا الطريق الذى أنا سائر فيه وأعطانى خبيرا لآكل وثيابا  
لأليس ورجعت بسلام إلى بيت أبى ، يكون الرب لى إلها ! » أيعقوب لا يزال  
في شك من أن الله معه حتى بعد وعد الله بأن يباركه وأن يجعل أرض فلسطين  
لذريته ؟! ففيم كان الختان إدد ؟ وهل هذا النذر يبيق بسى موعود بركة الله ؟  
إنه لى يعترف بربه إلا إذا أطعمه وكساه وحفظه وأعادته سالما إلى بيت أبيه .  
اعتراف مقابل نفع ، إن انعدم النفع فلا اعتراف ، وحاشا لله أن يكون ذلك  
نذر يعقوب . إنه نذر الدين يقاسون اندل في الأمر ، نذر الدين كانوا  
يلتمسون العودة إلى فلسطين من العراق ، فإذا كانت العودة كان الاعتراف  
بالله وإلا فلا اعتراف ، ولن يكون الرب هم إلها !

ولم يكف الذين كتبوا التوراة في المسمى بأن جعلوا أنبياء الله يكذبون  
ويخدعون ويسرقون الحركة ، بل سبوا السلب إلى الله — سبحانه وتعالى عما  
يصفون عوا كبيرا . « وحدث لما ولدت راحيل يوسف أن يعقوب قال  
للأبائ . اصرفنى لأذهب إلى مكائ وإلى أرضى . أعطنى سائى وأولادى  
الذين خدمتك بهم فأذهب لأملك أنت تعم خدمتى التى خدمتك . فقال  
للأبائ : لئيشي أحد نعمة في عبيتك . قد تفاعلت ببارككى الرب بسبيتك وقال :  
عين لى أجرتك فأعطيك .

فقال له : أنت تعلم ماد خدمتك وماد صارت مواشيك معى ، لأن م

كان لك هبلى قليل فقد اتسع إلى كثير وباركك الرب في أثرى ، والآل متى  
أعمل أنا أيضا لىبتى ؟ فقال : ماذا أعطيك ؟ فقال يعقوب : لا تعطى  
شيئا . إن صعدت لى هذا الأمر أعود أرعى غنمك وأحفظها . أختار بين  
غنمك كلها ليوم واعزل أنت منها كل شاة رقطاع وبقاء وكل شاة سوداء  
بين الخرفان وبقاء ورقطاع بين المعرى . فيكون مثل ذلك أجرى ويشهد فى  
يرى يوم غد إذا حثت من أجل أجرى قدامك . كل مالىس أرقط أو أبلق بين  
المعرى وأسود بين الخرفان فهو مسروق عدى . فقال لا بان . هو ذا ليكن  
بحسب كلامك . فعزب فى ذلك الثيوس المخططة واللقاء وكل العنار الرقطاع  
واللقاء كل ما فيه بياض وكل أسود بين الخرفان ودفعها إلى أيدى بنيه وحمل  
مسيرة ثلاثة أيام بينه وبين يعقوب ، وكان يعقوب يرعى غنم لا بان الباقية .  
فأخذ يعقوب لنفسه قصصانا من لى ولور ودس وقشر فيها حصوطا بيضا  
كاشطا عن البياض الذى على القصصان ، وأوقف القصصان التى فشرها فى  
الأجران فى مساقى الماء حيث كانت النعم تجمى لتشرب تجاه العنم لتتوحم عند  
محيثها لتشرب ، فتوحمت الغنم عند القصصان ووددت الغنم محططات ورقصا  
وبلقا . وأفرز يعقوب الخرفان وجعل وجوه الغنم إلى المخطط وكل أسود بين  
غنم لا بان . وجعل له قطعانا وحده ولم يجعلها مع غنم لا بان . وحدث كلما  
توحمت الغنم القوية أن يعقوب وضع القصصان أمام عيون العنم فى الأجران  
لتتوحم بين القصصان . وحين استضعفت العنم لم يضعها فصارت الضعيفة  
للابان والقوية ليعقوب ، فأتسع الرجل كثيرا جدا وكان له غنم كثير وجوار  
وعبيد وحمال وخمير .

فسمع كلام بى لا بان قائلين : أحد يعقوب كل ما كان لأينا . ومما لأينا  
صنع كل هذا الخد . وطر يعقوب وجه لا بان وإذا هو ليس معه كأمس وأول

من أمس . وقال الرب ليعقوب : ارجع إلى أرض آبائك وإلى عشيرتك فأكون معك .

فأرسل يعقوب ودعا راحيل وليّة إلى الحقل إلى غنمه وقال لهما : أما أرى وجه أبيكما أنه ليس بحوى كأمس وأول من أمس ، ولكن إله أبي كان معي وأنتم تعلمان أني بكل قوتي خدمت أباكما ، وأما أبوكما فعذر بي وغير أحرني عشر مرات ، ولكن الله لم يسمح له أن يصعب بي شرا . إن قال هكذا . الرقط تكون أحرنتك ولدت كل العم رقطا ، وإن قال هكذا : المخططة تكون أحرنتك ولدت كل العم مخططة ، فقد سلب الله مواشي أبيكما وأعطاني . وحدث في وقت توحم العم أني رفعت عيسى ونظرت في حلم وإذا المحول الصاعدة على الغنم مخططة ورقطاء ومنمرة . وقال لي ملاك الله في الحلم : يا يعقوب قلت هاندا . فقال : ارفع عييك وانظر جميع المحول الصاعدة على العم مخططة ورقطاء ومنمرة ، لأنني قد رأيت كل ما يصعب بك لابان . أنا إله بيت إيل حيث مسحت عمودا . حيث سرت لي بدرا الآن هم خرج من هذه الأرض وارجع إلى أرض ميلادك .

لقد صور يعقوب في هذه الإصحاحات رجل دينا كل همه : إكثار ماله من شاء وماعر ، وهو رجل حذاع يأخذ لنفسه العم القوية ويترك لابان العم الضعيفة ثم يسب السلب إلى الله . وحاشا لله أن يكون يعقوب قد فعل ذلك أو أن يكون قد مكث عند خاله لابان عشرين سنة وحاله بعد الأضام دون أن يدعو حاله مرة واحدة إلى عبادة لله وحده ، ودون أن يقول له ولقومه كما قال جده حليل الرحمن لأبيه وقومه : « إسي براء مما نعبدون . إلا الذي فطرني فإنه سيهدين »<sup>(١)</sup> . « أتتحد أضام آهة إلى أرك ونومك و

(١) انحراف ٢٦ ، ٢٧ .

صلال ميبى (٢) .

سبى الذين كتبوا التوراة فى المعنى أن الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ، وأن صفات جميع الأنبياء وأرسل صوات الله عندهم حسن الحق ، وأن الله قد عصمهم من إتيان الشرور والآثام ، وما كان هم أحدهم الدنيا . إهم كانوا يحدون بكل شىء فى سبيل الله فما عمل أحدهم على أن يغش لبكره عنه ويكون بذلك مجده ، بل كانوا ينفقون كل ما يرقهم الله على الفقراء والمحتاجين فهم أوثق بما فى يدي الله مما فى أيديهم ، ويسا لا نجد مثل هذه الصور الكريمة فى التوراة بذلك سوق بعض ما رواه سبى الإسلام وكتاب المسلمين عن أنبياء سبى إسرائيل بما يتسق مع السورة والاصطفاء

« قيل يوسف : ما لك تجوع وأنت على حراث الأرض ؟ قال : أخاف أن أشبع فأنسئ الجائع » .

وقال عليه السلام : « إنما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن سبى ابن سبى ابن سبى »

إن عبارات سورة المعنى مصممة لا تتألف فيها أبواب وحى الله ، إن هى إلا أقصيص نعر عن الحالة النفسية التى كان يعيش فيها اليهود فى المعنى ، أقصيص سجت حول حقائق طال عليها الأمد فامتزجت بأساطير الشعوب وسلبب الكذب والنعش والخداع التى كانت طابع هؤلاء الأسرى كانوا مستضعفين فى الأرض قد لوتهم الأسر بالعار فلصحوا كل الرسل والأنبياء بالعار لكيلا يكون هناك ما يحجبهم ما دام أنبياء الله قد مارسوا الكذب وخداع وأكل الدنيا فى بطونهم ، بل وقد مارسوا الرما كما سرى بعد حين فى التوراة .

وسدع شكيم يعتدى على دية ابنة يعقوب ، ولدع الخدعة التي قام بها اما يعقوب ليقضوا على شكيم وأبيه وكل رجال المدينة ، وكيف بها المدينة .  
فالتوراة مليئة بالخدع والسلب والهب ، ولتقرأ الإصحاح الخامس والثلاثين من سفر التكوين لرى كيف أن يعقوب وأبائه الموعودين بالبركة وأرض فلسطين ، كانت الأصنام في حورتهم ، وأهم كانوا يشركون مع الله الذي وعدمهم واصططاهم آلهة أخرى ٥٠ ثم قال الله ليعقوب : قم اصعد بيت إيل وأقم هناك واصنع هناك مذبحاً لله الذي طهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك ، فقال يعقوب لسيه ولكل من كان معه . اعرلوا الآلهة العريية التي يسكنهم ويطهروا ، وبسو ثيابكم ، ولقم ولصعد إلى بيت إيل فأصنع هناك مذبحاً لله الذي استجاب لى في يوم صيقتى وكان معى في الطريق الذى ذهبت فيه ، فأعصوا يعقوب كل الآلهة العريية التي في أيديهم والأقراط التي في آذانهم فطمرها يعقوب تحت لطمعة التي عند شكيم ٥

ياأسيء سى إسرائيل الذين كسبتم التوراة في المفسى أين عقولكم ؟ يعقل أن يحتفظ يعقوب الموعود بالبركة والذي تحلى له الرب مرات بالأصنام في بيته ؟ فميم كان إذن حب الله إياه ؟ ولماذا اصطفاه ربه قبل أن يولد وحده بالبركة دون أبناء إسماعيل ؟ لأنه استمر يشرك به حتى بعد أن حاده ملاك الرب في الحلم ليحجره أن جميع العجول الصاعدة على العنم محططة ورقطاء وممرة ١٤ أو لأنه استمر يشرك بالله حتى بعد أن صار ع الله ( الإصحاح ٣٢ ) وقال له . « لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت » .

• كان أساء يعتقد رؤوس وشعوب ولاوى ويهودا . ساكر ورمون من نية . ودد يعتدى من نية حارية نية ، وحاد وشير من رجة حارية رجيل ،

ويوسف وسيامين من راحيل . وجاء موسى عليه السلام من نسل لاوى ،  
وحاء اليهود من نسل يهودا ، وبذلك لا يكون موسى صلوات الله وسلامه  
عليه يهوديا ، ولا يوسف ، فهما من بني إسرائيل وأخوا يهودا لدى ينسب  
إليه اليهود . وإن دارس التوراة ينحط تعصب أنبياء اليهود لفرع يهوذا . فبني  
مثل أشعيا لا يذكر موسى أبدا في إصحاحاته ، فموسى عليه السلام من  
اللاويين ، أما أشعيا فمن نسل يهودا

وسترى الآن كيف صورت التوراة حياة يهودا أنى اليهود جميعا : « وأخذ  
يهودا روحه لغير بكره اسمها ثامار . وكان غير بكر يهودا شريرا في عيني  
الرب ، فأقامته الرب ..

ولما طال أرمال ماتت أمة سوع امرأة يهودا ، ثم تعرى يهودا فصعد إلى  
جُرَّار عمة إلى ثمة هو وحيرة صاحبه العذلامى فأحبرت ثامار وقيل لها : هو  
داحموك صاعد إلى ثمة ليحرم عمة . فحللت عنها ثياب ترملها وتعطت برفع  
وتلففت وحلست في مدخل عسايم التى على طريق ثمة ، فطرها يهودا وحسبها  
راية لأنها كانت قد عطت وجهها . فمال إليها على الطريق وقال : هاتى أدخل  
عيك لأنه لم يعلم أنها كُتته . فقالت : ماذا تعطى لى تدخل على .  
فقال : إلى أرسل حدى معزى من العسم . فقالت : هل تعطى رهنا حتى  
ترسده ؟ فقال : ما الرهن لدى أعطيك ؟ فقالت : حاتمك وعصابتك  
، عصائك التى في يدي ، فأعطها ودخل عندها فحبلت منه . ثم قام ومصت  
وحبعت عنها برفعها وليست ثياب ترملها .

فأرسل يهودا حدى المعزى بيد صاحبه العذلامى ليأخذ الرهن من يد المرأة  
فمن يجردها . فسألهن مكانها قئلا . أين الراية التى كانت في عسايم عى  
نصيرى ؟ فقدوا . ما تكن ههنا رية . فرجع بن يهودا وقال : لم أجد وأهل



المكان أيضا قالوا لم تكن ههنا زانية ، فقال يهودا : لتأخذ لنفسها ثلا نصير إهانة . إني قد أرسلت هذا الجدى وأنت لم تجدها

ولما كان نحو ثلاثة أشهر أخبر يهوذا وقيل له : قدرنت ثامار كنتك وها هي حبل أيضا من الزنا ، فقال يهوذا أخرجوها فتحرق . أما هي فلما أخرجت أرسلت إلى حميها قائلة : من الرجل الذي هذه له أنا حبل ؟ وقالت : حقق لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه ؟ فتحققها يهودا وقال : هي أبرأ مى .. »

ماذا كان جراء يهودا الزانى الذى ألمحت له روح انه توأمن ؟ إن يعقوب ( إسرائيل ) يقول له وهو يجود بأنفاسه : « يهوذا إياك يحمدا إحوتك . يدك على قفا أعدائك . يسجد لك هو أيث » .

أهذا وحى من الله ؟ أيكون جراء الرانى بركة وحدا ؟ فمن الحجر إذن ؟ إنها أهواء الذين كتبوا التوراة فى المصى وإسم جميعا من سسل يهودا ، من اليهود فلا عرو إن تحير واليهودا وعمر واله جرمة الرنا ، وقد التمسوا له عدرا بأن قالوا إنه لما رى المرأة لم يكن يعرف أنها روح ابيه . وأرادوا أن يبرروا شهامته فجعوه يبعث صديقه ليدفع ثمن معنته كما فعل معنة لا يندى ها جين الشرفاء من اناس فما بالك بسبط من الأسباط الذين يقول القرآن فيهم : « إنا أوحيا إليك كما أوحيا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحيا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتيا داود زبوراً » (١) .

وإن تصور الدين كتبوا التوراة فى المصى لله حل شأنه قاصر عجيب ، إنه فى رعمهم لا يستطيع أن يميز بين بيوت المؤمنين وبيوت الكافرين إلا بعلامة

توضع على بيوت المؤمنين : « .. فإني أختار في أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس بالهائم وأصنع أحكاما لكل آلهة المصريين . أنا الرب ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها . فأرى الدم فأعبر عنكم ، فلا يكون عليكم صربة للهلاك حين أضرب أرض مصر . ويكون لكم هذا اليوم تذكارا فتعبدونه عبيدا للرب في أجيالكم تعبدونه فريضة أبدا » .

وهكذا كنتم الرب موسى وهارون في أرض مصر في سفر الخروج في توراة المسمى ، وهكذا جعلوا الله لا يميز بين دور بني إسرائيل ودور المصريين إلا بعلامة من دماء الشاة التي أمرهم بدبحها وأكدها بمعجزة فصحا للرب ! إنه إله يختار أرض مصر في تلك النبوة كأنه مسافر غابر . ولا جرم فقد تصوروا أن الله حقق آدم على صورته ، وما دام آدم يمشي في الأرض فلا عربة أن يمشي الله في أرض مصر تلك النبوة ويختارها وهو يبحث عن علامات الدم على دور بني إسرائيل ، حتى لا يخطئ ويصيب عباده بقيمته

والآن تلقى السمع إلى بعض آيات الله لرى موسى وهارون في القرآن اعظيم وكيف يعرفان الله تعالى وأنه يسمع ويرى بلا علامات على دور بني إسرائيل ، وأنه الذي أعطى كل شيء حقيقته ثم هدى ، وأنه مالك يوم الدين ، وإن كانت توراة المسمى لم تعرف إلا الأرض التي لا رجعة منها ولم تتحدث عن البعث أبدا : ﴿ وهل أتاك حديث موسى \* إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعل آتيكم منها بقبس أو أنحد على نار هدى . فلما أتاهم بردى يا موسى \* إني أنا ربك فاحلح بعبيك بك بالود المقدس طوى \* وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى \* إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري \* إن ساعه أتيه أكاد أحصيها لنحري كل نفس بما تسعى \* فلا يصدك عنها من

لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى \* وما تلك بيبيك يا موسى \* قال هي عصا  
أتوكأ عليها وأهش بها على غممي ولي فيها مآرب أخرى \* قال ألقها يا موسى  
\* فألقها فإذا هي حية تسعى \* قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى  
\* واصمم يدك إلى حياض تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى \* سريث من  
آياتنا الكبرى \* اذهب إلى فرعون إنه طغى \* قال رب اشرح لي صدري ويسر  
لي أمري \* واحبل عقدة من لساني ، يفقهوا قولي \* واجعل لي وزيرا من أهلي  
\* هارون أخي \* اشدد به أزري \* وأشركه في أمري \* كي نسبحك كثيرا \*  
وندرك كثيرا \* إنك كنت با بصيرا \* قال قد أوتيت سؤلث يا موسى \*  
ولقد مننا عليك مرة أخرى ﴿١﴾ .

﴿١﴾ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعادي فاضرب لهم طريقا في البحر يسا  
لا تخاف دركا ولا تمحشى ﴿٢﴾ .

إذ الله سبحانه وتعالى يقص علينا في محكم آياته قصة موسى نشع نورا ،  
قصة له قادر ورسول كريم . أما الذين كتبوا لتوراة في أرض السى فما  
قدرو الله حق قدره ، جعلوه — سبحانه وتعالى عما يصفون علوا كبيرا —  
لا يميز بين بيوت بنى إسرائيل وبيوت المصريين إلا بعلامة من دم الأصحية ،  
وجعلوه يأمر بنى إسرائيل بأن يأكلوا الفطير سبعة أيام احتفالا بتحريضهم من  
ذل فرعون : « سبعة أيام تأكلون فطيرا . اليوم الأول تعزلون الخمير من  
بيوتكم ، فإن كل من أكل خميرا من اليوم الأول إلى اليوم السابع تقطع تلك  
النفس من إسرائيل ، ويكون لكم في اليوم الأول محفل مقدس ، وفي اليوم

(١) طه ١١ — ٣٧

(٢) طه ٧٧ .

السابع محفل مقدس ، لا يعمل فيها عمل إلا ما يأمركه كل نفس فذلك وحده يعمل منكم . وتحفظون الفطير لأنى في هذا اليوم عيبه أخرجت أجدادكم من أرض مصر . فتحفظون هذا اليوم في أجيالكم عريضة أبدية . في الشهر الأول في اليوم الرابع عشر من الشهر مساء تأكلون فطيرا إلى اليوم الحادى والعشرين من الشهر مساء . سبعة أيام لا يوحده خمير في بيوتكم ، فإن كل من أكل مُحْتَمِرا تقطع كل النفس من جماعة إسرائيل العريب مع مولود الأرض . لا تأكلوا شيئا مُحْتَمِرا . في جميع مساكنكم تأكون فطيرا .

إنه لأنه يهتم بالخمر وبالفطير أكثر من اهتمامه بتربية النفوس المؤمنة . إنه لم يذكر كلمة واحدة عن دار السلام ولم يزل دار الغرور بكلمة تتحدث التعلق بها . فالعلاقة بين الرب وعباده صارت على أيدي كتاب التوراة في اسمى علاقة مفعلة مباشرة يعود نفعها كله على العباد . فعلى الرب أن يحمي عبده وأن يطمعه وأن يكسوه فإن فعل ذلك أقر العبد بربوبيته وإلا فلا عادة ولا حمد . وقد صوروا بنى إسرائيل في صورة تثير الدهشة ، فعد المعجرات التي قام بها موسى وبعد أن أنقذ الله بنى إسرائيل من دل العبودية في مصر وبعد أن « كان الرب يسير أمامهم هاراً في عمود من سحاب ليهديهم في الطريق وليلا في عمود نار لبيضئ لهم لكي يحوشوا هاراً وليلا لم يصدقوا موسى ولم يؤمنوا . بل أنه موسى . وقد آمنوا به وصدقوا رسونه لما رأوا أعداءهم أمواتا على الشاطئ : « فخلص الرب في ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين ، ونظر إسرائيل المصريين أمواتا على شاطئ البحر ، ورأى إسرائيل الفعل العظيم الذي صعه الرب بالمصريين ، فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبدته موسى » .

بهم يصلون لله بعد ذلك البصر ولكن صلاتهم لم تكن حاضرة لله وحده فقد كانت قلوبهم مشوبة بالشرك ، فهم يقولون في ابتلااتهم : « من مثلك بين

الآلهة يا رب ؟ من مثلك معترا في القداسة . « كأما هالك آلهة معه وليس بينهم مثل إلههم . أكان موسى كلم الله يسمح بمثل ذلك الشرك دون أن يثور ؟ أو كان موسى يسمح لأخته مريم النبية أخت هارون بأن تأخذ الدف بيدها وأن تخرج ورءها جميع النساء بالدفوف فيأخذون في الرقص ؟ إنها أفكار وتصورات الدين وضعوا التوراة في أرض العراق أيام أن كان الشراب والرقص والشرك منتشرا في بلاط البابيين

وقال كلمة التوراة إن موسى عليه السلام أطلق على إلهه اسم يهوه بعد أن بى مدحا للرب شكرا على انتصار إسرائيل على عماليق ، ولم يعطوا مبررا هذه التسمية ، ويلاحظ أنهم قد بدأوا إطلاق اسم إسرائيل على بى إسرائيل ، ومن العرب أنهم جعلوا « يثرون » كاهن مديان حما موسى يقول هو الآخر لما سمع ما فعل إله موسى لبى إسرائيل ١٠ « الآن عذمت أن الرب أعظم الآلهة » فهو على حد قول كتاب التوراة يعتقد أن هك آلهة مع الرب وأن الرب أعصمهم . وهذا القبول لا يختلف في كثير ولا قليل عما كان يقال في نابل من أن مردوخ هو رب الأرباب . إنها عبارات لم تكن من وحي الله وبكها من وحي لبيئة التي عاش فيها كتاب التوراة .

وعندما يتحلى الله لموسى فوق جبل سيناء يقول : « أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية . لا يكن لك آلهة أخرى أمامى . لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة مما فى السماء من فوق ومما فى الأرض من تحت ومما فى الماء من تحت الأرض ، لا تسجد لهم ولا تعبدهم لأنى أنا الرب إلهك إله غيور أعتقد ديوب الآباء فى الأبناء فى الأحيى الثالث والرابع من معصى وأصنع إحسانا إلى الأوف من محبى وحافطى وصابى . لا تسطق باسم الرب إلهك باصلا . لأن الرب لا يبرك من يطق باسمه باطلا اذكر يوم نسب

لنقدسه . ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك ، وأما اليوم السابع ففيه ست للرب إلهك . لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وميمتك ونربك الذى داخل أبوابك لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح فى اليوم السابع . لذلك يبارك الرب يوم السبت وقدمه . أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك لا تقتل . لا تزنى . لا تسرق . لا تشهد على قريبك شهادة زور ، لا تشته بيت قريبك . لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمتة ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك .

إله غيور ، يفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء . أهذا عدل إلهى أم تصور من تصورات الذين كتبوا التوراة فى المسيح ؟ « وإن مهم لعريقا ينورون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون »<sup>(١)</sup> .

« ولقد آتينا موسى الكتاب فاحتلف فيه ولولا كلمة سيفت من ربك نقصى بينهم وإهم لعى شك منه مريب »<sup>(٢)</sup>

ليس من العدل فى شيء أن يفتقد إله ذنوب الآباء فى الأبناء : « ولكل درجات مما عملوا وليوفهم أفعالهم وهم لا يظلمون »<sup>(٣)</sup> « قل أمر ربي بالقسط ... »<sup>(٤)</sup>

« لا يكف الله نفساً إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت »<sup>(٥)</sup> . « ولا ترور رارة ورر أخرى »<sup>(٦)</sup> . « من عمل صالحاً

(١) آل عمران ٧٨ (٢) هود ١١٠

(٣) الأحقاف ١٩ (٤) الأعراف ٩

(٥) البقرة ٢٨٦ (٦) الأنعام ١٦٤

ففسمه ومن أساء فعلها وما ربك بظلام للعبيد» (١) .

ولم يذكر رب موسى في هذه الوصايا جزاء الصالحين والظالمين في الدار الآخرة ، فقد نسي الدين كتبوا التوراة في المنفى البعث والحساب . بهم اعتقدوا معتقدات البابليين وقد كانوا يقربون إلى آلهتهم يعطيلوا أعمارهم على الأرض ولا يسعادهم في دار العرور . وإن نفس الشيء يقوله رب الذين كتبوا التوراة : « أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك » . فالجزاء يبعي أن يكون في الدنيا . وقد أثر ذلك في الماديين الذين يريدون المثوبة في الأرض ويكررون كل حياة بعد الموت : « إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمنعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوىهم » (٢) : « وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تعربكم عدا ربى إلا من آمن وعمل صالحا فاولئك هم جزاء الصعف بما عملوا وهم في العرفات آمنون » (٣) .

ولستمر في قراءة الإصحاح العشرين من سفر الخروج : « وكان جميع الشعب يرون الرجود والبروق وصوت الوق وخيل يدرج ( من أجل أن الله نزل على جبل سيناء ) . ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد وقالوا لموسى تكلم أنت معنا فسمع ولا يتكلم معنا الله للاموت فقال موسى للشعب لا تخافوا ، لأن الله إنما جاء لينتحكم ولكي تكون مخافته أمام وجهكم حتى لا تخطئوا . فوقف الشعب من بعيد وأما موسى فاقترب من الضباب حيث كان الله .

(١) فصلت ٤٦

(٢) محمد ١٢

(٣) سبأ ٣٧

فقال الرب لموسى : هكذا تقول لى إسرائيل أنتم رأيتم أسمى من السماء تكلمت معكم ، لا تصنعوا معى آلهة فضة ولا تصنعوا معى آلهة ذهب . مدحنا من تراب تصنع لى تدبج عليه محرقاتك وذبائح سلامتك غمتمك وبقرك . و كل لأماكن التى فيها أصنع لاسمى ذكر ، آتى إليك وأباركك . وإن صمعت لى مدحنا من حجارة فلا تسه منها مسحوة . إذا رفعت عليها زميلك تدنسها ولا تصعد بدرج إلى مدبجى لكىلا تنكشف عورتك عليه .

جعلوا لله مكانا . إنه فى الصباب وجمعوه إليها يتعطش إلى دماء العجم والقر : « لى يبال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يباله التقوى مكم » (١) . إنه يباهم عن صنع آلهة من فضة أو ذهب ولكنهم سرعان ما صنعوا عجلا من ذهب وعبدوه لأهم ما دامت كل تعاليمهم أرضية لا يطيقون البعد عن عبادة الذهب ، فبالذهب يصعمون وبالذهب يكسون وبالذهب يكون هم سلطان فى الأرض وهذه كل انعايات التى يعبدون الله من أحلها ، ومادام الذهب يحققها لهم فهو الإله المعبود .

ويسرد الإصحاح الحادى والعشرون من نفس السفر لأحكام اتى أمر الله موسى أن تطبق على بنى إسرائيل « وهذه هى الأحكام التى تضع أمامهم : إذا اشتريت عبدا عربيا فست سمين تخدم وفى السابعة يخرج حرا . إن دخل وحده فوحده يخرج . إن كان بعل امرأة تخرج امرأته معه ، وإن أعصاه سيده امرأة وولدت له ننين أو سات فالمرأة وأولادها يكون لسيده وهو يخرج وحده . ولكن إن كان العبد يحب سيده وامرأته وأولادى لا أخرج حرا يقدمه سيده إلى الله ويقدمه إلى الباب أو القائمة ويثقب سيده أذنه بالثقب



فيحدمه إلى الأبد . وإذا باع رجل ابنته أمة لا تخرج كما يخرج العبد . إن قبحت في عيني سيدها الذي خطبها لمسه يدعها تفك . وليس به سلفان أن يبيعها لقوم أجناب بعده بها . وإن خطبها لابه فبحسب حق البيات يفعل لها . إن اتحد لمسه أخرى لا ينقص طعامها وكسوتها ومعاشرتها . وإن لم يفعل لها هذه الثلاث تخرج محانا بلا ثمن .

من صرب إنسانا فمات يقتل قتلا . ولكن الذي لم يتعمد بل أوقع الله في يده فأنما أجعل له مكانا يهرب إليه . وإذا بيع إنسان على صاحبه ليقتله بعذر فمن مذبحي بأحده لموت . ومن صرب أباه أو أمه يقتل قتلا . ومن سرق إنسانا وباعه أو وجد في يده يقتل قتلا . ومن ستم أباه أو أمه يقتل قتلا . وإذا تخاصم رجلان فصرب أحدهما الآخر بحجر أو بدكمة ولم يقتل بل سقط في الفراش . فإن قام وتمشي خارجا على عكازه يكون الصارب بريئا . . .  
والذي يهمننا من هذه الأحكام أن الشريعة الموسوية قد أقرت الرق وأباحت بيع العبراني وأن يبيع الرجل نفسه . بل إننا نجد في مستهل الإصحاح الثاني والعشرين من هذا السفر أنه يسرق يبيع بسرقة ، فما بال الكتاب اليهود والمسيحيين المحققين على الإسلام يهاجمونه في ضراوة لأنه لم يلغ الرق طفرة ؟ .

لم يشأ الإسلام أن يلغى الرق بأمر يحرمه لأنه وجد في ذلك رغبة للحياة الاقتصادية السائدة وحاف أن يبقى عبيد وعشرة لم يعرفوا غير بيوت ساداتهم في الطرقات دون شفقة ، فمن من القواعد ما يحذف جميع روافد الرق ولم يستحدث رافدا واحدا يريد مشكلة الرق تعقيدا . ولو طبق الإسلام بعيدا عن هوى الحكام نقصى على الرق قضاء مبرما في ثلاثة أجيال على الأكثر . ولم يسمح الإسلام ببيع الآباء للأبناء كما سمحت أحكام الرب التي ( صبح مكة )

كتبها أحمار اليهود في المنفى ، ولم يقرر أن السارق يمكن في بعض الحالات أن يباع سرقة ، بل حكم بقطع يد السارق ليكون عبرة لغيره ، أم حرية الفرد فلم يصادها الإسلام مهما كانت الأسباب .

ونلاحظ أن جميع الأحكام الواردة في الإصحاح الحادى والعشرين والإصحاح الثانى والعشرين من سفر الخروج لا تختلف في كثير ولا قليل عن القوانين التي كانت سائدة في بابل في عصر تدوين التوراة ، حتى الذي يعتصب عدراء يطبق عليه ما كان يطبق على فاعل ذلك في العراق : « وإذا راود رجل عدراء لم تخطب فاضطجع معها يمهرا لنفسه زوجه . إن أبى أبوها أن يعطيه إياها يزد له فضة كمهر العذارى ... كل من اضطجع مع هيمة يقتل قتلا . من دبج لآلهة غير الرب وحده يهلك » .

من يضطجع مع هيمة يقتل قتلا أما من يضطجع مع عدراء فيعطى لأبيها من الفضة مهر عدراء 1 إنه لا يجلد إذا كان غير محصن ولا يرجم إذا كان محصنا ، وم الحنن والرحم ما دام سيدفع الثمن بالفضة ؟ وعمادا يصرح له يا ترى لو كان الدفع بالذهب 1؟

إن الذين كتبوا التوراة في المنفى لا يستطيعون أن يغمصوا أعينهم عن الذهب والفضة وإن إلهم يمهرا الذهب والفضة . انظر إليه وهو يتحدث موسى عليه السلام لما ذهب ليقات ربه :

« وكلم الرب موسى قائلا . كلم بنى إسرائيل أن يأخذوا الى مقدمة . من كل من يحته قلبه تأخذون تقدمنى . وهذه هى المقدمة اتى تأخذوها منهم : ذهب وفضة ونحاس وأسماجوني وأرخوان وقرمر وبوص وشعر معرى وجنود ككاش محمرة وجلود تحس وحشب شط وزيت للمارة وأصياب لدهن المسحة ولسحور العطر وحجارة حرق وحجارة ترصيع للرداء والصدرة ،

فيصنعون لى مقدسا لأسكن فى وسطهم .

ذهب وفضة وغاس وأرجوان وقرمر وشعر وجلود . لماذا كل هذا ؟  
ليصنعوا للرب مسكنا مقدسا ليسكن وسطهم وخدمهم ، أما بقى العالم فما  
صره لو عاش بلا إله . إنه إله بى إسرائيل وخدمهم . لهم تشرق الشمس  
ويتألقى القمر وتنبث الأرض حيا وتمطر السماء ، أما باقى البشرية فهم عبيد  
لهم ، ليس لهم أن يسألوا الله أو يتوكلوا عليه . فعروا الدين كتبوا التوراه فى  
المسى أعماهم عن معرفة كه الله سبحانه وتعالى وما قدروا الله حق قدره ،  
فبنوا له مسكنا ماديا ليعيش فى وسطهم سبحانه وتعالى عما يصفون . والآل  
لر ذلك المسكن الذى بوه لله : « بحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن  
ومثال جميع آيسته هكذا تصنعون . فيصنعون تابوتا من خشب لسط طوله  
دراعا ونصف وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه درع ونصف وتعشيه  
بذهب نقى . من داخل ومن خارج تُعشيه . وتصنع عليه إكبيلا من ذهب  
حواليه . وتُسبك له أربع حلقات من ذهب وتعملها على قوائمه الأربع على  
حايه الواحد حلقتان وعلى حايه الثانى حلقتان . وتصنع عصوين من حشب  
السط وتعشيهما بذهب وتدخل العصوين فى الحلقات على حايى التابوت  
ليحمل التابوت هما . تبقى العصوان فى حلقات التابوت . لا ترفعان مها .  
وتصنع فى التابوت الشهادة التى أعطيك .

وتصنع عطاء من ذهب نقى طوله درعا ونصف وعرضه دراع  
ونصف ، وتصنع كُرَّوِينَ من ذهب صعة حراطة تصعهما على طرفى  
العطاء . فاصع كروبا واحدا على الطرف من هما وكروبا آخر على الطرف  
من هاك . من العطاء تصمون الكرويين على طرفيه ويكون الكروبان باسطين  
أححتهم إى فوق مظللين بأححتهم على العطاء ووجههما كل واحد إلى

الآخر . نحو الغطاء يكون وجهها الكرويين ..

وأراه الله كيف يصنع مائدة من حشب السبط ، وكيف يصنع منارة من ذهب نقي ، وذكر له تفصيلات مهندس في مصع ، وإن المرء يتساءل أكان دهاب موسى لحيقات ربه ليسمع منه كيف يصنع تابوتا صبع آلاف مثله قدماء المصريين والآشوريين والبابليين ؟ وفيه كان حرص الإله على أن يكون كل شيء من الذهب ؟ إنه حرص الأدلاء الذين كانوا أسرى في بابل يحملون بالذهب ، وحاشا لله أن يكون هكذا ماديا كملوك الأرض يحتفل بالذهب وبالنقوش .

واستمر الله الذي تصوره كسنة البوراة يصف لموسى وهو يساجيه خلال الأربعين يوما كيف يصنع سرح المارة السعة من ذهب نقي ، وكيف الأوى من ورة ذهب نقي ، وكيف يصنع حيمة الاجتماع . ووصاه بأن يقرب أحاه إليه وبنيه معه من بين بني إسرائيل ، وأن يصنع ثيابا مقدسة هارون . وراح يصف في إسهاب صفة الثياب المقدسة فهو إله مادي يجهه يطهر والذهب النقي ولا علاقة له بقلوب ، ثم نصب ذلك الإله هارون ليكون كاهنا للرب وحمل هذه الكرامة وراثته في سبه ، ثم راح يصف ما يفعل بهم ليستحقوا الكهانة المقدسة « وهذا ما تصعده لهم لتقديسهم ليكهوا لي - حذ ثورا وحدا ابن بقر ، وكشيشين صحيحين ، وحيز فطير ، وأقراص فطير ملتوتة بريت ، وورفاق فطير مذهوبة بريت ، من دقيق حطة تصعدها وتجعلها في سة واحدة وتقدمها في السة مع الثور والكشيشين

وتقدم هارون وبنيه إلى باب حيمة الاجتماع وتغسلهم بماء ، وتأخذ الثياب وتلبس هارون القميص وحبه الرداء والرداء والصدرة ، وتشده بزوار الرداء وتضع لعمامة على رأسه وتجعل الإكليل مقدس على العمامة ( الإكليل مقدس

من الذهب البقي ) ، وتأخذ دهن المسحة وتسكبه على رأسه وتمسحه وتقدم  
بنيه وتلبسهم أقمصا ومطقةهم عماطق هارون وبنيه ، وتشد لهم قلاص .  
فيكون لهم كهنوت مريضة أبدية ، وتملأ يد هارون وأيدي بنيه .

وتقدم الثور إلى قدام حيمة الاجتماع فيضع هارون وبوه أيديهم على رأس  
الثور ، فتذبح الثور أمام الرب عند باب حيمة الاجتماع ، وتأخذ من دم الثور  
وتعمله على قرون المذبح بأصبعك . وسائر الدم تصبه إلى أسفل المذبح .  
وتأخذ كل الشحم الذي يغشى الخوف وريادة الكبد والكليتين والشحم  
الذي عليهما وتوقدها على المذبح . وأما لحم الثور وجلده وفرثه فتحرقها بنار  
خارج المحلة هو دبيحة خطية .

وأكتفى بهذا القدر ومن يشأ معرفة ما يحرى للكش الأول والكش الثاني  
وباقى المراسيم فليرجع إلى الإصحاح التاسع والعشرين من سفر الخروج  
ألا يذكر ذلك بالراى ؟ أكان دهاب موسى ميقات ربه ليسمع منه مثل  
هذا الكلام ؟ وهارون الذى يصبه الله كاهن فى ذلك الوقت ماذا كان يصنع ؟  
لنقرأ ما كتبه عنه الذين كتبوا التوراة فى المسمى ١٠ و ١١ رى الشعب أن موسى  
أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له : هم اصنع لنا  
آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا موسى الرجل الذى أضعدا من أرض مصر لا يعلم  
ماذا أصناه فقال لهم هارون : ارفعوا أقراط الذهب التى فى آذان سائكم  
وسيكم وساتكم وأتوني بها فرع كل الشعب أقراط ذهب التى فى آذانهم  
وأتوا بها إلى هارون . فأخذ ذك من أيديهم وصوره بالإرميل وصنعه عجلا  
مسوكا . فقالوا : هذه آهتك يا إسرائيل التى أضعدتك من أرض مصر . فما  
نظر هارون بنى مذبحا أمامه . ونادى هارون وقال : عدا عيذ الرب . فبكروا  
فى لعد وأضعدوا محرقت وقدموا ذائح سلامة . وحس الشعب بالأكل

والشرب ثم قاموا للعب .

يقول الذين كتبوا التوراة في انفى إن هارون هو الذى صنع العجل ، فهل يا ترى نصبه الله كاهنا وجعل الكهانة في بيته إلى الأبد مكافأة له على أنه كان أول المشركين ؟ ! إنها صورة مهزورة لا تقبل من قصاص فما بالك بأنساء أحبيهم اليهود حتى قالوا إن أحدهم ابن الله !

وقال الله في محكم كتابه يروى ما كان من موسى وهارون ومن قوم موسى : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون احققى في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المستدين . ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فمات يحيى ربه للجبل حصبه دكا وحر موسى صعبا فلما أفاق قال سبحانك ببت إليك وأنا أول المؤمنين . قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين . وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فحدها بقوة وأمر قومك بأخذوها بحسبها سأوريكم دار الفاسقين . سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية يؤمنوها وإن يروا سبيلا ارشدا لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيلا ألقى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافين . والذين كذبوا بآياتنا وبقاء الآخرة حطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون . واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكرمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين . ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرهم ربنا ويعمر لنا الكون من الخسرين . ولما رجع موسى إلى قومه عصبا أسفا قال بنسما حنتموني من بعدى أعجلتم أمر ربكم

وَأَلْقَى الْأَنْوَاحَ وَأَتَّخَذَ بَرَأْسَ نَحْيِهِ يَجْرُهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ بْنِ الْقَوْمِ اسْتَصْعَمُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تَشْمَتْ بِي الْأَعْدَاءُ وَلَا تَعْلَمُنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأُدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١) .

وبرأ القرآن الكريم هارون من صفع العجل ، فما كان لسي أن يكون أول الكافرين : « فرجع موسى إلى قومه عصاة أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يجل عبيكم عصب من ربكم فأخفتم موعدي : قالوا ما أخفنا موعداك سلكنا ولكننا حملنا أوزارنا من رية القوم فقد دهاها فكذلك ألقى السامري . فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى . أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا . ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري . قالوا لن نرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى . قال يا هارون ما معك إذ رأيتهم صلبوا . ألا تتعن أفغصبت أمري . قال يا ابن أم لا تأخذ بعجيتي ولا برأسي إلى خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي . قال فما خطبك يا سامري . قال بصرت مما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فبدتها وكذلك سولت لي نفسي . قال فما ذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعد لن نحلفه وانظر إلى إلهك الذي طلعت عليه عاكفا لخرقه ثم لنسفه في اليوم نسفا ، إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما (٢) .

وهكذا صور القرآن ما جرى بين موسى عليه السلام وربه سبحانه وعاني ، أدب في الحصاب وإله عصور وسي ينتمس «عصرة لنفسه ولأخيه ، وشعب يطلب رحمه ربه . « ما كتبه التوراة فقد جعلوا رب إسرائيل

يثور فيؤنبه موسى عن ثورته : « فقال الرب لموسى اذهب أنزل . لأنه قد فسدت شعبك الذى أصعدته من أرض مصر . راعوا سريعا عن الطريق الذى أوصيتهم به . صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له ودبحوا له وقالوا : هذه آهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر . وقال الرب لموسى : رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة ، فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأميبهم فأصيرك شعبا عظيما . فتصرع موسى أمام الرب إلهه وقال : لماذا يا رب يحمى عصبك على شعبك الذى أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة ؟ لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بحيث ( حاشا لله ) ليقتلهم فى الجبال ويفتنهم عن وجه الأرض . ارجع عن حمو عصك وادم ( حاشا لله ) على الشر بشعبك . اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين خلعت لهم بعصك وقت لهم : أَكْثَرُ لَكُمْ بَسْكُمْ كحجوم السماء ، وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التى تكلمت عنها فيملكوها إلى الأبد . قدم الرب ( حاشا لله ) على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه . »

ولا بد أن يرى موسى عليه السلام من مثل هذا انقول ، إنها أقوال أسياء المنفى وأحلامهم فهم لا يفتشون يذكرون الوعد الذى اخترعوه ولا يكتفون بذلك بل يذكرون فى قحة رب العرة بذلك الوعد حتى يستقر ذلك الوهم فى وحدان كل من يقرأ التوراة . وقد صدق المسيحيون الذين يقرءون التوراة التى وصفت فى اسفى ذلك الرعم فما أحهبوا أنفسهم فى تمحيص تلك المراعى ، وإن الدين أجهدوا أنفسهم قد كفروا بالدين وأكفروا وجود خالق لهذا الكون ، فالإله الذى وصفه الدين كتبوا التوراة فى المنفى أهون من أن يخلق ، ما دام بشر مهما كانت منزلته يؤنبه ثم يهديه إلى سبيل الرشاد وكان حوار بين الرب وموسى عليه السلام ، الرب يأمر موسى أن



يطلق إلى الأرض التي حلف لإبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها لذريتهم ، ولكن الرب قرر أن لا يطلق معهم ، فلما عرف القوم أن الله لن يكون معهم بكوا وكان حوار آخر بين الرب وموسى . وقبل الرب إكراما موسى أن يسير مع بني إسرائيل .

إن قارئ هذه الإصحاحات لا يمكن أن يتصور إلا أن الله سبحانه وتعالى رجل ، ففيها « ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه » . وفيه يقول الرب لموسى « عرفتك باسمك » . « لأن الرب اسمه عيور . إله عيور هو » . وإن المرء ليتساءل : آفغان بنى إسرائيل وعبادتهم العجل وبني الله موسى لا يزال بينهم تستحق أن يعدهم الله أن يحجهم أرض فلسطين إلى الأبد ؟ وماذا كان يعطيهم لو أنهم كانوا سامعين مطيعين ؟ إن ذلك الوعد لم يرد في ذكرى القرآن المحيد ، فقد كان حلم اليهود الذين كانوا في اسمى قدسه الذين كتبوا التوراة في أرض السبي في الإصحاحات والأشعار مناسبة وبلا مناسبة لإيهاهم قارئ التوراة أنه وعد من الله ، وإن كثرة تكراره ليحمل في طياته عوامل الشك فيه .

وقد ألبسوا موسى برقعا « وكان لما نزل موسى من جبل سيباء ولوحا الشهادة في يد موسى عند نزوله من الجبل أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع في كلامه معه . فظن هارون وجميع بنى إسرائيل موسى وإذا جلد وجهه يلمع فحافوا أن يقتربوا إليه . فدعاهم موسى فرجع إليه هارون وجميع الرؤساء في الجماعة فكلّمهم موسى وبعد ذلك اقترب جميع بنى إسرائيل فأوصاهم بكل ما تكلم به الرب معه في جبل سيباء . ولما فرغ موسى من الكلام معهم جعل على وجهه برقعا وكان موسى عند دخوله أمام الرب ليتكلم معه يرفع حتى يخرج ، ثم يخرج ويكلم بنى إسرائيل بما يوصى . فإذا رأى بو

إسرائيل وجه موسى أن جلده يسمع كأن موسى يرد البرقع على وجهه حتى يدخل ليتكلم معه .

صورة حسية للتعبير عن أنوار اليقين ، ولما كانت جميع تعبيرات الذين كتبوا التوراة بأيديهم مادية فلم يحظر لهم على قلب أن يتعللوا في الأفتدة للتعبير عن أنوار الإيمان التي تنعكس على الوجه . وهل أنوار اليقين التي تشع من الوجه تحتاح إلى برقع ؟! إنها أفكار رجال أفسدتهم أساطير الشعوب وما هي بوحى يوحى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه عتي حكيم » (١)

ويعود رب الذين كتبوا التوراة بأيديهم يتحدث عن الفطير كأنما مشاكل الدنيا والآخرة فطير وخمير ، ثم يتحدث عن أيام العمل الستة ويوم السبت المقدس وأن جزاء من يعمل فيه يقتل ، ويهاهم عن إشعال النار في يوم لست دون أن يبين حكمة ذلك كما لم يبين ما يعود على البشرية جمعاء من شرور من وجود الخمير في الدور !

ويتبى سفر الخروح ويذكر سفر اللاويين طريقة تقديم القرابين إلى الرب ، ومما يتضح أنه إله دموى يسره رائحة الشواء « ويدبح العجل أمام الرب ويقرب بنو هارون الكهنة الدم ويرشون الدم مستديرا على المذبح الذى لدى باب حيمة الاجتماع .

ولا أدري ماذا يحدث لو أن الدم لم يرش مستديرا ، وما حكمة رشه ؟ ثم يذكر الرب طريقة شواء كل مريان : « ويسلح الخرفه ويقطعها إلى قطعها ، ويجعل بنو هارون الكاهن نارا على المذبح ويرتبون حطبها على النار ، ويرتب بنو هارون الكهنة القطع مع الرأس والشحم فوق الحطب الذى على النار التي على المذبح ، وأما أحشائه وأكارعه فيعسها ماء ويوقد الكاهن الجميع على

المذبح مُحَرَقَةٌ وَقُودٌ رَائِحَةٌ سُرُورٌ لِلرَّبِّ .

وَرَأَى رَّبُّ الدِّينِ كَتَبُوا التَّوْرَةَ بِأَيْدِيهِمْ يَذْكُرُ فِي تَفْصِيلٍ عَجِيبٍ مَا يُفْعَلُ  
بِقُرْبَانِ السَّمِّ وَالصَّائِلِ وَمَا يُفْعَلُ بِقُرْبَانِ الدَّقِيقِ وَمَاذَا يُفْعَلُ إِذَا كَانَ الْقُرْبَانُ  
تَقْدِمَةً مِنْ طَاحِنٍ . وَابْتِهَمُوا أَنَّهُ الْبَاقِي مِنْ كُلِّ قُرْبَانٍ هُوَ لِهَارُونَ وَبِسَبِّهِ قُدْسٌ أَقْدَاسٌ  
مِنْ وَقَائِدِ الرَّبِّ وَبِئْسَ لِعُقْرَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ . فَمَا حَظُّ فَقَرَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِلدِّينِ  
كَتَبُوا تَوْرَةَ الْمَفْهُي عَلَى قَلْبٍ .

وَيَسْرُدُ سَفَرُ الْبَلَاوِينِ مَا يَفْعَلُهُ الدِّيُّ بِخَطِئِهِ سَهْوًا وَمَا يَفْعَلُهُ الدِّيُّ بِخَطِئِهِ  
وَكَانَ رَئِيسُ عَمَلٍ ، وَمَا يَفْعَلُهُ الْخَاطِئُ إِذَا حَانَ لِلتَّكْمِيرِ عَنْ حَطِيئَتِهِ . إِنَّهُ يَأْتِي  
ثَوْرٌ وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ . وَفِي حَالَةِ خَطِيئَةِ الْكَاهِنِ فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَقْرُبَ ثَوْرًا  
صَحِيحًا لِلرَّبِّ وَيَذْبَحَ الثَّوْرَ أَمَامَ الرَّبِّ . وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ الْمَسْوُوحَ مِنْ دَمِ  
الثَّوْرِ وَيُدْخِلُ بِهِ خِيْمَةَ الْاجْتِمَاعِ وَيَمْسَسُ الْكَاهِنُ إِبْصَعَهُ فِي الدَّمِ وَيَصْحُحُ مِنْ  
الدَّمِ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَمَامَ الرَّبِّ بِدِيِّ حُبَابِ الْقُدْسِ . وَيَجْعَلُ الْكَاهِنُ مِنَ الدَّمِ عَلَى  
قُرُونِ مَذْبَحِ ابْخُورِ الْعَطْرِ الدِّيُّ فِي خِيْمَةِ الْاجْتِمَاعِ أَمَامَ الرَّبِّ . وَسَائِرُ دَمِ الثَّوْرِ  
يَهْبِسُهُ إِلَى أَسْفَلِ مَذْبَحِ احْرِقَةِ الدِّيِّ لَدَى بَابِ خِيْمَةِ الْاجْتِمَاعِ وَجَمِيعُ شَحْمِ ثَوْرِ  
الْخَطِيئَةِ يَنْزَعُهُ عَنْهُ . . .

الدَّمُ لِلَّهِ وَاللَّحْمُ لِبَنِي هَارُونَ . بَعْضُ مَا كَانَ يَفْعَلُهُ كَهَنَةُ مَرْدُوخٍ فِي أَرْضِ  
بَابِلَ ، لَمْ تَكُنِ الصَّدَقَاتُ لِلْعُقْرَاءِ وَالْمَسْكِينِ بَلْ كَانَتْ لِلْكَهَنَةِ الْأَعْيَاءِ . وَلَا  
شَكَّ أَنَّ بَنِي هَارُونَ كَانُوا أَغْنَى طَوَائِفِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَكَانَ الْعَمَلُ لِلدَّلِيلِ رِصَا  
اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ عِنْدَ الدِّينِ كَتَبُوا بِأَيْدِيهِمْ تَوْرَةَ اسْمِي

وَمَنْ عَجِبَ أَنْ جُمِعَتِ الْكَفَّارَةُ مِنْ احْتِصَاصِ الْكَاهِنِ ، فَهُوَ يَكْفِرُ عَنْ  
الْخَطِيئَةِ إِذَا مَا قَدَّمَ الْخَاطِئُ الدَّبِيحَةَ . فَمَنْ ذَا الدِّيِّ لَا يَقْدَمُ دَبِيحَةً إِذَا مَا كَانَتْ  
كَفَّارَةً عَنْ ثَامِهِ ، . . . بَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ

طامون والله ما في السموات وما في الأرض يعمر لمن يشاء ويعذب من يشاء  
والله غفور رحيم» (١).

وأخذ الذين كتبوا التوراة بأيديهم فكرة اندار الدائمة على المذبح من  
المحوس ، فقد احتل الإيريبيون العراق أيام أن كان اليهود في أرض السبي .  
فالمحوس كانوا يسون بيوتا للنار المقدسة وكان الهريد وهو يقابل الكاهن في  
الديانة اليهودية يقف وقد أخفى معه برباط لكيلا تلوث أنفاسه النار  
ليغذى النار بقطع من الخشب ظهرت تصهيرا ديبيا ، ماذا يده بحرمة الخشب  
المسوى والمهيا طبقا لمراسم الدين ، مرتلا الأدعية الدينية ووصايا رب  
الدين كتبوا التوراة بأيديهم لا تختلف عن تلك المراسم المتعلقة بشريعة  
المحرقة : « وكلم الرب موسى قائلا : أوص هارون وبنيه قائلا ، هذه شريعة  
المحرقة ، هي المحرقة تكون على الموقدة فوق المذبح كل الليل حتى الصباح ،  
وبار المذبح تتقد عليه . ثم يلبس الكاهن ثوبه من كتان ولبس سراويل من  
كتان على حسده ويرفع الرماد الذي صيرت النار المحرقة إياه على المذبح ويضعه  
مخاض المذبح ، ثم يجمع ثيابه ويلبس ثيابا أخرى ويخرج الرماد إلى خارج المحلة  
إلى مكان ظاهر والنار على المذبح تتقد عليه ولا تطفأ . ويشعل عليها الكاهن  
حطبيا كل صباح ويرتب عليها المحرقة ويوقد عليها شحم دائح السلامة . نار  
دائمة تتقد على المذبح لا تطفأ » .

النار المقدسة عند المحوس تأجح على الدوام ونار المحرقة تشتعل طوال الليل  
وطوال النهار . « نار دائمة تتقد على المذبح لا تطفأ » . ومن المؤكد أن الدين  
كتبوا التوراة في اسمي أخذوا عن المحوس المراسم الطويلة المعقدة ، فالأوستا

الساسانية تفحص بتفاصيل دقيقة عن المراسم المقدسة تكاد تكتم الأنفاس صيفا  
 ، وكذلك الحال مع توراة المفى . ونيريسين الدين صاق السيد المسيح  
 بترمتهم كل العذر مادام كتابهم المقدس قد نص على تفصيلات دقيقة عند عمل  
 أى شيء ولم يترك فرصة للاحتجاج أو الاختيار . « ويسرك لليسرى ، فذكر  
 إن نفعت الذكرى »<sup>(١)</sup> . « قال رب اشرح لى صدرى . ويسر لى  
 أمرى »<sup>(٢)</sup> .

ويستمر سفر اللاويين يفصل ما يفعله الكاهن هارون وبوه فى ضحايا  
 التكفير عن الخطايا ، ثم يكلم الرب هارون . « وكلم الرب هارون قائلا :  
 خمرًا ومسكرا لا تشرب أنت وبوك معك عند دخولكم إلى خيمة  
 الاجتماع » . « فحرم عليهم الخمر أثناء القيام بوظائفهم الدينية أما بعيدا عن  
 بيت الرب فلهم مطلق الحرية فى أن يسكروا » .

وراح رب الدين كتبوا التوراة فى المسمى يعلم سى إسرائيل شريعة انولادة .  
 « وكلم الرب موسى قائلا : كلم سى إسرائيل قائلا : إذا حبلت امرأة وولدت  
 ذكرا تكون نحسة سعة أيام . كما فى أيام طمث عنتها تكون نحسة . وفى اليوم  
 الثامن يمس لحم عرسه ، ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما فى دم تطهيرها . كل شيء  
 مقدس لا تمس ، وإلى المقدس لا تجئ حتى تكمل أيام تطهيرها وإن ولدت  
 أنثى تكون نحسة أسوعين كما فى طمثها ، ثم تقيم ستة وستين يوما فى دم  
 تطهيرها » . لماذا هذا التعريق ؟ أولادة الذكر تحسف عن ولادة الأنثى ؟ أم  
 أنها تجاوزى لأنها لم تحب لبس إسرائيل ذكرا محاربا مقاتلا يكون عوناً لتنفيذ  
 أحلام الدين كانوا فى المسمى ؟ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا

(١) الأعل ٨ ، ٩

(٢) طه ٢٥ ، ٢٩

وهو كظيم»<sup>(١)</sup> . «يب لمن يشاء إناثا ويب لمن يشاء الذكور»<sup>(٢)</sup> وم يرق الإسلام بين الذكر والانثى في العمل ولأجر : «ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة»<sup>(٣)</sup> . وما بال كتاب توراة المسمى باجمة ؟ إن حنتهم أرضية العودة إلى الأرض التي زعموا أن الله قد وهبها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب وذريته ، وحرّم منها إسماعيل وذريته إكراما لئلا يدين جعهم كتاب توراة المسمى يكفرون ورسول الله موسى عليه السلام فيهم !

ويستمر سفر اللاويين يحدد وظيفة الكاهن في معامنة الأبرص ، ولا يسي نصيب الكهنة من الأصاحي سواء أكانت ثيرانا أو كباشا أو معرا أو حتى عصفير في كل عملية تطهير سواء أكانت تطهير من دس أو نعاسة أو برص أو قرع .

ويتحدث سفر اللاويين عن الجماع : « وإذا حدث من رجل اصصجاع زرع يرحص كل جسده ماء ويكون نجسا إلى المساء » . ولماذا يكون نجسا ما دام قد تطهر ، ومضى يقوم بعبادته لله إذا كان سيستمر نجسا طوال النهار ؟ وإن حديثه عن المرأة في انحيض يتسم بالقسوة ويدلل على شدة اهتمامه بالطهارة الخارجية ، الطهارة المادية ، أما طهارة النفس فلم يشغل رب الدين كتابا التوراة نفسه بها ، فما أهميتها ما دامت السعادة كل السعادة في حياتهم الأرضية : « وإذا كانت امرأة لها سين وكان سينها دما في لحمها فسعة أيام تكون في طمنها وكل من مسها يكون نجسا إلى المساء . وكل ما تضطجع عليه

(١) الفصل ٥٨

(٢) الشورى ٤٩

(٣) النساء ١٢٤ .

في صمئها يكون نحسا . وكل ما تحبس عليه يكون نحسا . وكل من مس  
نراشها يعسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نحس حتى امساء ، وكل من مس  
مناعا تحلس عليه يعسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نحسا إلى امساء . وإن كان  
على الفراش أو على المتاع الذي هي حالسة عليه عندما يمسه يكون نحسا إلى  
امساء . وإن اصططح معها رجل فكان طمئها عليه يكون نحسا سعة أيام ،  
وكل فراش يصططح عليه يكون نحس » .

أحكام قاسية دفعت بني إسرائيل إلى طرد امرأة حارح الدار ما دامت في  
حيصها لكيلا يقعوا في كل هذه المحصورات أو في بعضها وقد سمع المسلمون  
من بني إسرائيل في المدينة وهم يرعمون أنهم من نسل النكاهن هارون هذه  
الأحكام فسأوا رسول الله ﷺ — عن المحيص فأمر الله تعالى .  
﴿ ويسأونك عن المحيص قل هو الذي فاعتنوا النساء في المحيص ولا تقرنوهن  
حتى يصهرن فإذا تصهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب المتوحيين  
ويحب المتصهرين ﴾ (١) . وفئت يهود المسممين « إن نرجس يد في  
امرأته باركة كالولد أحول فأمر الله تعالى ﷻ ﴿ سبؤكم حربكم فأتوا  
حربكم أفي شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله وعلمو أنكم ملائكة وبشر  
المؤمنين ﴾ (٢) .

وكان الدين كشوا التوراة في اسمي حريصين على أن تكون لدبايح كلها  
يد لكهة حتى يصموا بصيهم ، فجعوا رب موسى يقول « وكلهم  
الرب موسى قائلا : كلم هارون وبنيه وجميع بني إسرائيل وقل لهم هذا هو  
الأمر الذي يوحي به الرب قائلا كل إنسان من بيت إسرائيل يدبح بقرا أو عينا

(١) بقرة ٢٢٢

(٢) بقرة ٢٢٣

أو معرى في الخمة أو يدبح خارج المحلة . وإلى باب خيمة الاجتماع لا يأتي به  
ليقر قربانا للرب أمام مسكن الرب يحسب على ذلك الإنسان دم . قد  
سلك دما فيقطع ذلك الإنسان من شعبه لكي يأتي بـ إسرائيل بدناحهم  
التي يذبحونها على وجه الصحراء ويقدموها للرب إلى باب خيمة الاجتماع إلى  
الكاهن ويدخوها دنائح سلامة للرب ، ويرش الكاهن الدم على مذبح الرب  
لدى باب خيمة الاجتماع ويوقد الشحم رائحة سرور للرب .. » . وجعلوا  
الدم كفارة عن نفس « لأن نفس اجسدهى في الدم ، فأما أعطيتكم إياه  
على المذبح للتكفير عن نفوسكم ، لأن الدم يكفر عن النفس » . وإن القرآن  
الكريم يقرر حقيقة تستريح إليها النفوس : « لن يبدل الله لحوما ولا دماؤها  
ولكن يناله التقوى منكم » (١) .

وأخيرا تذكر رب الدين كتبوا التوراة في سعى المساكين والعرباء :  
« وعدمه تحصدون حصيد أرضكم لا تكمل روبا حقلث في الحصاد .  
ولقاط حصيدك لا تنتقط وكرمك لا تعلنه ونثار كرمك لا تنتقط للمساكين  
والغريب تتركه ، أما الرب إلهكم » .

ويستمر سفر اللاويين في ذكر محارم الرجل والأحكام التي تطبق على  
الزنى والزانية وعلى الذين يأتون الذكور شهوة ثم يقول رب الكهان : « وإذا  
جعل رجل مصحعه مع بهيمة فإنه يقتل والبهيمة تميتونها ، وإذا اقترت امرأة  
بإلى البهيمة لرائها تميت المرأة ولبهيمة . إلهما يقتلان . دمهما عبيما » .

وكان كهنة مردوح في نابل محتوم أن تقدم القرابين لرب الأرباب كل  
صباح ومساء ، وكانت من حوم القر والخراف والبطة والور وكل ما لد



وطاب . وقد أخذ عنهم الذين كتبوا التوراة في المضي فأسهوا في ذكر ما يقدم  
لرب إسرائيل من قرايين : ١٠ وكلم الرب موسى قائلا : أوصي بني إسرائيل أن  
يقدموا إليك ريت ريتون مرصوص بقيا لإيقاد السرح دائما . خارج حجاب  
الشهادة في حزمة الاحتجاج يرتها هارون من المساء إلى الصباح أمام الرب دائما  
فريضة ذهبية في أحبالكم . على المنارة الطاهرة يرتب السرح أمام الرب  
دائما .

وتأخذ دقيقا وتجبره اثني عشر قرصا . عُشرين يكون القرص الواحد  
وتجعلها صهيرون كل صف ستة على المائدة الطاهرة أمام الرب . وتجعل على كل  
صف لبانا بقيا فيكون لبحير تدكارا وقودا للرب . في كل يوم سبت يرتبه أمام  
الرب دائما من عند بني إسرائيل ميثاقا ذهبيا . فيكون هارون وبنيه يأكلونه  
في مكان مقدس ، لأنه قدس أقدس له من وفائد الرب فريضة ذهبية ١

ولأسف عندما ترجمت التوراة إلى العربية ص المسلمون حسن قصد أن  
التوراة التي كتبت في سفي هي الكتب الأولى وأخذوا عنها دون تحييص أو  
مقارنة بينها وبين أحكام القرآن ، فأخذوا عادة إضاءة الشموع في الأضرحة  
أسوة بريت الريتون المقدس الذي كان يصاء للرب ، كأن الرب نور  
السموات والأرض في حاجة إلى صباء ريت الريتون المضي ، إنها عادة محوسية  
انتقلت إلى بني إسرائيل في السفي ثم انتقلت إلى المسلمين بسطاء الذين يدروا  
الشموع لأولياء الله الصالحين دون أن يخصرهم على بال أن ما يفعلونه إن هو  
إلا صرب من الوثنية

وقد مرح الذين كتبوا التوراة في المضي بين قرايين البابيين وقريين قدماء  
مصريين ، وقد عاش بنو إسرائيل في مصر والعراق ونشروا بديانة كل من  
اقطريين ففي مصر القديمة كان يوضع على موائد القرب في كل يوم من أيام  
( فتح مكة )

السنة و بانتظام ٣٢٢٠ رعيما من الحمر و ٢٥ قطعة من الكحل و ١٤٤ قدر  
من الحقة و ٣٢ بورة و بصعة قدور من لبيد . وكانت هذه القرايين هدايا من  
ناس حيرين ثم أصبحت واجبا تقوم به الدولة ، وكانت هذه القرايين لإعادة  
تكهنة وخدمة المعبد ، وهي في الشريعة اليهودية لإعادة الكهنة وخدمة حيمة  
الاحتجاج . ولم تقل الشريعة ذلك صراحة بل جعلت القرايين في بني إسرائيل  
واجبا مقدسا أبدا .

و لم يلحأ رب انديس كتبوا التوراة في المنى إلى وعيد الدين لا يفدون  
وصاياهم بنار جهنم فقد سوا الآخرة من طول معاشرتهم لأهل بابل ، بل جعل  
عده في الدنيا « .. لكن إن لم تسمعوا إلى و لم تعملوا كل هذه الوصايا . وإن  
رفضتم فرائضي وكرهت أنفسكم أحكامي فما عميتكم كل وصاياي بل كنتم  
ميثاق ، فإنني أعمل هذه بكم : أسلط عليكم رعيا و سبلا وحي تفي . عيين  
و تنف النفس و تررعون باصلا رر عكم فيأكنه أعداؤكم و أحعل وحيي  
صدكم فتهرمون أمام أعدائكم و يتسلط عليكم مبعصوكم و تهرون و يس من  
يطردكم .

وإن كنتم مع ذلك لا تسمعون و أريد على تأديكم سعة أصعاف حسب  
خطاياكم فأحطم فحار عركم و أصير سماءكم كالخديد و أرضكم كالنحاس ،  
فتفزع باصلا قوتكم و أرضكم لا تعطي عنتها و أشجار لأرض لا تعطي  
ثمرها

وإن سلكتكم معي بالخلاف و لم تشاءوا أن تسمعوا و أريد عبيكم صربات  
سعة أصعاف حسب خطاياكم . أطلق عبيكم و حوش البرية فتعدمكم  
لأولاد و تفرص بهائمكم و تنفدكم فتوحش طرفكم  
وإن لم تتأدبوا معي بذلك بل سلكتكم معي بالخلاف ، فإن نأسك معكم

بـخلاف وأصبركم سبعة أصعاف حسب خطاياكم أجلب عليكم سيما يتنقم  
بقمة الميثاق فيجتمعون إلى مدبهم وأرسل في وسطكم الرباً فتدفعون بيد  
العدو . تكسرى لكم عصا الخبز ثمر عشر ساء حر كم في تور واحد ويرددن  
حر كم بالوزن فتأكلون ولا تشيعون .

وإن كنتم بدلت لا تسمعون لي ، بل سلكتم معي بالخلاف ، فأنا أسدك  
معكم بالخلاف ساحطاً وأؤديكم سبعة أصعاف حسب خطاياكم . فتأكلون  
لحم بيكم وخم بساتكم تأكلون . وأحرب مرتفعاتكم وأقطع شمساتكم  
وألقى جثثكم على حثث أصنامكم وتردلكم نفسى . وأصير مدبكم حربة  
ومقداسكم موحشة ولا أشتم رائحة سروركم وأوحش الأرض فتوحش منها  
أعدائكم الساكون فيها وأدريكم بين الأمم وأحرد وراءكم السيف فتصير  
أرضكم موحشة ومدبكم تصير حربة . حينئذ تستوى الأرض سبعوها كل  
أيام وحشتها وأنتم في أرض أعدائكم حينئذ تستل لأرض وتسنو  
سبعوها كل أيام وحشتها ست مام ستة من سونكم في سبككم عبيها .  
والأقية منكم ألقى الحياة في قلوبهم في راضي أعدائهم فيهمهم صوت ورقة  
مدفعة فيهربون كاهرب من السيف ويسقطون وليس طرد . ويعز بعضكم  
بعض كما من أمام السيف وليس طارد . ولا يكون لكم قيام أمام أعدائكم  
فتبكون بين أشعوب وتأكلكم أرض أعدائكم ولياقوب مكم يعص  
بدوبهم في أرض أعدائكم . ويصا بدوب آبائهم يعص . ولكن إن أقروا  
بدوبهم ودوب آبائهم في حياتهم اننى حابونى . وسبوكهم معى ادى  
سلكوا بالخلاف وإلى أيضا سلكت معهم بالخلاف وأيت مبه إلى أرض  
أعدائهم . لا أن تحصع حينئذ قلوبهم العف ويستوفوا حينئذ عن دبوبهم أذكر  
ميشق مع يعقوب أذكر أيضا ميشق مع إسحاق وميشق مع إبراهيم وذكر

الأرض والأرض تترك منهم وستوى سوعها في وحشتهم منهم وهم يستوفون  
عن ديوتهم لأهم قد أبوا أحكامي وكرهت أنفسهم فرائضي ولكن مع ذلك  
أيضا متى كانوا في أرض أعدائهم ما أبيتهم ولا كرهتهم حتى أبيدهم وأنكث  
ميثاق معهم ، لأنى أنا الرب إلههم ، بل أذكر لهم الميثاق مع الأولين الذين  
أخرجتهم من أرض مصر أمام أعين الشعوب لأكون لهم إلها . أنا الرب .  
هذه هي المرائض والأحكام والشرائع التى وصعها الرب بيه وبين بني  
إسرائيل في جبل سيناء بيده موسى .

هكذا يقول الذين كتبوا التوراة في المنفى ، والخفيصة أنهم كانوا يصورون  
حاجتهم وهم أدلة في أرض السبي . إهم كانوا يعتقدون أن ما نزل بهم من عار  
إنما سببه أنهم عصوا أوامر الله ، ولما كانوا يؤمنون بالخزاء الأرضي فقد جعلوا  
وعيد الله كنه في الدنيا وليس من المقبول ولا المعقول أن رب موسى لا يذكر  
الآخرة ويوم الحساب ، ورب عيسى عليه السلام يذكر يوم الدين وحجرات  
النعم . وقال المسيح يابى إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله  
فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار <sup>(١)</sup> . . . من  
عمل سيئة فلا يجرى إلا مثبها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن  
فأؤتاك يدخلون الجنة يرفقون فيها بغير حساب . ويا قوم ما لي أدعوكم إلى  
النجاة وتدعوني إلى النار . تدعوني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم  
وأنا أدعوكم إلى انحرير انهار . لا حرم أنا تدعوني إليه ليس له دعوة في الدنيا  
ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار . فستذكرون  
ما أقول لكم وأقوص أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد . فوقه الله سيئات ما

مكروا، وحق بآل فرعون سوء العذاب البار يعرضون عليها عدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب» (١). ولقد أتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وإهم لمي شك منه مريب» (٢). ولما سكنت عن موسى العصب أحد الألواح وفي ساحتها هدى ورحمة للدين هم لربهم يرهبون ، واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أحدثهم الرحمة قال رب لو شئت هديتهم من قبل وإيأى أهيكما مما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت وليا عافى لما وارحما وأنت خير العافرين ، واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابى نصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون» (٣)

ما من رسول إلا ودعا قومه إلى عبادة الله وحده والإيمان بالبعث والشور واليوم الآخر ، فعيسى عليه السلام دعا إلى إغيل بى إسرائيل إلى الإيمان بالله ويوم الدين ، والقرآن يؤكد أن موسى عليه السلام دعا بى إسرائيل إلى إيمان بالله وحوهم بار جههم وبشرهم باحة التى أعدت للمتقين . فهل يعقل أن رب بى إسرائيل لم يذكر الثواب والعقاب فى الآخرة لما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه ؟ « مثل الدين حموا التوراة ثم لم يحملوها كمثل حمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين » (٤) .

ويأتى بعد ذلك سفر العدد وفيه يأمر الله موسى بأن يعصى كل جماعة بى

(١) عامر ٤٠ — ٤٦

(٢) الأعراف ١٥٤ — ١٥٦

(٣) الشورى ١٤

(٤) الجمعة ٥

إسرائيل بعشائرهم وبيوت آبائهم ، والإحصاء مقصور على الرجال الذين بلغوا العشرين فصاعداً لدخول الحرب ، وحتى لا يفعل موسى عليه السلام عن بست من بيوت أسباط بني إسرائيل يحدد الله رأس كل بيت . وعده موسى عليه السلام وهارون ورؤساء إسرائيل الاثنا عشر رجلاً الرجال الذين بلغوا العشرين فكانوا ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين . وقد جامل رب الذين كتبوا التوراة سبط لاوى لأن موسى وهارون مهم ، قال : « أما سبط لاوى فلا تحسبه ولا تعده بين سبي إسرائيل ، بل وكل اللاويين على مسكن الشهادة وعلى جميع أمتعته وعلى كل ماله . هم يحملون المسكن وكل أمتعته وهم يخدمونه وحول المسكن يربون ، فعند ارتحال المسكن ينزله اللاويون ، وعند مرور المسكن بقيمه اللاويون . والأحصى الذي يقترب يقتل ويرب بو إسرائيل كل في محلته وكل عذاريته بأحاديدهم . وأما اللاويون فيربون حول مسكن الشهادة لكي لا يكون سخط على جماعة بني إسرائيل فيحسب اللاويون شعائر مسكن الشهادة . ففعل بو إسرائيل حسب كل ما أمر الرب موسى . كذلك فعلوا » .

وهذا الإصحاح قد أعفى اللاويين من الحرب وحصصهم حيمة الاجتماع ، ولم يشرع القرآن مثل هذا الشرع فلم يعف قريشا ولا الهاشميين من الحرب لأنهم خدمة بيت الله . بل إن قريشا والهاشميين كانوا على الدوام في صفوف المتقاتلين لإعلاء كلمه الدين ، والحرب المقدسة جهاد والشهداء في عيين ، وما حطر ذلك على قلب الذين كتبوا توراها فقد أسقطوا حراء لآخرة من حسابهم .

وراحت صحاحات العدد تسرد مواليد هارون وموسى يوم كنم الرب موسى في برية سيناء « عدد بني لاوى حسب بيوت آبائهم وعشائرهم . كل

ذكر من ابن شهر قضاة تعدهم ، فعدهم موسى حسب قول الرب كما أمر «  
وأحد الرب اللاويين له ولم يفرق بين صالح وطالح ، وما كانت العدالة الإلهية  
لتصطفى طبقة بالميراث : « وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأثبتهم قال : إني  
جاعلك لئلا إماما قال ومن دريتي قال لا يزال عهدي الطالين »<sup>(١)</sup> .

وكلم الرب موسى قائلا : « كلم بني إسرائيل وقل لهم إذا راعت امرأة  
رجل وحاشته حياة واصطجع معها رجل اصطحاح ررع ، وأحمى ذلك عن  
عبي رجلها واستمرت وهي نجسة وليس شاهد عليها وهي لم تؤخذ ، فاعتراه  
روح العيرة وعار على امرأته وهي نجسة أو اعتراه روح العيرة وعار على امرأته  
وهي ليست نجسة ، يأني الرجل وامرأته إلى الكاهن ويأني بقرابها معها عشر  
الإيفة من طحين شعير لا يصب عليه زيتا ولا يجعل عليه لبانا لأنه مقدمة غيره  
ونقدمة تذكار تذكر دسا . فيقدمها الكاهن ويوقفها أمام الرب . ويأخذ  
الكاهن ماء مقدسا في إناء حرز ويأخذ الكاهن من العنار الذي في أرض  
اسكنس ويحعل في الماء . ويوقف الكاهن امرأة أمام الرب ويكشف رأس امرأة  
ويحعل في يدها مقدمة التذكار التي هي مقدمة العيرة وفي يد الكاهن يكون ماء  
النبعة المر . ويستحلف الكاهن المرأة ويقول لها : إن كان لم يصصح معك  
رجل وإن كنت لم تربعي إلى نحاسة من تحت رجلك فكون بريئة من ماء النبعة  
هذا المر ، ولكن إن كنت قد رعت من تحت رجلك ونجست وحقل معك  
رجل غير رجلك مصححة يسحلف الكاهن امرأة خيف لنبعة ويقول  
الكاهن للمرأة : يجعلك الرب لنبعة وحيما بين شعبك بأن يحعل الرب فحدك  
ساقطة وبطك وارما . ويدخل ماء النبعة هذا في أحشائك لتورم البطن

ولإسقاط الفخذ . فتقول المرأة : آمين . ويكتب الكاهن هذه اللغات في كتاب ثم يحوها في الماء المر . ويسقي المرأة ماء البعثة المر فيدخل فيها ماء البعثة للمرارة . ويأخذ الكاهن من يد المرأة مقدمة العيرة ويردد انتقدمة أمام الرب ويقدمها إلى المذبح . ويقبض الكاهن من التقدمة تذكارها ويوفده على المذبح وبعد ذلك يسقي المرأة الماء . ومتى سقاها الماء فإن كانت قد تحسنت وخانت رجلها يدخل فيها ماء اللعنة للمرارة فيرم بطنها ويسقط فحدها فتصير المرأة لعة في وسط شعبها . وإن لم تكن المرأة قد تحسنت بل كانت ظاهرة تنيراً أو تحبل بزرع

هذه شريعة العيرة : « إذا راعت امرأة من تحت رجلها وتحسنت أو إذا اعترى رجلاً روح عيرة فعار على امرأته يوقف المرأة أمام الرب ويعمل لها الكاهن كل هذه الشريعة فتبترأ الرجل من الدس وتلك المرأة تحمل دنسها » .  
كان البابليون إذا ما شكوا في أُم المرأة قدرت يبقوها في الهر ، وإذا كانت قد ارتكبت جريمة انرا فالهر يتلعهما ، وإذا كانت بريئة فإن لهر يلفظها .  
وقد أخذ كتاب التوراة في المصفي ، فكره وضروها بما فيه مصلحة الكاهن .  
وحاشا لله أن يكون ذلك كلامه . إن الله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون ، إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصبحوا فإن الله عفور رحيم . والذين يرمون أرواحهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه من الصادقين والخامسة أن لعة الله عليه إن كان من الكاذبين . ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه من الكاذبين . والخامسة أن غصب الله عليها إن كان من الصادقين ﴾ (١) ولا يعرف لإسلام مؤاحدة الناس على الظن . بل إنه يعتبر



أن بعض الظلم يتم ولو يفر أحد من قصاص الله إن أخطأ ولم يزل العذاب في الدنيا ، فعذاب الآخرة يترتب به . أما في شرائع الغيرة التي وضعها حكماء صهيون في أرض المنفى فإن من يهرب من عذاب الدنيا فلا خوف عليه من عذاب الآخرة ، فإنه بعد أن يموت لن يعث وسيذهب إلى « شول » الأرض التي لا رجعة منها .

وراح رب الدين كتبوا التوراة في المنفى يشرح لموسى شريعة الدير : « وهذه شريعة الدير يوم تكمل أيام انتداره يؤتى به إلى باب خيمة الاجتماع فيقرب قربانه للرب حروفاً واحداً حولياً صحيحاً مُحرقَةً ، ونعجة واحدة حولية صحيحة ديبعة حطية ، وكبشاً واحداً صحيحاً ديبعة سلامة ، وسل فطير من دقيق أقراصاً ملتوتة بريت رقاق فطير مذهوبة بريت مع تقدمتها وسكاتها ، فيقدمها الكاهن أمام الرب ويعمل ذبيحة حطيته ومُحرقته . والكبش يعمله ديبعة سلامة للرب مع سل الفطير ، ويعمل الكاهن تقدمته وسكيته ، ويخلق الدير لدى باب حمة الاجتماع رأس انتداره ويأخذ شعر رأس انتداره ويجمعه على النار التي تحت ذبيحة السلامة . ويأخذ الكاهن الساعد مسبوفاً من الكبش وفرص فطير واحد من السل ورقاقة فطير واحدة ويجعلها في يدي الدير بعد حلقه شعر انتداره ويرددها الكاهن ترديداً أمام الرب . به فدى للكاهن مع صدر التريد وساق الرقيقة ، وبعد ذلك يشرب الدير حمراً » .

هذه شريعة الدير الذي يندر قربانه سرب عن انتداره فصلاً عما تال يده حسب بذر الذي يندر كذلك يعمل حسب شريعة انتداره وكلم الرب موسى قائلاً : « كلم هارون وبنيه قائلاً . هكذا تباركون في إسرائيل قائمين هم . يباركك الرب ويعرسك ، يصي الرب بوجهه عبث

ويرحمك . يرفع الله وجهه عليك ويمحى سلا ما ، فيجعلون اسمى على بى  
إسرائيل وأنا أباركهم .

أيسمح الرب بشرب الخمر على باب حيمة الاجتماع . على باب بيته ولماذا  
حرم شرب الخمر دخل حيمة الاجتماع ؟ إذا كانت الخمر رجسا من عمل  
الشیطان فكيف يفرق إله بين شرها فى بيته وشرها على باب بيته ؟ ! والدبائح  
والعطائر ماذا يفعلها الإله ؟ إن الأصل فى الذبيحة أن تكون وسيلة للتوسعة  
على الفقراء وإدائها تقب فى شرع الدين كتبوا التوراة فى المنى إلى توسعة على  
الكهنة وقد كان فيهم كهنة من سسل هارون ، وقد جعلوه الكاهن الأول  
ليكون لهم حق ممارسة الكهانة بالوراثه لىالوا حير الدين ، وقد تأثر كثير من  
كتب المسلمين عقب ترجمة التوراة إلى العربية تلك المزاعم فقلوا دون دراسة  
أو تمحيص إن اليهود الذين كانوا فى يثرب وحير وتيماء من سسل هارون  
ككاهن ، ولم يرجعوا إلى القرآن الكريم ليروا مكانة هارون الخفية فى أيام  
موسى كليم الله ، وهن اعترف كتاب الله هذه الكهانة اننى اقترها بعض أخبار  
اليهود ؟ لقد كان الإسلام هو الدين الذى يدعو إليه جميع الأنبياء ولم يجعل الله  
لصقة دون طبقة من لبشر حق ممارسة شعائر الدين باسمه ، فليس من الدين فى  
شئ أن يكتسب أسس ررقهم باسم الدين . ولو كان ذلك مما شرع الله لكان  
أولى الناس بالاكسباب من ممارسة الشعائر الدينية أو بكر الصديق حنفة  
رسول الله — ﷺ — وإخفاء الراشدين من بعده ، وكهم أنوا أن يأخذوا  
من بيت مال المسلمين شيئا إلا كسوة للشتاء وكسوة للصيف وما يطعم منه  
أوساط المسلمين . ولم يكن ذلك لقاء قيامهم بشعائر الدين بل لأهمم بقطعوا  
عن العمل ليسوسوا أمور المسلمين ولحكموا بينهم كما نزل الله .  
ويستمر سفر عدد يروى ألوف القرايين التى تقدم على مدح الرب ،

أطافا من قصه ورد الواحد منها ١٣٠ شافلا من قصه ، وصحبوا من ذهب ورد الواحد منها عشرة شواقل من ذهب ، وثيران وأبقار وكباش لعل دنت يعرى المؤمنين على تقديم مثلها للكهنة من بني هارون ، وكما هي عادة البشر جاء موسى عليه السلام بالرسالة وتاخر بالرسالة بنو هارون أو الذين رعموا أنهم من نسل هارون .

« وكلم الرب موسى قائلا : اصنع لك بوقين من قصه مسحولين بعمدهما فيكونان لك لمادة الجماعة ولا ترحل المحلات ، فإذا ضربوا بها يجتمع إليك كل الجماعة إلى باب حيمة الاجتماع ، وإذا ضربوا بواحد يجتمع إليك رؤوس أنوف إسرائيل ، وإذا ضربتهم هتافا ترحل المحلات النارية إلى الشرق وإذا ضربتهم هتافا ثانية ترحل المحلات النارية إلى الغرب . هتاف يصربون لرحلاتهم . وأما عندما تجمعون الجماعة فتصربون ولا تهتفون . وبو هارون الكهنة يصربون بالأبواق ، فتكون لكم فريضة أبدية في حياتكم . وإذا ذهبت إلى حرب في أرضكم على عدو يصركم تهتفون بالأبواق فتذكرون أمام الرب بهكم ومحضوب من أعدائكم ، وفي يوم فرحكم وفي أعادكم ورؤوس شهركم تصربون بالأبواق على محركاتكم ودنائج سلامتكم فتكون لكم تذكارات أمام إلهكم . أما الرب إلهكم » .

ما من شيء رآه بنو إسرائيل في مصر المصرية أو في بابل أو في أرض كنعان إلا وقد جمعه مدبر كسب التوراة في اسمي وصية من الله إلى شعبه لاختار إن لمصح في اسوق الجمع الحيوش أو سحريكها كان أمرا معروفا في الأسرات المصرية التي سبقت ورود يوسف الصديق إلى مصر . ولكن الذين سموا ثقافه شعوب الذين ربوا بين طهرانيه أنوا إلا أن يجمعوا حتى المصح في اسوق مسحة إلهه بني إسرائيل ، وجعلوا لله — سبحانه وتعالى علوا كبيرا عما

يصفون — يهتم بصعائر الأمور إله سبحانه وتعالى يأمر موسى عليه السلام ليصنع لنفسه بوقين من فضة — وماذا كان يحدث لو أن البوقين كانا من أى معدن آخر ؟ — لمادة الجماعة ولا لتحال المحلات . أكان هذا شيئاً جديداً حتى يستحق أن يوصى به رب بني إسرائيل شعبه ؟ إن الدين كتبوا التوراة في انفسى عر عليهم أن يدعوا فصلاً لأحد من كلاب الشرية ممن كانوا أكثر حصاراً منهم ، فرغموا أن الله شرع لهم كل شيء حتى التافه من الأمور ليدخلوا في روع أنفسهم قبل أن يدخلوا في روع الناس أن الله فصلهم على العالمين ، وقد كانوا في حاجة إلى ذلك الوهم فقد كانوا أسرى أدلاء يتطلعون إلى العودة إلى فلسطين .

حاء في القرآن الكريم : « يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأنى فضتكم على العالين » (١) . وقد كان ذلك التفضيل يوم أن كانوا سامعين ومطيعين وفصلهم على العالين أن يعثوهم من بعد موتهم لعبهم يشكروا ، أما وقد طاب عليهم العهد وسوا ما شرع الله لهم ثم أخذوا شرائع الشعوب وقالوا إن ذلك من عند الله ، فلا فصل ولا تفصيل . « عند الذين ظلموا قولاً غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون » (٢) .

وحاء في قرآن الكريم في شأن المسلمين : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون » (٣) . أما وأن المسلمين لا

(١) البقر ٤٧ (٢) البقرة ٥٩

(٣) آل عمران ١١٠

يأمرون بالمعروف ولا يهون عن المنكر ولا يؤمنون بالله أو يؤمنون وهم على صلاتهم يحافظون فلا فصل ولا تفصيل : « تلك آيات الله نتوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين » (١) .

وجعل الدين كتبوا التوراة في المنفى الرب يرسل في عمود من سحب ويصعد في عمود من سحب ، فحدّدوا للرب مكانا ، ومن قبل جعلوه يمشي في الحية ، بل جعلوه في بعض الأحيان لا يسمع نوحا لهم : « وكان الشعب كأنهم يشتكون شرا في أدنى الرب » بل إلههم جعلوا يعقوب ( إسرائيل ) يصارع الرب كما صارع مردوح الأرباب قبل أن يصنّف عليهم ربا للأرباب ، وكأنما كان الرب حطيا يحاطب كل شعب إسرائيل

وما أكثر ما حمى غضب الرب ويرسل في سحابة ليوبح الدين حل عليهم عصبه . « وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التي اتخذها ، لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية ، فقالا : هل كنتم الرب موسى وحده ؟ ألم يكلمنا نحن أيضا ؟ فسمع رب ، ومما الرحن موسى فكان حبيبا جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض .

فقال الرب حالا موسى وهارون ومريم : اخرجوا أنت الثلاثة إلى خيمة الاجتماع . فخرجوا هم الثلاثة . فمر الرب في عمود سحب ووقف في باب الخيمة ودعا هارون ومريم فخرجا كلاهما . فسمع كلامي إيا كان معكم سي لرب فدنوا يا أستعل له في حلم أكنمه . أما عدى موسى فليس هكذا هو أمين في كل بيتي . فما إني فم وعيان أنكلمه معه لا بالأعوار وشبه الرب يعين . فلماذا لا تحشد أن تنكلموا على عدى موسى .

فحمى عصب الرب عبيهما ومضى . فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة  
إدا مریم برصاء كالثلج ... » .

والقرآن الكريم لا يؤيد دعوى أن الله كان يكلم موسى كما يكلم الصديق  
وأنه كان يراه سبحانه وهو يكلمه . والقرآن يقول . « وما كان لبشر أن  
يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء  
إنه على حكيم . وكذلك أوحيا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما  
الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا هدى به من شاء من عبادنا وإنك  
لتهدى إلى صراط مستقيم . صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض  
ألا إلى الله تصير الأمور » (١) .

وقد يحتج بأية : « وكلم الله موسى تكليما » (٢) . فإن ذلك الكلام من  
وراء حجاب والدليل على ذلك آيات التي صلب فيها موسى أن يرى الله  
جهرة : « وما جاء موسى ميقانا وكلمه ربه قل رب أرني أنظر إليك قال  
ترى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تحي ربه للحص  
جعله ذكا وحر موسى صعبا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول  
المؤمنين . قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما  
آتيتك وكن من الشاكرين » (٣) . فما دامت الرؤية قد عدرت فكيف كان  
يكلم الله فما إلى هو وكيف رأى الله عينا ؟ إن الله كلم موسى تكليما من وراء  
حجاب . أما روى الله في السحاب وصعوده سبحانه وتعالى في السحاب فهو  
تصور قاصر لله ، والله في كل مكان . فإذا تصورنا أنه يصعد ويهبط فقد جعلنا

(١) شوری ٥١ — ٥٣

(٢) النساء ١٦٤ (٣) الأعراف ١٤٣ — ١٤٤

له مكانا وما قدرنا الله حق قدره .

وقد سحر القرآن الكريم من فكرة محيى الله في طبل من الغمام : ه هل يطرون إلا أن يأتيهم الله في طبل من لعمام والملائكة وقصى الأمر وإلى الله ترجع الأمور (١) .

وعاد الدين كتبوا التوراة في المنفى يؤكدون وعد الله بأن يعطى بى إسرائيل أرض فلسطين وإن كان ما فعلوه مع الله حسب ما يقول كتاب التوراة الحديدة يستحق أن يرل بهم أشد أنواع العذاب لأن يعطيهم أرضا لا حق لهم فيها ولكنها أهواء أبناء الذين حمهم مختصر إلى أرض العراق بعد أن حرق التوراة التى أنزلها الله على موسى نورا وهدى لبى إسرائيل ه ثم كلم الرب موسى قائلا : أرسل رجالا ليتحسسوا أرض كنعان التى أنا معطيها بنى إسرائيل . رجلا واحدا لكل سبط من آبائه ترسون . كل واحد رئيس فيهم فأرسلهم موسى من بركة فاران حسب قول الرب كلهم رجال هم رؤساء بى إسرائيل .

فأرسلهم موسى ليتحسسوا أرض كنعان وقال لهم . اصعدوا من هنا إلى الجوب واطلعوا إلى الحبل واطروا الأرض ما هى ، والشعب الساكن فيها أقوى هو أم ضعيف ؟ قليل أم كثير ؟ وكيف هى الأرض التى هو ساكن بها أحيدة أم رديئة . وما هى المدب التى هو ساكن فيها أمحيمات أم حصون ؟ وكيف هى الأرض أممية أم هرية ؟ أيبها شجر أم لا ؟ وتشددوا وحدوا من ثمر الأرض وأما الأيام فكانت أيام العنب ه .

أليس عريبا أن يأمر الرب موسى أن يرسل رجلا ليتحسسوا أرض كنعان

ليعرفوا إذا كانت أرضا طيبة مثمرة أو كانت أرضا بورا ؟ إن إبراهيم ودريته كانوا في حبرون وكانوا في أرض فلسطين قبل أن يهبط يعقوب ودريته مصر في عهد يوسف الصديق ، فإن كان الله لا يعلم — وحاشا لله أن لا يعلم — طبيعة أرض فلسطين ، فإن لآباء لا يد أن يكونوا قد أحبروا الأبناء بطبيعة الأرض التي مروا بها ، وإلا فهم كان وعد الله ولماذا يتהלل بنو إسرائيل بالفرح بذلك الوعد إن كانوا لا يعرفون إن كانت أرض المعاد جيدة أو رديئة ؟ إن هذه التوراة قد كتبت بعد موسى عليه السلام بمئتي سنة تقريبا بعد أن كون داود وسليمان ملك بني إسرائيل ودمر مختصر ذلك الملك وحمل اليهود أسرى إلى أرض السبي ، فراح أبناء الدين كانوا أسرى في العراق يعيدون كتابة التوراة ، فحرجوا ما وقر في أذهانهم من ديانة موسى ومرحوها بأحلامهم وأساطير الشعوب .

وعاد الدين دهوا ليتحسبوا أرض كنعان إلى موسى وهارون وشيوخ بني إسرائيل وهم يرتعنون فرقا من قوة حصومهم وأشاعوا روح الهزيمة في الشعب : « فرفعت كل الجماعة صوتها وصرحت وبكى الشعب بكاء شديدا ، وتدمر على موسى وهارون جميع بني إسرائيل وقال هما كل الجماعة : ليتنا متنا في أرض مصر أو ليتنا متنا في هذا القفر . وماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لسقط بالسيف . نصير سائرا وأصافنا عيمة أليس حيرا لنا أن نرجع إلى مصر ؟ فقال بعضهم لبعض : قيم رئيسا ورجع إلى مصر

فسقط موسى وهارون على وجهيهما أمام كل معشر جماعة بني إسرائيل ويشوع بن نون وكالب بن يفتة من اثنين تحسبوا الأرض فرقا ثابها . وكثما كل جماعة بني إسرائيل قائلين : الأرض التي مررنا فيها لتجسسها لأرض جيدة جدا جدا . إن الرب يدحنا إلى هذه الأرض ويعطيها ليناها



أرض تفيض لنا وعسلا .. إنما لا تتمردوا على الرب ولا تخافوا من شعب الأرض لأنهم حيزنا . قد زال عنهم ظلمهم والرب معنا . لا تخافوهم . ولكن قال كل الجماعة أن يُرجعا بالحجارة ( موسى وهارون ) ثم طهر مجد الرب في حيمة الاجتماع لكن بني إسرائيل . وقال الرب لموسى حتى متى يببسي هذا الشعب ، وحتى متى لا يصدقونى بجميع الآيات التى عملت في وسطهم ؟ إني أصربهم بالوباء وأبيدهم وأصيرك شعبا أكبر وأعظم منهم . فقال موسى للرب : فبسمع المصريين الذين أصعدت بقوتكم هذا الشعب من وسطهم ، ويقولون لسكان هذه الأرض الذين قد سمعوا أنك بارب في وسط هذا الشعب الذى أنت يارب قد ظهرت لهم عجائب وسحابتك واقفة عليهم وأنت سائر أمامهم بعمود سحاب نهارا وعمود نار ليلا . فإن قتلت هذا الشعب كرحل وخذ يتكلم الشعوب الذين سمعوا خبرك قائلين . لأن الرب لم يقدر أن يدخل هذا الشعب إلى الأرض التى حلف لهم قديمهم في أقمر فالآن تعظم قدرة سيدى كما تكلمت قائلًا الرب طويل الروح كثير الإحسان يعمر الدب والسيئة ، ولكنه لا يرى من يجعل دب لآباء على الأبناء إلى الخيل الثالث والرابع . اصمغ عن دب هذا الشعب كعظمة نعمتت وكما عفرت هذا الشعب من مصر إلى ههنا فقال الرب . قد صفحت حسب قولك . ولكن حي أن قتلًا كل الأرض من مجد الرب إن جميع الرجال الذين رأوا معدي وآياتى التى عملتها في مصر وفي البرية وجربوني الآن عشر مرات ولم يسمعوا نقول لى يروا الأرض التى حلفت لأبائهم وجميع الذين أهابوني لا يرونها ...

١٠٠ كان هذا القول صحيحا ، أيستحق هذا الشعب وعد الله ؟! إنه يريد أن ينفقهم عرقا من بعد عدوهم وما حذر حرب أحد منهم إلا يوشع بن نون ( فتح مكة )

وكالب بن يفتة . فما الآخرون فقد احتاروا عودية المصريين على القتال في سين دحوهم الأرض المقدسة ، ونوطاوعهم موسى عليه السلام لعادوا إلى فرعون يرعون أراضيهم صاعرين . « وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنساء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين . يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا حاسرين . قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنما لنا بدخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإننا نأخذهم . قال رحلوا من الدين يخافون أعين الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا . إن كنتم مؤمنين . قالوا يا موسى إنما لنا بدخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون . قال رب إني لأملئك إلا نعيى وأحى فافرق بينا وبين القوم الفاسقين . قال فيها عزيمة عليهم أربعين سنة ينيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين » (١) .

ثم يكتم الرب موسى عن الدبائح والدور لعمل رائحة سرور للرب من ابقر أو من العنم . « ولما كان بو إسرائيل في البرية وجدوا رجلا يختطف حطبا يوم السبت فقدمه الدين وجدوه يختطف حطبا إلى موسى وهارون وكل الجماعة ، فوضعوه في الحرس لأنه لم يعمل ماذا يفعل به . فقال الرب لموسى . قتلًا يقتل ارجل يرحمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة ، فأخرج كل الجماعة إلى خارج المحلة ورحموه بحجارة فمات كما أمر الرب موسى . »

وعمل اسيد لمسيح في السبت وسحر من شريعة السبت ، فليس من العدل أن يقتل بسبب لأنه اختطف يوم السبت أو قام بعمل في ذلك اليوم .

وحاء في القرآن الكريم : « إنما جعل السبت على الدين احتصوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون »<sup>(١)</sup> . « واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيتهم حيتاتهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يستطيعون لا تأتيتهم كذلك يملوهم مما كانوا يعسقون »<sup>(٢)</sup>

« ورفعنا فوقهم الطور ميثاقهم وقد هم ادخلوا الباب سجداً وقسا لهم لا تعبدوا في السبت وأحدنا منهم ميثاقاً علقنا ، فيما نقصهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا علف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً »<sup>(٣)</sup>

وعلى الرغم من كل ما فعله موسى عليه السلام لبني إسرائيل فإنهم ثاروا عليه وعلى هارون في البرية وقد عصب الله على الثائرين فأمر أنزل عليهم عذابه ، فاشقت الأرض وبلغت الثائرين ولم يرص ديث بني إسرائيل : « فتدمر كل جماعة بني إسرائيل في العدد على موسى وهارون قائدين . أنما قد قتلنا شعب الرب . ولما اجتمعت الجماعة على موسى وهارون انصرفا إلى حيمة الاجتماع وإذا هي قد عطفها السحابة وتراءى محمد الرب . فحاء موسى وهارون إلى قدام حيمة الاجتماع ، فكلم الرب موسى قائلاً : اطلعاً من وسط هذه الجماعة فإنني أصيبهم بسحطة ، فخرأ على وجهيهما ، ثم قال موسى هارون حد المحمرة واجعل فيها ناراً من عن المدبح وضع خوراً وأذهب بها مسرعاً إلى الجماعة وكفرهم لأن السحط قد حرج من قبل الرب قد ابتدأ البواء . فأحد هارون كما قال موسى وركض إلى وسط الجماعة وإذا ابواء قد ابتدأ في الشعب ،

(١) النحل ١٢٤

(٢) الأعراف ١٦٣

(٣) النساء ١٥٤ — ١٥٥

فوضع الحور وكفر عن الشعب ووقف بين الموتى والأحياء فامسح الوباء . فكان الدين ماتوا بالوباء أربعة عشر ألفا وسبع مائة عدا الدين ماتوا بسب قدرح ( اندى قاذ الثورة على موسى وهارون وحسمت به وبمن معه الأرض ) ثم رجع هارون إلى موسى إلى باب خيمة الاجتماع والوباء قد امتنع . إن الدين كتبوا تورا في المنى جعلوا الرب سريع العضب سريع الحساب بهم في كل مرة بالطش بى سرائيل . وجعلوا موسى هو الرحيم الذى ياجى الرب ليرفع مقتى وعصبه عن شعبه . وإن موسى عليه السلام يحج في كل مرة في أن يرصى الرب ويحب رصاه على الشعب الفاسق الذى صد عن سبيل الله كثيرا .

« سبحان رب السموات والأرض ورب العرش عما يصمون »<sup>(١)</sup> .  
« سبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير »<sup>(٢)</sup> . « يا الله لا يحفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، هو اندى بصوركم في الأرحام كيف يشاء ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم »<sup>(٣)</sup> .  
« يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشعوب إلا من ارتضى وهم من خشيته مشفقون »<sup>(٤)</sup> . « سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم »<sup>(٥)</sup> . « هو الله الذى لا إله إلا هو علم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز جبار المتكبر سبحانه الله عما يشركون . هو الله الخالق البارئ المصور له

(١) الر حرف ٨٢ — ٨٣

(٢) التاعين ١

(٣) آل عمران ٥ — ٦

(٤) الأنبياء ٢٨ (٥) الحشر ١

الأسماء المحسى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم (١) .  
 « إن الله بالناس لرعوف رحيم » (٢) . « وهو الغفور الودود » (٣) . و « وما  
 الله يريد ظلما للعلمين » (٤) . « إن الله لدو فضل على الناس ولكن أكثر الناس  
 لا يشكرون » (٥) . « وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ  
 ظموا أنفسهم حاءوك فاستغفروا لله واستغفروا له الرسول لوحدوا الله توابا  
 رحيمًا » (٦) . « هو أهل التقوى وأهل المعرفة » (٧) . واستغفروا الله إن الله  
 غفور رحيم » (٨) . « ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله بحمد الله  
 عفورا رحيمًا » (٩) .

إن فكرة بدم لإلهه وبطشه بعباده قد أحدثت عى أساطير المصريين  
 والبابليين ، فرع قد أمر حتحور بأن تهرب إلى الأرض وأن تكمل بالدين كفروا  
 برع ، هربت حتحور وأعملت فى الكفرة القتل وكس أعمال التقى التى  
 قامت بها حتحور بين ساس كانت من القطاعة حيث بدم ، لإله على ما أصدره  
 من أمر ، واعتزم أن يبعد على الأقل حاسا من الناس ..

وبروب الآهة إلى الأرض تبص بها الأساطير البابية ، وإن عشثار لم  
 تكثف بالروب إلى الأرض بل اصطحعت مع بستانى فأساطير المراجعة  
 وأساطير البابليين لعبت دورا كبيرا فى توراة المنفى فلم يستطع الدين كسوا  
 التوراة بعد أن صال عبيهم الأمد أن يتخلصوا من الثقافة البابية والمروعوية .

(٢) الخج ٦٥

(٤) آل عمران ١٠٨

(٦) النساء ٦٤

(٨) ابرمس ٢٠

(١) المتحة ٢٢ — ٢٤

(٣) البروج ١٤

(٥) القرة ٢٤٣

(٧) اندثره ٥٦

(٩) نساء ١١٠

فامترحت أساطير الشعوب بالتوراة التى برئت على موسى نورا وهدى لبني إسرائيل . هرايا الله سبحانه وتعالى عما يصفون نزل في سحابة وهو شاعر عاصب ثم بشر الرباء ليفنى المكديين ، ولولا وقوف هارون بين الأحياء والأموات لقضى الرب على بني إسرائيل ، أكان يحسار الرباء بإرادة الرب أم كان بفعل البحور ؟!

ويعود الدين كتبوا التوراة في المسمى يؤكدون أن الله أعطى القرايين هارون وبنيه فريضة دهرية ولم يذكر الفقراء والمساكين . « وقال الرب هارون : وهأند قد أعطيتك حراسة رفائعى مع جميع أقداى بني إسرائيل لك أعطيتها حق المسحة وسيتك فريضة دهرية هدا يكون لك من قدس الأقداس من البار كل فريضهم مع كل تقدماتهم وكل دنائح خطاياهم وكل دنائح آثامهم التى يردونها إلى قدس أقداى هي لك وسيت . »

ستكون الدنائح كثيرة جدا ، أكثر من حاجة لكهنة من سن هارون لذلك جمعوا الرب بقى استعاضة بعض هذه القرايين بالقصة : « . . كل فاتح رحم من كل حسد يقدمونه نرب من الدس ومن الهائم يكون ث غير أدث تقبل فداء بكر لإسان وبكرة الهيمة المحسة تقبل فداء وفداؤه من اس شهر قبله حسب تقديمك قصة خمسة شواقل على شاقق القدس . . » . وبس هباك عمل يقصده وجه الله بل لكل عمل أجر في الدنيا ، فما ذكرت الآخرة مرة واحدة في توراة المسمى . « وأما سى لاوى فإنه قد أعطيتهم كل عشر في إسرائيل ميراثا عوض خدمتهم اننى يخدموها خدمة حيمة الاحتياج » . فالتشور كانت سى لاوى لقاء خدمة بيت الله وما كانت تدفع إلى بس المال ليعق منها على مصاخ سى إسرائيل ، بل صرح الرب بأن تكون لقمة سائعة لبيت هارون .

ويرتحم الدين كتبوا التوراة من اموت ويشرعون للميت شرائع قاسية ما  
أمر الله بها من سلطان : « من مس ميتا ميتة إنسان ما يكون نحسا سبعة أيام ،  
يتطهر به في اليوم الثالث وفي اليوم السابع يكون طاهرا ، وإن لم يتطهر في اليوم  
الثالث ففي اليوم السابع لا يكون طاهرا . كل من مس ميتا ميتة إنسان قدماء  
ولم يتطهر بنحس مسكن الرب ، فتقطع تلك النفس من إسرائيل لأن ماء  
الحجاسة لم يرش عليها تكون نجسة ، نجستها لم تزل فيها .

هذه هي الشريعة ، إدامات إنسان في حيمة فكل من دخل الحيمة وكل من  
كان في الحيمة يكون نحسا سبعة أيام . وكل إناء مفتوح لبس عليه سواد  
بعصابة فإنه نجس ، وكل من مس عي وجه الصحراء قتيل بالسيف أو ميتا أو  
عظم إنسان أو قبرا يكون نحسا سبعة أيام . فيأخذون للنحس من عيار حريق  
ديبحة الخطيئة ويحعل عليه ماء حيا في إناء . ويأخذ رجل طاهر روعا ويمسها  
في الماء ويضعه على الحيمة وعلى جميع الأمتعة وعلى الأنفس الذين كانوا هناك  
وعلى الذي من العظم أو القتل أو الميت أو القر يصح الظاهر على النحس في  
اليوم الثالث واليوم السابع . ويصهره في اليوم السابع فيعسل ثيابه ويُرخص بماء  
فيكون طاهرا في المساء . وأما الإنسان الذي يتنجس ولا يتطهر فتباد تلك  
النفس من بين الجماعة لأنه نجس مقدس الرب ماء الحجاسة لم يرش عليه  
به نجس . فتكون لهم فريضة دهرية والذى رش ماء الحجاسة يعسل ثيابه  
والذى من ماء الحجاسة يكون نجسا إلى المساء ، وكل ما مسه لنحس يتنجس  
والنفس التي تمس تكون نجسة إلى المساء .

ويستمر بنو إسرائيل في تدميرهم ويموت هارون بعد أن ماتت أخته مريم .  
« وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين : لماذا أضعدتمنا من مصر لتموت  
في البرية لأنه لا حر ولا ماء وقد كرهت أنفسنا الطعام اسحييف ، فأرسل

الرب على الشعب الحيات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من إسرائيل . فأتى الشعب إلى موسى وقالوا : قد أخطأنا إذ نكسنا على الرب وعليك فصل إلى الرب ليرفع عنا الحيات . فصلى موسى لأجل الشعب ، فقال الرب لموسى اصنع لك حة محرقة وضعها على اية ، فكل من لدغ وبظر إليها يمجا ، فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية فكان متى لدعت حية إنسانا وبظر إلى الحية النحاس يمجا .

وتسرد إصحاحات بعدد خروج بنعام لمباركة إسرائيل ، وسرعان ما يرى الشعب المختار مع بات مؤاب ثم لا يثبتون أن يعبدوا الهة مؤاب فعبدوا بعلا وتركوا عبادة الله ، ويقول انذين كتبوا التوراة في المنفى إن ذلك قد حدث وموسى كلم الله بيهم ، فقال الرب لموسى : حد جميع رعوس الشعب وعنقهم لرب مقابل الشمس فيرتد حمو غضب لرب عن إسرائيل . فقال موسى لقصة إسرائيل اقنوا كل واحد قدم لمتعلقين بعمل معور

وإذا رحل من سى إسرائيل جاء وقدم إلى إخوانه لمدينية أمام عيسى موسى ، وأعين كل جماعة سى إسرائيل وهم باكون لدى باب حيمة الاجتماع ، فلما رأى ذلك فينحاس بن العارار هارون الكاهن ، قام من وسط الجماعة وأخذ رمحا بيده ودخل وراء الرجل الإسرائيلي إلى القبة وطعن كليهما الرجل الإسرائيلي والمرأة في بطنها ، فامتنع الوباء عن سى إسرائيل ، وكان الذين ماتوا بالوباء أربعة وعشرين ألفا .

فكلم الرب موسى قائلا : فينحاس بن العارار بن هارون الكاهن قد رد سخطي عن سى إسرائيل بكونه عار عيرتي في وسطهم حتى لم أفس سى إسرائيل بعيرتي ، لذلك قل : ها أبدأ أعصيه ميثاقى ، ميثاق انسلام ، فيكون له ولسنه من بعده ميثاق كهوت أبدي ، لأجل أنه عار لله وكفر عن بنى إسرائيل ، وكان اسم



الرحل الإسرائيلي المقتول الذي قتل مع المديانية زمري بن سالوئيس بيت أب من الشمعونيين ، واسم المرأة المديانية المقتولة كرنى بت صور ، هو رئيس قبائل بيت أب في مديان .

ألم يعط هارون من قبل ميثاق كهوت أبدى له ولسله ؟ أوليس فيسحاس ابن إلعازار من نسل هارون ؟ فما الحديد ؟ لعل الذين كتبوا التوراة في النفي خشوا أن يكون الناس قد نسوا وعد الله الأول مرأوا أن يجدوه .

ويعود الذين كتبوا التوراة في اسمى إلى القرايين والسدور فهى لب الفصيد ، ثم يتقل سو إسرائيل من حرب إلى حرب يقتلون كل الذكور ويسبون النساء والأطفال ويهبون البهائم وغرفون امدن ويقول الذين كتبوا التوراة إن موسى عليه السلام قد عصب على وكلاء الجيش ورؤساء الأكراف لأنهم أقنوا على النساء . « وقال هم موسى . هل أبقية كل أثنى حية ؟ إن هؤلاء كل سى إسرائيل حسب كلام بلعام سبب حياة لدرى في أمر عبور ، فكان الوباء في جماعة الرب ، فالآن اقتنوا كل ذكر من الأطفال ، وكل مرة عرفت رجلا بمصاحبة ذكر اقلوها . ولكن جميع الأطفال من النساء النوقى لم يعرف مصاحبة ذكر أبقوهن حكم حيآت . وأما أنتم فامرلوا خارج اشللة سبعة أيام . ونظفروا كل من قتل نساء وكل من مس قتلًا في اليوم الثالث . وفى السابع أنتم وسيكم . وكل ثوب وكل متاع من حلد وكل مصنوع من شعر معر وكل متاع من حنث تطفروه »

وتكلم الإصحاح الحادى والثلاثون من سفر العدد عن الأنفال وتقسيم العائى ، وينهى سفر العدد بأن يجعل الذين كتبوا لتوراة الرب يحدد حدود لأرض السى وعدهم بها تحديدًا كأنه مهندس مساحة .

ويبدأ سفر التثنية بإعادة تحديد الأرض حتى يتصع بها يهود في اسمى

فيجمعون الرب يحدده لموسى تحديدا : « الرب إلهنا كمنا في حوريب قائلا : كما تم نعود في هذا الحبل . تحولوا وارتحبوا وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من نعبية والحبل والسهل والجوب وساحل البحر أرض الكنعاني ولسان إلى النهر الكبير نهر الفرات . انظر قد جعلت أمامكم الأرض ادخلوا وتمسكوا الأرض اني أقسم الرب لأبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم وليسهم من بعدهم . وكلتمكم في ذلك الوقت قائلا : لا أقدر وحدي أن أحملكم الرب إلهكم قد كثروا . وهو دائماً اليوم كبحوم السماء في الكثرة . الرب إله آبائكم يريد عليكم مثبكم ألف مرة ، ويبارككم كما كلمكم . كيف أحمل وحدي ثقتكم وحميتكم وحصومتكم ؟ هاتوا من أسباطكم رجالا حكماء وعقلاء ومعروفين فأجعلهم رؤوسكم . فأحتموني وقتلتم حسن الأمر الذي تكلمت به أن يعمل فأحدث رؤوس أسباطكم رجالا حكماء ومعروفين وحببتهم رؤوسا عليكم ، رؤساء ثوب ورؤساء مئآت ورؤساء خماسين .

جمعوا الرب عا حرا وحده عن أن يحمل أثقال بني إسرائيل وحصوماتهم ، إنه يسألهم أن يعيونه ، ويذهب الرب في هذا الإصحاح إلى التوسل إليهم أن يصنعوا مغاربة أهل الأرض التي وعدهم بها ، ولكم يحتمون ويقولون : « الرب سبب عصه له قد أخرجنا من أرض ليدفعنا إلى أيدي الأموريين لكي يهلكنا . إن أي نح صاعدون ؟ قد أذاب إحتوتنا قلوبنا قائدين . شعب أعظم وأصول منا . مدد عظمة محصنة إلى السماء وأيضاً قد رأينا بني عناق هباك ، فقلت لكم لا ترهوا ولا تخافوا الرب إلهكم السائر أمامكم هو يبارك عنكم . حسب كل ما فعل معكم في مصر أمام أعينكم ، وفي البرية حيث رأيت كيف حملك الرب إلهك كما يحمل الإنسان ابنه في انصرين التي

سكنتموها حتى جئتم إلى هذا المكان ، ولكن هذا الأمر لستم واثقين بالرب إلهكم . السائر أمامكم في الطريق ليلتمس لكم مكانا لتزولكم في نار ليلا ليريكهم الطريق تسبرون فيها وفي سحاب نهارا . وسمع الرب صوت كلامكم مسحط وأقسم قائلا : لن يرى إنسان من هؤلاء الناس من هذا الحبل اشترير الأرض الحيدة التي أقسمت أن أعطيها لآبائكم . .

كلام يليق بالدين كانوا في الأسر في بابل ، بهم مزرعو العقيدة ثقتهم بالرب محلحة . أما أن يكون ذلك الكلام وحيا أنزل على موسى فأمر لا يمكن لعقل يعرف الله حق معرفته أن يصدق . وهل الشعب الذي يرى الله يسير بينهم في الليل وفي النهار في حاجة إلى من يحصهم على إطاعة الله والامتثال إلى أوامره ما دام الله فيهم ؟! إنها أقوال تسيء إلى الشعب الذي يدعي أن الله اصطفاه فمن يستطيع أن يصدق أن هذه الأقوال ولأفعال قد صدرت من شعب يرغم أنه شعب الله المختار ١٩ وإن كانت هذه الأقوال والأفعال قد صدرت حقا عن الدين فصصه الله على العالمين فمادانتظر من شعوب لم يكن لهم شرف الاصطفاء ؟

إن هذه المراع من وحى قلوب طبع عليها الأمر وذهب نورها ، فجاءت وعودا متصاربة قد حلت من ذكر ما أعد للمتقين في الدار الآخرة . وباليتمها سكتت عن اتهام الله حل وعز بالعجز عن حمل مناعب بني إسرائيل وحصوماتهم إن الدين كتبوا التوراة في المعنى لم يكفوا بالإساءة إلى الرسل والأنبياء بل أساعوا إلى الرب فجعلوه عبورا مرة ، ونادما على ما فعل في حق بني إسرائيل مرة أخرى ، وعاجرا عن حمل بني إسرائيل وحصوماتهم مرة ثالثة ، وإن كان على اللوام متعطشا إلى الدماء والأصحية والمطير إن تقديم المطير للإله عادة مصرية قديمة فما يخون قربان لإله من آلهة قدماء

المصريين من حبز وكعك وفطير ، وقد أخذ بنو إسرائيل الذين أعادوا كتابة التوراة في المنفى تلك العادة بل ومراسيم تقديم القرابين وجعل الكهنة في هارون وبنيه من الالهوت المصري القديم . « الكاهن المصري القديم كان يتيه فخرا بأنه كاهن ابن كاهن ويذكر ذلك لإلهه ، كأن هذه الحقيقة بعيد عن الإله » .. أبا كاهن وابن كاهن هذا المعبود .. أبا كاهن قد حصرت لأعمل ما يجب على المرء عمله ، ولم أحضر لأعمل ما لا ينبغي عمله » .

وأخذ بنو إسرائيل عادة حرق السحور للإله من قدماء المصريين ، فقد كانت البعثات في عهد حتشيسوت تطلق إلى بلاد بونت لعودة بالبحور للمعابد المصرية القديمة ، وكان الكاهن يقوم بحرق السحور للإله ، وقد انتقلت هذه العادة إلى بنى هارون الكاهن فقد كانوا يحرقون السحور للإله يهوه . ومن عجب أن اسم الإله يهوه لا يزال يستعمل في مصر العليا والسفلى : « يا ناس يا هوه » .

إن موسى أطلق اسم « يهوه » على إلهه في أرض سيناء . ولم يقل الذين كتبوا التوراة في المنفى من أين جاءت هذه التسمية ، أهى كلمة مصرية قديمة أخذها بنو إسرائيل من مصر قبل الخروج أم هى كلمة عبرية ؟!

ويقول الذين كتبوا التوراة إن موسى عليه السلام مر بأرض العيص ( عيسو ) ولم يعلن عليهم الحرب لأن الله قد أعطى جبل سعيير ميراثا لبنى العيص . وكذلك مر بأرض مؤاب دون حرب لأن الرب قد أورث تلك الأرض لبنى لوط . إسم بذلك يودون أن يقرروا مبدأ الميراث ليكون هم حق في أرض فلسطين . والقرآن الكريم ياهض ذلك المدأ . « والله يقول في كتابه العزيز : « إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده » (١) ثم يخصص الميراث

والوارثين : « إن الأرض يرثها عبادى الصالحون »<sup>(١)</sup> . والله يطبع على قلوب الذين يرثون الأرض إذا ما تكبوا سبل الرشاد وساروا فى طريق الفساد . « أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصباهم بدنوسهم ويطع على قلوبهم فهم لا يسمعون »<sup>(٢)</sup> . ميراث قوم لأرض ليس ميراثا أبديا : « كذلك وأورثناها قوما آخرين »<sup>(٣)</sup> . ثم إن الأرض لله وسيرث الله الأرض ومن عليها : « إن نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون »<sup>(٤)</sup> . « والله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون حليم »<sup>(٥)</sup> .

ويقول الذين كتبوا التوراة إن الله قال موسى « أتَمر اليوم يتحم مؤاب بعر . فمتى قربت إلى تحاه بنى عمون لا تعادهم ولا تحم عليهم ، لأنى لا أعطيك من أرض بنى عمون ميراثا ، لأنى لى لوط قد أعطيتها ميراثا ... » . أكان بنو لوط من سبل بنيه أم من روحيات أحر ؟ إهم كانوا من سبل سبه اللتين أسكرتاه واصطحجتا معه . فمادا لم يعصب الرب من المعله الشعة ؟ وإذا كان قد سكت وأعمص عينيه عن تلك بشاعة أيكافىء السل الحسن بأن يورثه أرض عمون ؟ إن ذل ذلك القول على شىء مما يدل على مدى الاسهال الخلقى الذى كان فيه الذين كتبوا التوراة بأيديهم فى أرض المعفى ، وقالوا هدا من عند الله وما هو من عند الله ، بل من عند أناس كانوا عارقين فى

(١) الأبياء ١٠٥

(٢) الأعراف ١٠٠

(٣) الدخان ٢٨

(٤) مريم ٤٠

(٥) آل عمران ١٨٠

## الدمس حتى الآذان !

ويحارب موسى عليه السلام وسو إسرائيل المبوك الذين يعمرون بأرضهم في طريقهم إلى أرض فلسطين ، وقد انقضت أربعون سنة وهي المدة التي قضى ربهم أن يمضوها في التيه . فقام موسى عليه السلام يبتهل إلى ربه وقد كان ابنهالا يخدم قصبة اليهود الذين كانوا في المصى : « وتصرعت إلى الرب في ذلك الوقت قائلاً : يا سيد الرب أنت قد ابتدأت ترى عندك عصمتك وبذك الشديدة ، فإنه أى إله في السماء وعلى الأرض يعمل كأعمالك وكحجروتك . دعنى أعر وأرى الأرض الحيدة التي في عبر الأردن هذا الحبل الحيد ولسان . لكن الرب عصب على يسبيكم ولم يسمع لى بل قال لى الرب كفك . لا تعد كلمتى أيضاً في هذا الأمر . صعد إلى رأس البسحة وارف عيبك إلى العرب والشمال والحبوب واشرق و نظر بعيبك ، لكن لا تعبر هذه الأرض . وأما يشوع فأوصه وشدهه وشجعه لأنه هو يعر أمام هذا الشعب وهو يقسم لهم الأرض التي تراها .. » .

هل يمكن أن يصدق إنسان يعرف حقيقة الرسالة أن موسى عليه السلام يقوم بعد أربعين سنة في التيه وبعد ما كان من آيات الله في أرض مصر : أنت قد ابتدأت ترى عندك عظمتك . ابتدأ ؟! يا لصيغة آيات الله اليات في أرض الفراعنة وفي التيه وفي سيناء . أبعد أن يرغم الذين كتبوا التوراة أن الله كان يسير كشعلة من يراة أمام بني إسرائيل ليسيّر لهم ظلمات الليل قبل أن يسيّرهم ظلمات القلوب ، وأنه كان يبرل في السحاب ليحدثهم في حيمة الاجتماع ، وبعد إبرال المى ولسلوى من السماء ، يقولون إن موسى عليه السلام قال لرب . أنت قد ابتدأت ترى عندك عظمتك ؟! وهل يُعقل أن موسى عليه السلام الذى جاء ليدعو قومه لعادة الله وحده بعد أن راعوا عن التوحيد

وعبدوا المعجل كما عبده المصريون يشرك بالله ويعترف بأن في السماء آلهة أخرى غير الله : « فإيه أى إله في السماء وعلى الأرض يعمل كأعمالك وجبروتك ؟ » .

إن الذين كتبوا التوراة في المنفى كانوا يروون تاريخاً قد انقضى فوضعوا على لسان موسى عليه السلام ما يخدم قصصهم وجعلوه لا يهتم إلا بالأرض التي يطمعون فيها ، وكانوا قد تأثروا بمعتقدات بابل فجعلوا موسى ينتهل إلى ربه كما ينتهل عباد مردوخ إلى مردوخ ، فلم يسأل موسى ربه في التوراة التي وصعها أحبار اليهود إلا مفاع أرضية ، ولتر كيف يسأل موسى ربه في القرآن : « قال رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي . واحصل لي وزيراً من أهلي هارون أخى . اشدد به أزرى . وأشركه في أمري كنى بسحرك كثيراً وبذكرك كثيراً . إنك كسب بسا بصيراً » <sup>(١)</sup> . وبلغى أسماعاً إلى قول لسحرة في القرآن الوحيد « فألقى السحرة سحداً قالوا أما يرب هارون وموسى . قال أمتم له قبل أن آذلكم »<sup>٢</sup> إنه للكبر كم الذي عنكم السحر فلا تقطع أيديكم وأرحمكم من خلاف ولأصلبكم في جدوع الحبل ولتعصم أبنا أشد عذبا وأبقى . قالوا ليس يؤثرك على ما جاءنا من السيئات والذي فطرنا فاقصم ما أنت قاض بما تقضى هذه حياة الدنيا . إنا أما ربنا ليعصر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى . إنه من يأت ربه محرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى . ومن يأت مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى . حبات عدد تحرى من تحتها الأمهار حالدين فيها وذلك جزاء من تركنى » <sup>(٣)</sup> .

آيات الله ينيات مد كان موسى عليه السلام في مصر ، وإيمان الناس ليعبر  
 رهم حظاياهم وليدحهم حجات عدد تحرى من تحتها الأمهار خالدين فيها .  
 ولم يكن الإيمان صفة تجارية تعقد بين الرب وعباده أن يؤموا به لقاء إعطائهم  
 الأرض وسعادة دنيا . إيمان مقابل ثم يقبض في الدنيا أما ما وعد الله المتقين  
 هشيء غير ملموس لا يدخل في حساب الذين أعادوا كتابة التوراة في المنفى .  
 مات موسى عليه السلام قبل أن يدخل فلسطين مع الداخلين ، وقد قاد  
 يوشع فتى موسى حوش بني إسرائيل حتى عبروا نهر الأردن ، فجعل الدين  
 كتبوا التوراة بأيديهم ذلك لذي حدث فعلا قبل إعادة كتابة التوراة أمرا  
 إلهيا : « وعصب الرب على بسبيكم وأقسم أني لا أعبر الأردن ولا أدخل  
 الأرض الحبيدة التي الرب إلهك يعطيك نصيبا . فأموت أنا في هذه الأرض .  
 لا أعبر الأردن . وما أنتم فتعبرون وتملكون تلك الأرض الحبيدة . احترروا  
 من أن تسوا عهد الرب إلهكم الذي قطعه معكم وتصعوا لأنفسكم تمثالا  
 مسحوتا صورة كل ما نهك عنه الرب إلهك ، لأن الرب الهك هو نار آكلة .  
 إله غيور » .

ويسرد الدين كتبوا التوراة ما حدث لبني إسرائيل واليهود حتى حملوا إلى  
 بابل أرض السبي على أنه وعد من الله ، ثم لا يتركون اليهود في ظلام بل  
 يدرون لرفع الروح المعنوية لشعبهم فيجعلون الله لا يتحنى عن شعبه . ولأول  
 مرة نجد أن الرب قد وصف بالرحمة لأن الأمر يتعلق باليهود « إذا ولدتم  
 أولادا وأولاد أولاد وأطلتم الزمان في الأرض وفسدتم وصعتم تمثالا مسحوتا  
 صورة شيء ما وفعلتم الشر في عيني الرب إلهكم لإعاقته . أشهد عبيكم اليوم  
 السماء والأرض أنكم تبتدون سريعا عن الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها  
 لتملكوها . لا تنصبلوا الأيام عليها بل تهلكون لا محالة ويددكم السر في



الشعوب فتيقون عددا قليلا بين الأمم التي يسوقكم الرب إليها . وتصنعون هناك آلهة صنعت أيدي الناس من خشب وحجر مما لا يصر ولا يسمع ولا يأكل ولا يشم ، ثم إن طلبت من هناك الرب إلهك تجده إذا التمسته بكل قلبك وبكل نفسك . عندما ضيق عليك وأصابتك كل هذه الأمور في آخر الأيام ترجع إلى الرب إلهك وتسمع لقوله ، لأن الرب إلهك إله رحيم لا يتركك ولا يهلكك ولا يسيء عهد آبائك الذي أقسم لهم عليه .

أحداث وقعت قبل عصر التدوين ودعوة إلى العودة إلى الله لاستنهاض الهمم وتذكير بوعد الله للأبء . إنها عبارات لا يمكن أن تكون قد أوجبت إلى موسى عليه السلام إنما هي تصوير للحالة النفسية التي كان فيها عزيز ودنيال والذين شاركوا في إعادة كتابة التوراة بعد أن أحرق كل سحرها بوحدهم ( بجنصر ) . إن اليهود في المنفى عبدوا مردوخ وشمس وعشتار وسجدوا للأصنام ، فأراد عزيز ودانيال وأخبار اليهود أن يثيروا فيهم الحماس المذكورهم بإسرائيل ورب إسرائيل ، وأسرفوا في الوعود على لسان الرب لعل الحجة الدينية تقع فيهم ما عثرت عه الخطب والصائح والخير الذي به يوعدون . إنهم في كل إصحاح من إصحاحات الأسفار الخمسة لا يسيئون الوعد ، وما من مناسبة تمر دون أن يجعلوا الله يكرر ذلك الوعد وإن موسى عليه السلام يقول في رعمهم . « ودعا موسى جميع إسرائيل وقال لهم : اسمعي يا إسرائيل الفرائض والأحكام التي أنكنم بها في مسامعكم اليوم وتعلموها واحترزوا تعملوها . الرب إلهنا قطع معا عهدا في حوريب . ليس مع آبائنا قطع الرب هذا العهد . بل معا نحن الذين هنا اليوم جميعا أحياء : وجهنا لوجه تكلم الرب معنا في الحبل من وسط النار . أنا كنت واقفا بين الرب وبينكم في ذلك الوقت لكي أحرركم بكلام الرب . لأنكم حقتم من أجل سرور ولم ( فتح مكة )

تصعدوا إلى الحبس . فقال : أنا هو الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية ... » .

فالوعد كان لإسرائيل وقد جددته الله موسى وقومه فى سياء . وإن الدين كتبوا التوراة بأيديهم لا يقتاتون يذكرون ذلك الوعد بمناسبة وبدون مناسبة حتى يصح حقيقة فى أدهان اليهود الذين كانوا يرتجفون فرقا كما تصوروا أنهم قد يصطرون للحرب للعودة إلى الأرض التى حبسهم بها يختصر يوم حبسهم إلى العراق أذلة صاغرين .

وتستمر إصحاحات سفر التثنية تتحدث عما أوصى به موسى شعبه عندما يدخلون الأرض التى حلف الرب للآباء إبراهيم وإسحاق ويعقوب بأن تكون لسلهم . وإن قارىء الإصحاحات السادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر ليصيق من كثرة ترداد الوعد . فالدين كتبوا التوراة بأيديهم بالعوا مبالغة تصيق بها الصدور من رعمهم فى كل إصحاح أن الرب لا هم به فى ملكه إلا ذلك الوعد الذى لا يبرره مطلق الأحداث ولا تصرفات بنى إسرائيل ، فإنهم أعرضوا عن وصايا الرب وعصوه فى سياء وعصوه لما أمرهم بأن يقتلوا أعداءهم : « وحين أرسلكم الرب من قادش برنيع قائلاً : اصعدوا امتلكوا الأرض التى أعطيتكم عصيتكم قول الرب إلهكم ولم تصدقوه ولم تسمعوا لقوله . قد كنتم تعصون الرب منذ يوم عرفتمكم »

فإذا كان بنو إسرائيل — فى رعم الدين كتبوا التوراة — يعصون الرب منذ عرفهم موسى فهل يستحقون ذلك الوعد الذى لا يكاد يحبو منه إصحاح ؟ إنها دعوة سياسية قبل أن تكون دعوة دينية ، وقد أفلحوا فى أن يستعروا الدين خدمة قضية الشعب الذى كان مشردا بين الشعوب .

وبأيديهم كتبوا التوراة فى بابل جعلوا موسى عليه السلام يتحدث كما

يتحدث كهنة يابل ، فصلاته لله إنما ليظيل أيامه في الأرض كما كانت صلاة  
ابابليين ، وتسبيحه وتسبيح بني إسرائيل إنما يطرد الرب الشعوب من أمامهم  
ليرتوا أرضهم ولا شيء بعد ذلك . إن موسى التوراة يقول : « فصعوا كلماني  
هذه على قلوبكم ونفوسكم واربطوها علامة على أيديكم ولتكن عصائب بين  
غيوبكم . وعموها أولادكم متكلميها حين تحسبون في بيوتكم وحين  
تمشون في الطريق وحين تنامون وحين تقومون واكتبها على قوائم أبواب  
بيتك وعلى أبوابك . لكي تذكر أيامك وأيام أولادك على الأرض التي قسم  
الرب لآبائك أن يعطيهم إياها كأيام السماء ، ولأنه إذا حفظتم جميع هذه  
الوصايا التي أنا أوصيكم بها لتعموها ، لتحبوا الرب إلهكم وتسلكوا في جميع  
صرقه وتنتصقون به ، يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم فترثون  
شعوباً أكبر وأعظم منكم ، كل مكان ندوسه بظون قدمكم يكون لكم .  
من البرية ولسان . من المهر مهر العرات إلى البحر العرى يكون تحمكم . لا  
يقف إنسان في وجهكم . الرب إلهكم يجعل حشيتكم ورعيتكم على كل  
الأرض التي تدوسونها كما كنتمكم » .

إها الأرض ، كل همهم أن يطرد الرب الشعوب من أمامهم ليرثوها ، أما  
طاعة الرب ليرثوا حبات عرصها السماوات والأرض فما حظرت على قلب  
الدين أعادوا كتابة التوراة في المصفي ، إهم كانوا في حجم أرضي فكانت  
أحلامهم تنحصر في فردوس أرضي ، وفي إله يطرد هذه الشعوب ويحمل عنهم  
قسوة الحرب ويقدم لهم الأرض هدية من إله ينهل بالفرح لأهم يعدونه وهو  
عمل لا يدرى أن عادته إن هي إلا رشوة ليصحبهم كل مكان ندوس بظون  
أقدامهم

ويذكر موسى عليه السلام وصاياه ولا ينسى الدين كنوا التوراة أن يجعلوه

يعيد ذكر الدبائح ، وفي الإصحاح الرابع عشر يصنعون على لسانه أن الله جعلهم شعباً مختاراً ١٠ . . وقد احتارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ١١ .

ونعود الإصحاحات لتشريع بيع العبراني للعبراني وما يقدم من الأنعام والعم للرب . والمصح وكيف يصنع وعيد المظال وحدد الشرع مدته بسبعة أيام احتمالاً بالخصاد . وقد أخذ هذا العيد عن أعياد البيور فقد أعيدت كتابة التوراة أيام أن كانت العراق في حكم فارس في عهد الساسانيين . وحدد الشرع ١٢ ثلاث مرات في السنة يحصر جميع ذكورك أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره في عيد العطير وعيد الأسابيع وعيد المظال . ولا يحصر وأمام الرب فارعين كل واحد حسبما تعطى يده كبركة الرب اندي أعطاك ١٣

أليست هذه وصية كهان يتطرون ما في أيدي اناس : « يا أيها اناس أتم العقراء إلى الله والله هو العلي الحميد ١٤ » . « وربك انعي دو الرحمة ١٥ » . « إن الله انعي عن العالمين ١٦ » . « لله ما في السموات والأرض إن الله هو العلي الحميد ١٧ » ولا عجب أن قال اليهود في أيام محمد — ﷺ : « إن الله فقير وبحن أعياء ١٨ » . ما دام كهان التوراة قد حذوهم بتحذيرهم من الوقوف بين يدي الرب وأيديهم فارعة ، كأما الرب في حاجة إلى لحوم الأضاحي والحطة والعطير !

ويوصي الرب موسى عليه السلام — حسب أقوال الدين كتبوا التوراة بأيديهم — بأن يجعل ثلاث مدن في وسط الأرض التي وعده الله بها حراماً

(١) ماطر ١٥ (٢) الأنعام ١٣٣

(٣) العسكوت ٦ (٤) لقمان ٢٦

(٥) آل عمران ١٨١

يأمر فيها من قتل آخر خطأ ، ويشرع له في الشهادة أن شاهدا واحدا لا يكفي لإثبات ذنب أو خطيئة فلا بد من شاهدين أو ثلاثة .

ويوصي رب إسرائيل موسى عليه السلام — حسب مراعى الدين أعادوا كتابة التوراة في المنفى — وصية تقشعر منها أبدان الدين يعرفون الله ، فإنه يوصيه إذا ما حارب شعبا وطلب ذلك الشعب الصلح فإن على بنى إسرائيل استبعاد ذلك الشعب ، أما إذا أتى الشعب الصلح وكان لنصر حبيب اليهود فإن رب إسرائيل يأمر بصرب رقاب جميع الذكور واستحياء النساء والأطفال وأحدهم موانى وعبيد . وإنه لحكم لا يمكن أن يصدر عن رب الناس إله الناس الرحمن الرحيم ، ولكنه حلم الدين ذاقوا مرارة ذل الأسر . إنهم يشتهون أن يفسسوا عن أحقاد قلوبهم فوضعوا على لسان الرب أقوالا لا تصدر عن قائد جيش في قلبه ذرة من رحمة . فما بالك بإله رحيم وسعت رحمته كل شيء ، برغم أنف كهان بنى إسرائيل الذين أنطقوه بكراهية أشنع من الصيد ؟

« حين تقرب من مدينة لكي تحاربا استدعها إلى الصبح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتح لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك بلسن سحر ويستعبد لك . وإن لم يسألك بل عمدت معك حربا فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بخد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة وكل غنيمتها فاعصمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم ها . وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها سمة ما .. »

قول يقطر مرارة لا يمكن أن يكون وحى إله حكيم ، إن الله يقوى في محكم كتابه : « وإن جنتحوا لنسم فاحص لها وتوكل على الله إنه هو السميع

العليم » . « وقانونوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . واقتلوهم حيث تقتلهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين . فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم . وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » .  
 ويؤمن الدين كتبوا التوراة بأيديهم أن الرب مهي موسى عن أشياء لا تقدم ولا تؤخر في حياة البشرية : « إذا اتفق قدامك عش طائر في الطريق في شجرة ما أو على الأرض فيه فراح أو بيض والأم حاصصة المراح أو البيض فلا تأخذ الأم مع الأولاد . أضلق الأم واخذ لنفسك الأولاد لكي يكون لك خير وتطيل الأيام » « لا تررع حقلك صفيين .. » . « لا تحثر على ثور وحمار معا . لا تدبس ثوبا مخططا صوفًا وكتانا معا » .

ثم يوضح رب إسرائيل — على حسب مزاعم الذين كتبوا التوراة — ما يفعله شيوخ إسرائيل فيمن يدعى أن الفتاة التي دخل بها لم تكن بكرًا وفما يصنعونه لو أثبت أبواها أنها كانت عذراء . « إذا وجد رجل فتاة عذراء غير مخطوبة فأمسكها واضطجع معها فوجد ، يُعطي الرجل الذي اضطجع معها لأبي الفتاة خمسين من الفضة وتكون له زوجة من أجل أنه قد أدلها . لا يقدر أن يطلقها كل أيامه » .

شرائع سبق أن تقررت في إصحاحات سابقة ، ومن عجب أن رب إسرائيل الذي خلقه خيال أحبار اليهود في المنفى يحرم الربا ويحلله في نفس الوقت . إنه حرام أن يقرض إسرائيلي إسرائيليًا آخر بالربا . أما إقراض إسرائيلي لأجنبي فيسعى أن يكون بالربا . « ولا تقرض أهلك برابا : ربا قصة أو ربا طعام أو ربا شيء ما مما يقرض برابا للأجنبي تقرض برابا ، ولكن لأهلك

لا تفرص بريانكى يباركك الرب إلهك في كل ما تمتد إليه يدك في الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها .

ويحرم رب إسرائيل أن تعود المرأة إلى زوجها الأول إذا طلقها زوجها الثانى أو مات عنها ، فذلك في شريعة الدين كتبوا التوراة رجس من عمل الشيطان يعضب الرب . ويعود ذلك الرب ليقرر مدأ عادلا وإن كان يتأى مع ما سبق أن قرره أكثر من مرة ، فإنه يتعم من الآباء في الأبناء حتى الجيل الثالث والرابع . « لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيته يقتل » .

ويتذكر رب إسرائيل فحاة الغريب واليتيم والأرملة وإن كان ، يس أبدا اللاويين والكهان . « متى فرغت من تعشير كل عشور محصولك في السنة الثالثة سنة العشور . وأعطيت اللاوى والغريب واليتيم والأرملة فأكلوا في أبوابك وشعوا ، تقول أمام الرب إلهك : قد برعت المقدس من بيت ، وأيضا أعطيته لللاوى والغريب واليتيم والأرملة حسب كل وصيتك انى أوصيتى بها . لم أتجاوز وصاياك ولا سيتها . لم أكل منه في حزن ولا أحدث منه في محاسة ولا أعطيت منه لأجل ميت بل سمعت لصوت الرب إلهى وعملت حسب كل ما أوصيتى . اطلع من مسكن قدسك من السماء وبارك شعبك إسرائيل والأرض التى أعطيتنا كما حلفت لآبائنا أرضا تعيص لينا وعسلا » .

ويروى الإصحاح ثامن والعشرون من سفر لتثية ما يعم به نو إسرائيل من نعم أرضية إدا ما سمعوا وأطاعوا ، فإن الرب يرفعهم فوق جميع الأمم ويبارك في أولادهم وفي ررعهم ، ويسوق هم السحب وتمطرهم السماء ، أما إذا عصوا الرب ولم يسمعوا ويصيعوا فإنه ينزل بهم سوء عذاب . وقد

جعل الدين كتبوا التوراة في المصى ما هم فيه كأنه بؤعة ، قالوا على لسان الرب .  
 « .. تحطب امرأة ورجل آخر يضطجع معها . تبس بيتا ولا تسكن فيه .  
 تعرس كرمًا ولا تستعله . يذبح ثورك أمام عيبك ولا تأكل منه ، يعصب  
 حمارك أمام وجهك ولا يرجع إليك . تدفع عممك إلى أعدائك وليس لك  
 محص . يُسَمِّم بؤك وبساتك لشعب آخر وعيالك تنظران إليهم طول النهار  
 مكلان وليس في يدك طائلة . ثمر أرضك وكل تعبك يأكله شعب لا تعرفه .  
 فلا تكون ، لا مظلوماً ومسحوقاً كل الأيام . وتكون مجبواً من مطر عيبك  
 الذي تنظر » . ويستمر الرب في ذكر ألوان العذاب ولا تعترق في كثير ولا  
 قبل عما حاق ببني إسرائيل في أرض السبي .

وفي الإصحاح الخامس والعشرين كلام لا يمكن أن يكون وحى إليه :  
 « إذا مسكن إحوة معاً ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تصير امرأة الميت إلى  
 حارح لرجل أجسى أحو روحها يدخل عليها ويتخذها لنفسه روجة ويقوم  
 لها بواجب أحي الروح . والكر الذي تنده يقوم باسم أحيه الميت لئلا يمحي  
 اسمه من إسرائيل .

وإن لم يرض الرجل أن يأخذ امرأة أحيه تصعد امرأة أحيه إلى الباب إلى  
 الشيوخ وتقول : قد أتى أحو روحى أن يقيم لأحيه اسمي في إسرائيل . لم يشأ  
 أن يقوم بواجب أحي الروح . فيدعوه شيوخ مدينته ويتكلمون معه ، فإن  
 أصر وقال . لا أرضى أن اتخذها . تتقدم امرأة أحيه إليه أمام أعين الشيوخ  
 وتضع يدها على رجله وتصق في وجهه وتصرخ وتقول : « هكذا يفعل بالرجل  
 الذي لا يبني بيت أحيه فيدعى اسمه في إسرائيل : بيتا محجوع العمل »

إن عادة رواح الأح من روجة أحيه المتوفى عادة يابانية ، وقد يكون  
 مردوح أو شماس أو أى آلهة البابليين قد شرعها ولكنه لم يقل أبداً عما قال به



كهان بنى إسرائيل وأطلقوا به إلههم . فهل يمكن أن تتصور أن إلهنا يأمر مخلع  
بعل رجل لا يرغب في الرواح من امرأة أخيه وأن يحرقها على أن تصق في  
وجهه ؟ إنه إنه سوقى لا يمكن أن يكون له مكان إلا في عقول مريضة أضاعها  
دل الأسر وتأثرت بأسوأ ما في أساطير الشعوب

وتستمر الرصايا وهي جميعا وصايا سقت في سفار سابقة حتى يحين أجل  
موسى عليه السلام : « وقال الرب لموسى هو ذا أيامك قد قربت لكى تموت .  
ادع بشوع وقفا في حيمة الاجتماع . فتراءى الرب في الخيمة في عمود سحب  
ووقف عمود السحاب على باب الخيمة . وقال الرب لموسى : هأنت ترقد  
مع آبائك فيقوم هذا الشعب ويحجرون آلهة الأجسين في الأرض التى هو  
داخل إليها فيما يسلم ويتركى ويكث عهده الذى قطعته معه فيشتعل  
عصى عبيه في ذلك اليوم وأتركه وأحب وحبى عه . »

موسى عيه السلام يرقد مع آباءه . هذا كل حرته . لاجة عالية ولا نعم  
مقيم . ورب يعلم أن بنى إسرائيل سيعبدون آلهة الشعوب وعلى الرعم من  
دنت ياركهم ويحبهم في رعمهم شعبه المختار . وهو يحرق رسونه وهو على  
حافة القبر أن الشعب الذى أخرجه من مصر ورأهم المعجرات سرعان ما  
يرتدون إلى الكفر ، ومع ذلك يستمر ذلك الإله يسلم ويوصى يشوع بن نون  
بأن يتشدد : « وأوصى يشوع بن نون وقال : « تشدد وتشجع لأنك أنت  
تدخل بنى إسرائيل الأرض التى أقسمت لهم عها وأنا أكون معك » .

ألست معى أنه إله عريب بصر على أن يعطى الأرض لأباس ثم يصدقه  
يوما ، بل إنه يعرف أنهم سيرتدون عن عبادته إلى عبادة آلهة آخرين ، ومع  
ذلك يصمم على أن يسير معهم ليهرم أعداءهم ونحهم الأرض التى أقسمت  
عها جزاء كفرهم وعصيانهم ؟

استمع إلى موسى عليه السلام يقول لهم : « خذوا كتاب التوراة هذا  
وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إليكم ليكون هناك شاهداً عليكم . لأنني أنا  
عارف بتمردكم ورفايتكم الصلبة . هوذا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم  
تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتى ؟ » .

هذه هي الأسفار الخمسة التي يؤمن بها بنو إسرائيل جميعاً ، السامريون  
واليهود ، وقد عبث بها الذين أعادوا كتابة التوراة في المنفى وسماقش باي  
الأسفار التي لا يؤمن بها السامريون في التدليل التالي إن شاء الله .

العهدة في : ٢٦ / ٩ / ١٩٦٩

## المراجع

- القرآن الكريم  
 الكتاب المقدس  
 صحيح البخارى  
 السيرة النبوية  
 إنسان العيون ( السيرة الحلبية )  
 بلوغ الأرب  
 نهاية الأرب  
 إيران في عهد الساسانيين  
 لكريستيس — ترجمة د . يحيى  
 حشاش  
 نور الأبصار في مناقب آل بيت النبى المختار  
 للشيوخ الشيلنحى  
 إحياء علوم الدين  
 للعراقى  
 شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام  
 لتقى الدين محمد بن أحمد الفاسى  
 حقوق الإنسان في الإسلام  
 للدكتور على عبد الواحد وفى  
 محمد رسول الله  
 مولای محمد على  
 الرسول . حياة محمد  
 ر . ف . بودلى ترجمة : محمد محمد  
 فرج وعبد الحميد جوده السحار  
 الإسلام والنظام العالمى الحديد  
 مولای محمد على  
 ترجمة أحمد جوده السحار

لأبي الأعلى المودودي

للمهندس ركزي هاشم ركزي

للدكتورة بنت الشاطئ

لعباس محمود العقاد

للسهيل

للدكتور زكريا إبراهيم

لعباس محمود العقاد

للواحدي

لابن أبي الحديد

لشهرستاني

الدين القيم

المستشرقون والإسلام

نساء النبي

عقريه محمد

الروض الآنف

تاريخ الطبري

مشكلة الحرية

فاطمة الزهراء والفاطميون

أسباب النزول

شرح نهج البلاغة

الملل والنحل

مؤلفات الأستاذ عبد الحميد جودة السحار

- أحسن بطل الاستقلال  
— أبو ذر الغفاري  
— بلال مؤذن الرسول  
— في الوظيفة  
— سعد بن أبي وقاص  
— هزات الشياطين  
— أبناء أبي بكر الصديق  
— في قافلة الزمان  
— أميرة قرطبة  
— النقاب الأزرق  
— المسيح عيسى بن مريم  
— أهل بيت النبي  
— محمد رسول الله

( رواية )	— الحصاد
( قصة )	— جسر الشيطان
( قصة )	— النصف الآخر
( رواية )	— السهول البيض
( قصة )	— أم العروسة
( قصة )	— قلعة الأبطال
— عدو البشر	— وعد الله وإسرائيل
— أبطال الجزيرة الخضراء	— عمر بن عبد العزيز
— النمر	— هذه حياتي
— الله أكبر	— الحفيد
— ثلاثة رجال في حياتها	— ذكريات سينائية
— مسجد الرسول	— كشك الموسيقى
— فات الميعاد	— خفقات قلب
— آدم إلى الأبد	— صور وذكريات
— العرب في أوروبا	— الإسرائء والمعراج
— الدستور من القرآن العظيم	— القصة من خلال تجاربي الذاتية

## القصص الدينية ( للأطفال )

في ١٨ جزءا
» في ٢٤
» في ٢٠
في ٢٤ جزءا

قصص الأنبياء
قصص السيرة
قصص الخلفاء الراشدين
العرب في أوروبا

## السيرة النبوية في ٢٠ جزءاً

- ١ — إبراهيم أبو الأنبياء ١١ — الهجرة
- ٢ — هاجر المصرية أم العرب ١٢ — غزوة بدر
- ٣ — بنو إسماعيل ١٣ — غزوة أحد
- ٤ — العدنانيون ١٤ — غزوة الخندق
- ٥ — قريش ١٥ — صلح الحديبية
- ٦ — مولد الرسول ١٦ — فتح مكة
- ٧ — اليتيم ١٧ — غزوة تبوك
- ٨ — خديجة بنت خويلد ١٨ — عام الوفود
- ٩ — دعوة إبراهيم ١٩ — حجة الوداع
- ١٠ — عام الحزن ٢٠ — وفاة الرسول

ثمان الجزء الواحد عادى جنبها

ثمان الجزء الواحد ممتاز ثلاثة جنبها ونصف

ثمان المجموعة المجلدة تجلداً فآخرها في ٢٠ مجلداً ٩٥ جنبها

رقم الإيداع ٧٨ / ٤٢٢٨

الترقيم الدولي ٨ — ٢٨١ — ٣١٦ — ٩٧٧